الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

السيميائيات النصيّة
وجهود فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في إطار مشروع
سيميائيات اللغة وتحليل الخطابات

إعداد الطالبة:
زمولي سعاد

إشراف :
أ.د موشعال فاطمة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
زحاف حبيب	أستاذ محاضر "أ"	رئيسا	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
موشعال فاطمة	أستاذة محاضرة "أ"	مقرّرا	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
سعدي مليكة	أستاذة محاضرة "أ"	ممتحنا	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
عقاق قادة	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
بوقفحة محمد	أستاذ محاضر "أ"	ممتحنا	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان
دحماني نور الدين	أستاذ محاضر "أ"	ممتحنا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

السنة الجامعية : 1442/1441هـ - 2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سورة البقرة (الآية 32)

شكر وتقدير

(لا يشكر الله من لا يشكر النّاس)

إنّ الشّكر لله سبحانه وتعالى الميسّر لتتمّة هذه الأطروحة ، والشّكر موصول للأستاذة المشرفة موشعال فاطمة على صبرها معي طيلة هذه الأعوام، وما أسدته لي من نصائح وتوجيهات.

ولا أنسى كلّ أستاذ قدم الدّعم لي ولو معنويا وفي مقدمتهم الأستاذ فهيم شيباني عبد القادر، وإلى أعضاء لجنة المناقشة على تحمّلهم مراجعة وتقويم الأطروحة ومناقشتها.

إهـداء

أهدي عصارة هذا البحث إلى من هم أحقّ بذلك :

إلى الوالدين جزاهما الله كلّ خير وأطال الله في عمرهما

إلى من كان نبراسا لإنارة درب البحث محمد

إلى زهر الدّنيا أنس، عبد الرحمان، هاجر.

إلى أروع صديقة في الحياة بوراس أسماء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

سعاد زمولي

مقدمة

اتّسعت العلوم اللّغوية الرّامية إلى استكشاف النصّ وعوالمه النصيّة بدءا من النّظرية الّتي وضعها دو سوسير وما أسَّست له من دالّ ومدلول، وكذا مفهوم اعتباطية العلامة اللّسانية، والّتي كان لها تأثير بليغ على الدّراسات اللّغوية والنّقدية، فقد أشار دو سوسير إلى وجود علم لا يكتفي بدراسة العلامات اللّسانية فحسب، بل تجاوزها إلى دراسة العلامات غير اللّسانية ليُحيل إلى علم السّيميائيات بوصفه علما يُعنى بالكشف عن المعنى وسيروراته بوصف النصّ كونا دلاليا مفتوحا يتضمّن فجوات تُثير القارئ.

شغل علم السيميائيات اهتمام عديد الباحثين نظرا لتعدُّد موضوعاته واتجاهاته وقضاياه، ومن أهمّ الطُّروحات الّتي أثارها قضية النصّ بوصفه نسقا علاماتيّا، حيث حاولوا منح النص مفهوما جديدا وِفق ما تُتيحه السّيميائيات، إذ يعدّ النصّ علامة بحاجة إلى تأويل، فهو كونٌ علاميٌّ مفتوح على دلالات متعدّدة، فالتّأويل الدّلالي والسّيميائي له تأثير كبير في إيجاد معنى النصّ المنفتح ومقصديته، بالإضافة لما يوفّرُه من محدِّدات كالقارئ النّموذجي، الموسوعة، السّياق والتّشاكل وغيرها، وهو ما نحاول تقصِّيه في أطروحتنا الموسومة بـ "السِّيميائيات النصيّة وجهود فرانسوا راستيّ وأمبرتوإيكو"، وقد اقتضت طبيعة الموضوع طرح الإشكالية التّالية: ما هي جُهود كلّ من فرانسوا راستي وأمبرتوإيكو في ما يخصّ السّيميائيات النصيّة؟ والّتي تفرّعت عنها التَّساؤلات التَّالية:

هل أسَّس الباحثان فرانسوا راستي وأمبرتوإيكو لسّيميائيات نصيّة حقيقة تُخالِف الدِّراسات السَّابقة الّتي عُنيت بالنصّ ؟ وما هي المنطلقاتُ والأدوات الإجرائيّة والمصطلحات الّتي تبنّاها كلٌّ من فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو من أجل دراسة النصّ ومعرفة أبعاده الدِّلالية سيميائيّا بوصفه نسقا من

العلامات؟، وهل يمكن اعتبار الجهود المقدَّمة من الباحثيْن علمية إذ يمكن إدراجها ضمن جهود السّيميائيين المهتمين بدراسة النصّ الأدبي (مدرسة باريس)، وهل قدَّموا إضافة جديدة لطروحات السّيميائيات النصيّة الّتي تمكّن من الارتقاء بالنصّ الأدبيّ وتُخلِّصُه من الأحكام التَّقليدية المرتبطة بالدِّراسات السّابقة ؟.

إنَّ اختيارنا لهذا الموضوع يعود إلى أسباب متعدِّدة بعضُها موضوعيٌّ يتعلَّق بالموضوع في حدّ ذاته حيث تعدَّدت وتباينت الدِّراسات السّيميائيّة المشتغلة على النصّ، كما تعدّدت رُؤاها وتصوّراتها وآليات تحليلها، ممَّا جعلها تشغل اهتمام النُّقاد والباحثين، ومن جهة أخرى لا يمكن تجاهل النّظريّة النّصيّة وما شهدته من ثورة مفهوميّة حول مصطلح النصّ ليُحدث تأثيرا في الباحثيْن – فرانسوا راستي وأمبرتوإيكو– في مجال السّيميائية، ودوافع ذاتية تتمثّل في إصراري على معرفة كيفية تَعامُل السّيميائيات كعلم يدرُس العلامات ويهتمُّ بالمعنى وبأشكال وُجوده في النصّ كونُه علامة ينفتح على عالم القارئ من خلال إسهامات وجهود الباحثيْن الغربييْن اللّذين لهما دور في إرساء معالم هذا التّوجّه.

كما أنَّه لا يتحدّد البحث إلاّ في ظلّ الأهداف الّتي يحاول الباحث بُلوغها من دراسته للموضوع، لذا نهدف في أطروحتنا هذه إلى تحديد مفهوم النصّ عند كلٍّ من فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو، ومعرفة الآليات الإجرائيّة والمصطلحات الّتي صاغها الباحثان في مُقاربة النصّ الأدبيّ سيميائيّا، وبما أنّ الباحثيْن أسهما في إثراء دراسة النصّ سيميائيا اقتضى الأمر المقارنة بين طروحاتهما في مجال سيميائيّة النصّ، خصوصا أنّهما ينتميان إلى مدرستين مختلفتين.

أمَّا الدّراسات والأطاريح السّابقة عن سيميائيات النصّ عند الباحثيْن فهي قليلة إلاّ ما تعلّق بالمصطلحات التّالية: السّيميائية، التّشاكل، العلامة، والقارئ فهي متضمّنة في إطار النّظرية السّيميائية أو المصطلح السّيميائي.

إنّ طبيعة الموضوع المنتَقى استدعى تطبيق المنهج التاريخي الوصفي المقارن ، لأنّه يتعلّق بالبحث عن إسهامات الباحثيْن فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو في دراستهما لسيميائيات النصّ باعتباره فرعا من السّيميائيات العامة وطرق قراءة النصّ وتحديد معانيه، ثمّ إيجاد أوجه الائتلاف والاختلاف بينهما في هذا الطّرح، من خلال الرّصيد المصطلحيّ لكلّ منهُما .

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة فصول؛ فضلا عن المدخل والخاتمة، إذ تضمَّن الفصل الأول الموسوم بـ:" السّيميائيات النصيّة وجهود فرانسوا راستي" ثلاثة مباحث: النصّ بين الدِّلالة والمعنى وإشكاليّة الدّلالة النّصيّة عند فرانسوا راستي، التّشاكل بين اتّساق النصّ وانسجامه، والتلقّي التّأويلي النصّي وآلياته من منظور فرانسوا راستي، أمّا الفصل الثّاني فموسوم بـ" النصّ بين الانفتاح والتّأويل السّيميائي عند أمبرتو إيكو "، والّذي رصدنا فيه ثلاثة مباحث، تضمّن المبحث الأول النصّ بين الانفتاح والقارئ، والمبحث الثّاني تضمَّن مُصطلحات السّيميائيات النصيّة عند أمبرتو إيكو وهي: الموسوعة، المدار، النصّ والتَّأويل، بينما المبحث الثالث يتعلّق بقواعد التَّأويل المحدود.

ومنْ خلال الفصليْن النّظرييْن الأول والثّاني عرّجنا إلى الفصل الثّالث والموسوم بـ : إسهامات فرانسوا راستي وأمبرتوإيكو في السّيميائيات النّصيّة؛ دراسة مُقارنة، والّذي حوى ثلاثة مباحث، الأول: انفتاح النصّ بين التَّأويل الدِّلالي والتَّأويل السِّيميائي، الثَّاني: رصدنا ضمنه تعالق مفهوم القارئ ما بين

أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي، والمبحث الثالث: تضمّن البحث عن العلاقات بين بعض المصطلحات والمفاهيم لدى الباحثيْن فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو أهمُّها الموسوعة والمدار والسّياق، أمّا الخاتمة فجاءت حوصلة لما توصّلنا إليه من نتائج.

ومن خلال مرحلة الاستقصاء والبحث حاولنا الإلمام بأهمّ المصطلحات الّتي رصدها الباحثان في مجال السّيميائيات النصيّة كالقارئ، التّأويل، الموسوعة، التّناص، المدار والنُّزهات السّردية ، المقصديّة والتّخمين وغيرها من المصطلحات المرتبطة بدراسة النصّ وإيجاد دلالته.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: فنون النصّ وعلومه لفرانسوا راستي الّذي ترجمه إدريس الخطاب،(1989)Sens et textualité , (1987)Sémantique Interprétative، La mesure et le grain ;sémantique de corpus (2011)لفرانسوا راستي(François Rastier)، والأثر المفتوح لأمبرتوإيكو؛ ترجمه عبد الرحمن بوعلي، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النُّصوص الحكائية لأمبرتو إيكو(1985)؛ ترجمه انطوان أبو زيد، التّأويل والتّأويل المضاعف لإيكو وترجمه ناصر الحلواني(1988) .

وقد واجهتنا مجموعة من الصّعوبات أهمُّها قلّة المادّة العلميّة خصوصا ما يرتبط بالسّيميائيات النصيّة لدى فرانسوا راستي، وكذلك قلّة المصادر المترجمَة إلى العربيّة، ما جعلنا نلجأ إلى ترجمة بعض ما ورد في المتون النّقدية لفرانسوا راستي، إضافة إلى كثرة مُصطلحات السّيميائية وتعدُّد ترجماتها في النّقد العربي، وهو ما يُعرف بفوضى المصطلح، خصوصا في ظلّ غياب توحيد للمصطلح العربيّ .

لكّن هذه الصُّعوبات قد ذُلِّلَتْ وهَانتْ رغم التّردّد المتواتر بفضل تعاوُن ودعم الكثير من الأساتذة المتخصّصين في السّيميائيات، وتحفيزهم الدّائم لي، وإرشادات وتوجيهات الأستاذة المشرفة

فاطمة موشعال الّتي تحمّلت الكثير من هَناتي وعثَراتي، فلَها منِّي كلُّ التّقدير والاحترام جزاء لصنيعِها في درب البحث العلمي.

وفي الأخير لا يسعُني إلاّ أنْ أتقدّم بخالص الشُّكر للأستاذة المشرفَة الّتي كانت المرشدة والموجِّهة والنّاصحة رغبة في المضيِّ قُدُما لإتمام هذا البحث في صُورته النّهائيّة، والّتي لولا ملاحظاتها وتحفيزها لي ما وصل البحث إلى مرحلة الاكتمال، كما أتوجّه بالشُّكر لأعضاء لجنة المناقشة، وإلى الأساتذة: سعيد بوطاجين، شنتوف سميّة، فهيم عبد القادر شيباني، حاج بكوش فافة، الّذين لم يبخلوا عليّ بنصائحهم وإرشاداتهم، فالشّكر لهم على كلّ صنيع أو دعم قدّموه لي، وإلى كلِّ مَنْ علّمني الكلمة سلاحا عبْر مساري العلمي والبحثي.

هذا ما وقع عليه جُهدي واجتهادي تحت وقع سياط الزّمن فنرجو الإفادة والاستفادة

تمّ بعون الله وفضله.

زمولي سعاد

معسكر في 24 جانفي 2021

مدخل :

الأسُس النّظرية

للسّيميائيات وإشكاليّة النصّ

تعدّ النظريّة السّيميائية من أهمّ النّظريات النّقدية المعاصرة الّتي سعت إلى البحث عن طرق التّواصل البشرية، محاولة إيجاد آليات لفكّ السّنن والعلامات اللّسانية وغير اللّسانية وقد ظهرت هذه النّظرية لدى الغرب حديثا، لكّن هذا لا يعني أنّ مفهوم المصطلح دخيل على النّقد العربي بل ظهر في التُراث العربيّ القديم .

مفهوم السّيميائيات :

في التُراث العربيّ :

ورد مصطلح السّيمياء في لسان العرب ضمن مادّة سَوَمَ في قول ابن منظور:" السُّومة والسِّيمة والسّيمياء : العلامة، وسوَّم الفرسَ : جعل عليه السِّيمة .

وقال الله عز وجل: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِين ﴾[1]

قال الزّجاج :"رُوِيَ عنْ الحسن أنّها مُعَلَّمَةٌ ببياضٍ وحُمرة ، ويقولُ الجوهري: السُّومة بالضمّ، أيْ العلامة تُجعل على الشّاة وفي الحرب أيضا، وهي مأخوذة من وَسَمْت أسِم والأصل في سِيما، وَسْمَى فحُوِّلت الواو موضِع الفاء فوُضِعت في موضِع العين، وجُعِلت الواو ياء لسُكونِها وانكسار ما قبلها وفي التّنزيل يقول اللهُ تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [2]، قال أبُوزيد :الخيْلُ المسوَّمَة ؛المرسَلة وعليها رُكبانها، وقِيل الخيل المسوّمَة هي الّتي عليها السِّيما والسُّومة وهي العلامة، وقال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [3] أيْ؛ علامات .

(1) الذّاريات الآية 33.

(2) آل عمران الآية 14.

(3) البقرة الآية 273.

وقال الشَّاعرُ :

غُلامٌ رَماهُ الله بالحُسن يَافِعا لهُ سِيماءُ لا تشْقَ على البَصر"[1].

يتّضح من التّعريف اللّغوي للسّيمياء أو السّيما أنّ معناها مشترك، ويُقصد بها العلامة الّتي تُحيل على موضوع ما .

أمّا الفيروز أبادي فعرّفها بقوله :"السُّومة بالضمّ والسّيمة والسّيماء والسّيمياء بكسرهنّ : العلامة، وطينٌ مسوَّمة أيْ؛ عليها أمثال الخواتيم أو معلّمَة ببياض وحُمرة أو بعلامة" [2]، فقد وردت لفظة السّيمياء في المعاجم اللّغوية بصيغ متعدّدة ولكّن مدلولُها واحد وهو العلامة .

وخصّص ابن خلدون فصلا في كتابه المقدّمة أسماه علم أسرار الحروف إذ يقول :"وهو المسمّى لهذا العهد بالسّيميا نُقل وضعه من الطّلسمات إليه في اصطلاح أهل التّصوّف من غلاة المتصوّفة ...وظهور الخوارق على أيديهم والتّصرفات في عالم العناصر"[3] .

فقد اعتبر ابن خلدون علم السّيميا أو السّيمياء ضربا من السّحر، ونجد لهذا المفهوم أصولا في المنطق والبيان فهذا ابن سينا يعرّفها قائلا : "علم السّيمياء علم يقصد به كيفية تمزيج القوى الّتي في

(1)محمد بن منظور، معجم لسان العرب المحيط، ت عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، مج2، ص245.

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار العلم، بيروت، لبنان، ج4، ص133.

(3) عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ت درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ،2005، ص 488.

جواهر العالم الأرضي ليُحدث عنها قوّة يصدر عنها فعل غريب"[1]، ويتّضح من تعريف ابن سينا أنّه يتطابق مع المفهوم الّذي طرحَه ابن خلدون .

السّيميائيات في النّقد الغربيّ :

السّيميائيات بين الطّرح السُوسيري والبورسي :

إنَّ السّيميولوجيا هي ذلك العلم الّذي يهتمُّ بدراسة العلامة، وقد تنبّه العالم السّوسيري فرديناند دوسوسير في دراسته للعلامة اللّسانية إلى وجود علم يدرسُ العلامة غير اللّسانية وهو أعمّ وأشملُ من اللّسانيات وأشار إلى ذلك بقوله: "ولفهم طبيعة اللّغة الخاصة وجب توسّط نظام جديد، وهي نسق من العلامات المعبرة عن الأفكار مقارنة بالكتابة وأحرف الهجاء الجهرية والمهموسة، الطُقوس الرّمزية، أشكال الآداب، الإشارات العسكرية ... ".[(2)]

وقد تميّزت سيميولوجيا دوسوسير عن سيميائية بورس في الثّقافة الأنجلوساكسونية فقد عرَّفها شارل سندرس بورس بقوله:"يظهر المنطق في معناه العامّ إلاّ كونه اسما آخر للسّيميائيات"[(3)]، إذ ربط السّيميائيات بالمنطق حيث أنّ دراسة العلامة أو الإشارة خاضعة للفكر الّذي يلجأ بدوره إلى الإشارة للتّعبير عن الواقع، وهذا التّعريف يرجع إلى مرجعياته الفلسفية الّتي تعدّ نقطة الانطلاق وهي فلسفة

(1) قدور عبد الله الثاني، سيميائية الصّورة ؛ مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع ،2005، ص46.

(2) FERDINAND DE SAUSSURE, Cours de linguistique général ,enag édition1990,p32.

(3) CHARLE,S, PEIRCE Ecrits sur le signe , ,traduits ;Gérard Deledalle, seuil ,paris,p120.

كانط التّجريبية أو هي" نظرية شبه ضرورية أو شكليّة للعلامات"[1]، فالسّيميائيات في معناها هي المنطق وهو أحد العلوم المعيارية الثلاثة (علم المنطق، علم الجمال وعلم الأخلاق)، وبيَّنَ دوسوسير أنّ هذا العلم الجديد سيكتشف قوانين صالحة للتّطبيق على اللّسانيات .

وتعرِّفها الباحثة سيزا قاسم بقولها :"السّيميوطيقا بمفهومها العريض تُعنى بالعلامة من حيث مستواها الأنطولوجي والبراجماتي "[2]، فهي تهتمّ بوجود العلامة وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات وفي المستوى البراجماتي تُعنى بفاعليتها وإنتاجيتها في الحياة واستعمالاتها .

وهناك من تصوَّرَ مفهوما آخر للسيميائيات مُخالفا لما ذكره سوسير، ومن أبرزهم أمبرتو إيكو الّذي عرّفها بأنّها"العلم الّذي يهتمُّ بتمفصل الدّلالات وأشكال تداولها، أو العلم الّذي يرصد تشكّل الأنساق الدّلالية ونمط إنتاجها وطرق اشتغالها "[3]، في حين يرى دوسوسير أنّ اللّغة نسق من العلامات اللّسانية تخضع للتغيير بوصفها وسيلة للتّعبير عن الفكر الإنساني وللتواصل، فهي كباقي أنساق التّواصل الأخرى، ومن هنا تنبّأ بوجود علم يدرس العلامات "إذْ يمكننا أنْ ندرك علما يدرس حياة العلامات في حضن الحياة الاجتماعية ويشكل جزءا من علم النّفس الاجتماعي ، ونتيجة لعلم النّفس العامّ نُسميه السّيميولوجيا وفي اللّغة اليونانية sémeion أيْ؛ علامة "،[4]

---

(1) Gerard Deleddalle ,théorie et pratique du signe ,introduction a la sémiotique de Ch.S.Peirce, payot,paris 1979,p16

(2)سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللّغة والأدب والثّقافة، مدخل إلى السّيميوطيقا، ، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، 1986،ص19.

(3)أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ت سعيد بنكراد، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2010،ص13.

(4) Ferdinande De Saussure, Cours de linguistique générale,p 32.

ويبدو من خلال تعريفه للسّيميولوجيا أنّها علم ذو طبيعة اجتماعية، يرتبط بعلم النّفس وهي أعمّ من اللّسانيات .

موضوع السّيميائيات:

تعدُّ السّيميائيات ابستيمولوجيا علما لأنّها تُمارس التّفكير في ذاتها وتُعيد تقويم موضوعها ونماذجها بشكل دائم، والموضوع الّذي تبحث فيه هو العلامة سواء كانت لسانية أو غير لسانية ، وتهتمّ بكيفية تجسيد الواقع الاجتماعي وتمثيل المعنى، لكّن هناك تبايُن في مفهوم العلامة لدى مؤسِّسي السّيميائيات، إذْ اهتمّ فردينان دوسوسير بالعلامة اللّسانية محدّدا مفهومها على أنّها دال ومدلول بقوله:"لا تجمع العلامة اللّسانية شيئا واسما، ولكّن مفهوما وصورة وليست صوتا ماديّا فقط بل شيئا فيزيائيا، ولكّن الأثر النّفسي لهذا الصوت يمنحنا المعنى وتُوصلنا إلى ما يُدعى الماديّة "[1]، فالدّال هو الشّكل المادّي أو الصورة السّمعية أو مجموعة الفونيمات الّتي تشكّله مثل كلمة (شجرة) الّتي تستدعي مفهوما أو مدلولا لهذا الدّال .

إنّ العلامة عند دي سوسير هي المعنى الناتج عن الجمع بين الصّورة السّمعية والمفهوم، وبما أنّ الصّورة السّمعية لها ارتباط بالجانب النّفسي فقد توصّل إلى"أنّ العلامة وحدة نفسية ذات وجهين مُتّحدين يستدعي أحدُهما الآخرَ"[2]، ولا يمكن الفصل بينهما غير أنّه أقصى المرجع من مفهوم العلامة أو ما تحيل إليه العلامة في الواقع الخارجي .

(1). Idem ,p 108

(2).Ibidem

وقد خالف شارل سندرس بورس دي سوسير طرحَه لمفهوم العلامة واعتبرها "شيئا يحلُّ مكان شيء لشخص ما تحت عائد ما أو بصفة ما"[1]، حيث تخلُق في ذهن المتلقِّي علامة مكافئَة أو مُعادلة لها، وهذه العلامة الّتي تستحضرها الذّات يُسميها بورس المفسِّرة للعلامة الأولى وهي تنوب عن شيء ما، وهذا الشّيء موضوعتها، وتقوم العلامة عند بورس على ثلاثة أقطاب وهي: العلامة أو الممثّل، والموضوع والمؤوَّل (المفسّرة)،وربط العلامة بالمرجِع مقارنة بدي سوسير الّذي أقصاه .

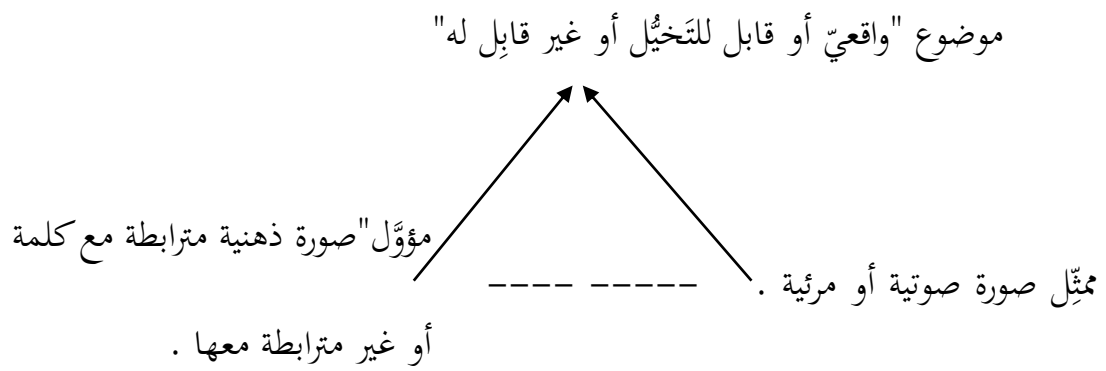

أقطاب العلامة عند شارل سندرس بورس[2]

وتتّسم سيميائية بورس بأبعاد ثلاثة هي البُعد التّركيبي، البعد الدّلالي والبُعد التّداولي، ويُقصد بالبعد التّركيبي مجموعة الوحدات الّتي تكوِّن العلامات (الفونيمات والمورفيمات والوحدات المعجمية)، أمّا البعد الدّلالي فيهتمُّ بالعلاقات الّتي تجمع هذه العلامات وما تحيل إليه، ويُعنى البُعد التّداولي باستعمال العلامات في الحياة أو العلاقة بينها وبين مستخدميها .

(1) CHarle,S, Peirce , écrits sur le signe , ,p120.

(2) السيميائيات والتأويل؛ مدخل لسيميائيات شارل سندرس بورس، سعيد بنكراد،ص 77.

ومن خلال الطّرح الّذي قدّمه شارل سندرس بورس توصّل إلى عشرة علامات أبرزُها القرينة، الأيقونة والرّمز وهي الأكثر تداولا .

مدارس السّيميائيات واتجاهاتها :

ظهرت السّيميائيات مع رائديْها دي سوسير وشارل سندرس بورس اللّذين مهَّدَا لظهور اتجاهات ومدارس تتبنّى المفاهيم النّظرية، وتحاول تطوير الأدوات الإجرائية لمقاربة النّصوص والوقائع الإنسانية، ومنْ بينها الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي، الاتجاه الرّوسي الاتجاه الإيطالي، ونجد الباحث محمد مفتاح قد قسّم النّظريات اللّسانية إلى التّيار التّداولي التّيار الشّعري، والتّيار السّيميوطيقي الّذي تحدّث فيه عن محاولات في السّيميوطيقا الشّعرية وبلاغة الشّعر لجماعة مو وسيميوطيقا الشّعر لميكائيل ريفاتير[1].

أمّا حنون مبارك فقسّم الاتجاهات السّيميائية إلى اتجاهين وهما سيميولوجيا الدّلالة وسيميولوجيا التّواصل وسيميولوجية دي سوسير وسيميوطيقا بورس ورمزية كاسيرر وسيميوطيقا الثّقافة[2]، وهو ما سنحاول تقصّيه بإيجاز .

أ- الاتجاه الأمريكي :

ارتبط هذا الاتجاه بالفيلسوف الأمريكي شارل سندرس بورس الّذي حدّد ماهيته بتحليله لأنواع العلامات المختلفة، وقد تأسّست سيميائيته على المنطق والظّاهراتية والرياضيات، إذ المنطق مُرادف للسّيميائيات عنده حيث يقول:"...حينما أصفُ هذه النّظرية باعتبارها شبه ضرورية أوشكلية

(1) ينظر : محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري؛ (استراتيجية التّناص)، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء،ط3، 1992،ص4.
(2) ينظر: حنون مبارك، دروس في السّيميائيات ، دار توبقال، المغرب،ط1، 1978، ص36- 52.

فإنّني أودّ أن أقول:إنّنا نلاحظ خاصّيات ضرورية تتعلّق بما ينبغي أن تكون عليه خاصّيات الدّلائل المستعملة من طرف عقل علميّ"[1]، فسيميائية بورس قائمة على المنطق وقوانين الفكر في تحديدها لموضوع العلامة، وفي فهم التّجارب الإنسانيّة .

وهي مبنية على المبدأ الثُلاثي الّذي استوحاه من الرّياضيات، أمّا مرجعياته الفلسفية تتمثّل في الظّاهراتية الّتي تتجلى في المقولات الفانيروسكوبية، ويَعني بها "كلّ المعاني الحاضرة في الذّهن"[2] وأطلق عليها اسم الفانيرون، وتتمثّل في ثلاث مقولات أساسيّة لإدراك الكون وإنتاج الدّلالات وهي الأولانية، الثانيانية والثّالثانية،"فالأولانيّة هي مقولة الوجود في حاضر وجُوده بدون الإحالة إلى الثّاني "[3]، وهي ما نشعر به أو نحسّه قبل وجوده ولا يتحقّق، ويُطلق عليه مقولة الإحساس والنّوعية مع إمكانية تحيينه .

والثّانِيانية هي مقولة الحدث أو"نمط وجود الشّيء كما هو في علاقته بثان دونما اعتبار لثالث، إنّها تُعيّن وجود الواقعة الفرديّة "[4]، ويمكن بذلك الانتقال من الأولانيّة القائمة على الإمكان والاحتمال إلى تحققها في الوجود وتحيينها .

والمقولة الثالثانية هي مقولة الفكرة والقانون أيْ"نمط وجود الشّيء كما هو بوضعه في علاقة تبادلية بين الثّاني والثالث"[5]، فلا يتمّ استيعاب التّجربة الإنسانية إلاّ من خلال القانون الّذي يربط

(1) Charle,S, Peirce, écrit sur le signe ,p120 .
(2) Gérard Deledalle, Théorie et pratique de signe, p54 .
(3) Charle,S, Peirce, écrits sur le signe , p55.
(4) Idem ,p20.
(5) Idem,p22.

بين الأول والثّاني، وتتحدّد على شكل رمزي تُدرَك على مستوى الفكر، فتكُون مجرّدة وتساهم هذه المقولات في إدراك الواقع، وتُبنى على أساسه السّيميائيات كونها نظريّة في المعرفة ومنطقا في الإدراك .

ب- الاتجاه الفرنسيّ :

تبلورت السّيميولوجيا- السّيميائيات- في ظلّ الدّرس اللّساني، حيث اهتمّ دوسوسير باللّسان كونه نموذجا علاماتيا تواصليّا ضمن إطار الكلام، وقد حدّد هوية العلامة في إطار علم النّفس الاجتماعي على أساس التّعاضد بين الدّال والمدلول مع إقصاء المرجع الّذي أدرجه بورس في سيميائيته معتبرا الوجود الإنساني كلّه علامة. وكشَف قوانين الدّرس اللّساني وأشار إلى قابلية تطبيقها على السّيميائيات حيث أنّ العلامة تجمع بين الصّورة السمعية والمفهوم، وهي تخضع لمبدأ الاستبدال والتّركيب .

ولما كانت السّيميائيات حسب سوسير أعمّ من اللّسانيات انتقده رولان بارث باتّخاذه النّموذج اللّساني أداة لفهم معنى العلامات غير اللّسانية، وطبّق ذلك من خلال دراسته لمختلف الأنظمة الثّقافية، "وتوقّع طبيعة العلامة السّيميولوجية مُقارنة بالعلامة اللّسانية، فالعلامة السّيميولوجية هي نموذجه المركَّب من الدّال والمدلول ....والكثير من الأنساق السّيميولوجية (الموضوعات، الحركات، الصّور) لها جوهر التّعبير الّذي لا يوجد في الدّلالة غالبا ما تكون أهدافا للاستعمال يسوقها المجتمع لأغراض دلاليّة، فالملابس تُساعد على الحماية فهي تساعد على التّدليل، ويُفترض تسمية تلك العلامات السّيميولوجية ذات الأصول النّفعية الوظيفيّة بوظائف العلامات"[1].

(1) Roland Barthes, L’aventure sémiologique ,édition du seuil,1985,p40.

إذْ توصّل رولان بارث إلى أنّه يمكن دراسة مختلف أنساق العلامات من بينها الموضة والأطعمة الّتي توحي بدلالة معينة ناتجة عن ذلك السّنن ،ويعدّ اللّسان وسيطا لها .

ويرى أنّ المشروع السّيميائي لسوسير يهدف إلى دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية ما ينتج عنه إعادة تكوين أنساق دلاليّة لموضوعات متعدّدة (الملابس، الأطعمة، الصّور الطّقوس، البروتوكولات، موسيقى..)،"ولكن باقتحامه لهذا المشروع اعترضته مهام جديدة كدراسة العمليات الّتي يصبح من خلالها معنى ثان شائع للرسالة وإيديولوجيّ يُدعى معنى إيحائي"[1]، فقد أخذ بارث من نظرية دي سوسير وركّز على قضيّة الدّلالة ووظّف مصطلحي المحتوى والتّعبير، فالعلامة- حسب بارث- ذات قُطبين أحدهما تعييني والثّاني إيحائي .

وعرَف الاتجاه الفرنسي تطوّرا على مستوى الأبحاث السّيميائية بفضل جهود مدرسة باريس المتمثّلة في أعمال جوليان غريماس وجوزيف كورتيس، إذ اعتمد ألجيرداس جوليان غريماس في بناء نظريته السّردية على المفاهيم والمصطلحات الإجرائية لدى سوسير سعيا للنفاذ إلى بؤرة المعنى والكشف عن دلالات العلامات المحمولة في النّصوص، فهو يعتقد أنّ علم الدّلالة لم يشهد الإثراء والتّأصيل خاصة أنّ المعاني تفاعليّة وزئبقية لا يمكن القبض عليها .

إذ يصرّح قائلا: "يجبُ معرفة أنّ الدّلالة لم تعرف الثّراء في اللّسانيات وفي آخر عام لم تحدّد الأنظمة اللّسانية تسميتها إلاّ في القرن التّاسع عشر...واقترضت طُرقها من البلاغة الكلاسيكيّة تارة،

(1) Idem ,p228 .

ومن علم النّفس التّأملي تارة أخرى."[1] ولذلك فعلم الدّلالة لم يشهد التطوّر إلاّ بعد تطوّر علم الصّوتيات وعلم النّحو اللّذين كانا جزءا من اللّسانيات .

ويرى ألجيرداس جوليان غريماس أنّه يجب على الدّلالة إيجاد مكانها داخل الإطار العام للسانيات، وستكتمل بمسلماتها وجهاز مفاهيمها الأدواتي، وموضوعها يهتمّ بدراسة اللّغات الطبيعيّة ووصفها، والّتي تعتبر جزءا من علم واسع للدّلالة هو السّيميولوجيا بمعنى سوسير لهذا المصطلح.

وقد أفاد جوليان غريماس من مفاهيم رومان جاكبسون مثل التّقابل والتّناقض في أنواع المخارج السّيمية (المخارج الدّلالية المعنوية)،فحسب رومان جاكبسون وتلامِذته يتَمفصل المستوى الدّلالي في سيمين مُتقابلين .

فالسّيمات" تدلّ عموما على وحدة صغرى لمعنى تتموضع في مخطط المحتوى ...ويمكن القول أنّ السّيمات هي عناصر مكوّنة للسّيميمات "[2]، حيث الدّوال سيمات لها مجموعة من المحدّدات مثل : رجل – إنسان – عاقل – اجتماعي – بالغ .

وقد وظّف التّقابلات الّتي استوحاها من تروباتسكوي وهي مجموعة العلاقات القائمة بين الدّوال .

وانطلق جوليان غريماس من البنية البسيطة للدّلالة مستعينا بالتّحليل المورفولوجي للحكاية حيث قلّص الوظائف الّتي توصَّل إليها فلاديميربروب، وأعطى مفهوما جديدا للوظيفة بدلا من مفهوم

(1) Algirdas Julien Greimas , Sémantique Structurale ,presses universitaires de France,2007,p 6.
(2) Idem, p7.

فلاديمير بروب الّذي صنَّف الوظيفة في مجموعات الفعل الّتي تتحدّد من خلال العامل[1]، وينتقد جوليان غريماس هذا الطّرح لأنّ بعض الأنشطة تعدّ أفعالا أيْ؛ وظائف في حين اعتبر أخرى ليست بوظائف، ويرى أنّ الدّارس سيحتار أمام التّناقض الّذي يميّز الوظيفتين " فإذا كان رحيل البطل يعدُّ فعلا أيْ؛ وظيفة باعتباره شكلا من أشكال النّشاط الإنساني، فإنّ النّقص لن يكون كذلك ولا يمكن التّعامل معه (...) بل هو حالة تستدعي فعلا "[2]، وعوض أنْ يبحث غريماس عن الوظيفة وعن شكل وجودها أشار إلى الملفوظ السّردي بتحديده لمفهوم الفعل والوظيفة، للوصول إلى البنية العامليّة أو الخطاطة العاملية الّتي أخذها من بروب وإتيان سوريو في دراسته للوظائف الدراماتيكيّة في المسرح[3]، وهي تقوم على ستة عوامل تشكّل النصّ السّردي وفق الخطاطة الآتية :

وتأتَلِف هذه العوامل في ثلاث علاقات ثنائية هي"علاقة الرّغبة من الفاعل، والتّواصل بين المرسِل والمرسَل إليه، ورغبة الفاعل تنتظم وفق توقعات كلّ من المساعد والمعارض(الصّراع) "[4] ، وتكون إمّا في علاقة اتصال مع موضوعها أو انفصال، ثمّ انتقل من دراسة المكوّن السّردي والخطابي للنصّ إلى المستوى العميق ليحدّد الدّلالات بفضل فكرة المربع السّيميائي الّذي استوحاه من رومان جاكبسون[5]وكلود لفي شتراوس في دراسته للأسطورة القائمة على التّعارض التَّناقض ، لأنّ المعنى عند غريماس "يقوم على أساس اختلافي (...)، فتحديده لا يتمُّ إلاّ بمقابلته بضدّه وفق

(1) ينظر : Idem,p192.

(2) سعيد بنكراد، السّيميائيات السّردية؛ مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001، ص 35.

(3) ينظر: حميد لحمداني، البنيويّة في الأدب؛ بنية النصّ السّردي من منظور النّقد الأدبيّ، المركز الثّقافي العربي،ط3، 2000،ص32.

(4) Algirdas Julien Greimas, Sémantique structural , p 180.

(5) ينظر: دانيال تشاندلر، أسس السّيميائية، ت طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1،2008،ص 186.

علاقة ثنائية متقابلة"[1]، ويمثِّل هذا المربع الهيكل المجرّد للمعانم الذريّة (سيم) الّتي تشكّل المستوى السّيميولوجي للنصّ السّردي.

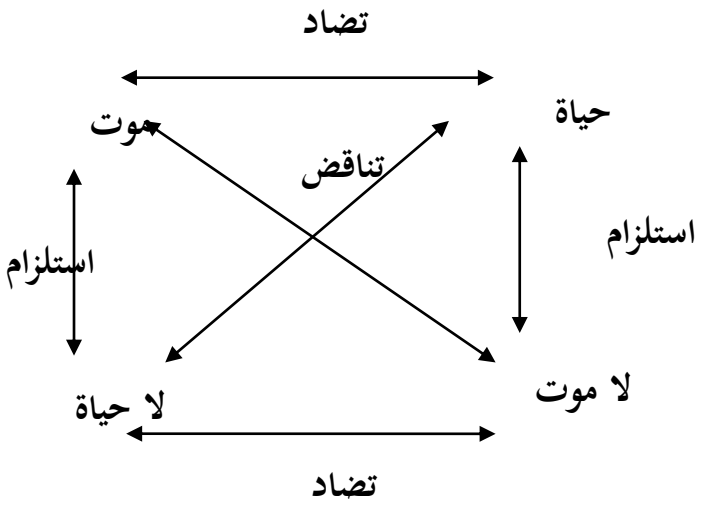

وقد دأب جوليان غريماس في دراسته السّيميائية إلى إيجاد منهج لتحليل النّصوص السّردية تحليلا موضوعاتيّا باعتماده المنطلقات البنويّة، ولكّن انتقل من الاهتمام بالبُنى السّردية لاستجلاء المعنى إلى دراسة الأهواء المتضمَّنة داخل السّيرورات السّردية، لأنّ الدّلالة ليست مُعطى موضوعي بل يتطلّب تدخُّل الذّات، ممّا جعله ينأى عن منهجه نظرا لاطلاعه على فرضية جان كلود كوكي "الخُروج من الموضوعيّة إلى الذّاتية "،وتُفضي هذه الرؤية إلى"الكشف عن المخزون الانفعالي المودَع في النّفس كشكل احتمالي لسلوك ممكن"[2] الّذي يؤثّر على السّيرورة الدِّلالية باعتبار الذّات تنتمي إلى هذا

(1)فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2010،ص229.

(2) ألجيرداس جوليان غريماس،جاك فونتاني، سيميائيات الأهواء؛ من حالات الأشياء إلى حالات النّفس، ت سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، ص28.

العالم، وهي تتفاعل معه ممّا يثيرها ويجعلها تُبدي انفعالاتها الكامنة في النّفس كالحب والغضب والحزن وغيرها من الانفعالات .

انتقل ألجيرداس غريماس في دراسته من المجرد إلى المحسوس كما ربط التوتر بالهوى وهو "حالة لاحقة للاستهواء أو هو تصرّف في المادّة الانفعالية وتوجيهها نحو التحقّق "[1]بدراسة هوى من الأهواء، والكشف عن التّوترات التّركيبية له وكيفية تجليه في الواقع .

الاتجاه الرّمزي (سيميائيات الأشكال الرّمزية) :

نُسب هذا النوع من السّيميائيات إلى كاسيرر الّذي اعتبر العالم مجموعة من الرّموز مُنطلقا من مرجعيات فلسفية خاصة بطبيعة النّوع الإنساني المتميّز عن النَّوع الحيواني "وعرّف الإنسان بوصفه حيوانا رمزيا "[2]، وهو يتفرّد أيضا بنسقه الرّمزي ويعيش في واقع تُشكِّله الرّموز المتمثِّلة في اللّغة والأسطورة والدّين ويعمل الإنسان على تأويلها وتنسيقها لإدراكها .

ويميّز كاسيرر بين العلامات والرّموز، لأنّ العلامات تنتمي إلى الطّبيعة بينما الرّموز تندرج ضمن الثّقافة وتُتَّخذ أداة لفهم الإنسان والبحث عن المعاني. وقد اعتبر كلّ من دي سوسير وشارل سندرس بورس الرّمز نوعا من العلامات كما "ساعد مبدأ الرّمزية الإنسان على عملية الإبداع الثّقافي

(1) المرجع السابق، ص33.

(2)حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص83.

وإنتاج الأنساق السّيميائية الدّالة "[1]، لأنّ الأسطورة موروث ثقافيّ ميثولوجيّ يشكّل مجموعة رموز تتحوَّل إلى أشكال سيميائيّة .

إشكالية النصّ :

اختلفت مفاهيم النصّ ودلالاته نظرا لتعدّد المرجعيات الفكريّة والفلسفيّة لأصحابها ونظرا لاختلاف المناهج النقدية الّتي جعلته بؤرة للدّراسة، فالنصّ في اللّغة من الفعل نصَصَ[2] : النصُّ : رَفعُك الشَّيء، نَصَّ الحديثَ ينُصُّه نصًّا : رفَعَهُ وكلُّ ما أظهر، وأصل النصّ أقصى الشّيء وغايته، ثمّ سُمِّيّ به ضربٌ من السَّير سَريعٌ .

وقال الأزهريُّ : النصُّ أصلُه مُنتهى الأشياء ومبلَغ أقصاها .

يبدو من التّعريف المعجمي للفظة النصّ أنّها تعني الرّفع والظّهور حيث الكاتب يُبدِع نصَّه ليُظهِره ويرفعَه للقارئ .

أمّا الباحثون الغربيّون يتخذون مفهوم النصّ من النّسيج (Texture) المأخوذ من الجذر اللاّتيني (Textus)، وأرجعه جان ديلو (Jean François jean dillou) إلى هذا الأصل بقوله :"إنّ النصّ بموجب أصله الابستيمولوجي من اللاّتينية (Tissus ; Textus) المشتق من

(1) أحمد يوسف، السّيميائيات الواصفة؛المنطق السّيميائي وجبر العلامات، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة،ط 1، 2005،ص65.

(2)محمد ابن منظور، لسان العرب المحيط، ص 647.

الفعل (texérer) :نسَجَ ، فتل تشبيها بالنّسج (Tissage) [1]، ويرى عبد المالك مرتاض أنّ لفظ النّسج[2] أنسب للاستعمال وألطف للمعنى .

وإذا تتبعنا مفهومه في النّقد الغربيّ خاصة البنويّة فلم يستعمل دوسوسير مصطلح النصّ في كتابه محاضرات في اللّسانيات العامة، وإنّما ورَد عرَضاً في سياق حديثه عن الدّراسة الفيلولوجيّة الّتي تهدف إلى معالجة النّصوص والتّعليق عليها، وفي حديثه عن مادة اللّسانيات الّتي تتألّف من ظواهر لغوية إنسانية لمحَ إلى كلمة نصّ "لأنّ اللّسان يُفْلت عن الملاحظة فإنّه يتعيَّن على اللّساني أنْ يضع حسابا للنّصوص المكتوبة "[3]. ولذا نجد أنّ دي سوسير لم يحدِّد تعريفا للمصطلح بل ورَد في هذا السِّياق ليدلّ على تجسيد الظّاهرة اللّغويّة،كما أنّ مفهوم النصّ – حسب سوسير- مُرادف للكلام .

اهتمّ الشّكلانيون الرُّوس بالشّكل اللّغوي وعُنوا بالدّراسات اللّغوية والشّعرية رغم أنّهم أنكروا هذه التّسمية، ولم تقتصر دراساتهم على الشّكل بل انصبّ اهتمامهم على دراسة العناصر الصّوتية والصّرفية والنّحوية في بنية الجملة [4]، ولكّن بعدما انحلت هذه الجماعة حاول رومان جاكبسون وهو أحد أعضائها البحث عن رؤى جديدة تمكّنهم من مقاربة النُّصوص الأدبيّة، وقد توصَّل إلى مفهوم الأدبيّة للتّمييز بين ما هو أدبيّ وما هو غير أدبيّ .

(1) jean françois jeandillou,analyse textuelle , paris ,armand collin ,p29.

(2)عبد المالك مرتاض، الكتابة ومفهوم النصّ، مجلة اللغة والأدب، ع 08، ص11.

(3) Ferdinand De Saussure,Cours de l’inguistique général ,p17.

(4) ينظر: بشير ايبرير، رحلة البحث عن النصّ في الدّراسات اللّسانية الغربيّة، ،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،ط1، 2009،ص77.

والأدبيّة هي العنصر الّذي يحويه النصُّ في نظر رومان جاكبسون بقوله:"هدف الدّراسة الأدبيّة ليس الأدب ولكّن أدبيته أيْ؛ ما يجعل من المؤلَّف أدبيّا"[1]، وانطلق من هذا المعيار لتحديد النّصوص .

أمّا رولان بارث فقد قرن النصّ بالكتابة الّتي تُبنى على مفهوم المتعة وربطها بالزّمن ؛ أيْ " نشوة الخَلق المصنّف"[2]، ويعدّ العمل المكتوب من وجهة نظره عملا رتيبا إذا خلا منها، وترتبط بنسق النصّ ممّا يُتيح حضور قارئ يحظى بهذه المتعة، فرولان بارث يدعو إلى إقامة علاقة بين النصّ والقارئ لأنّ القراءة تُخوِّل للقارئ الكتابة والتّأويل

وفي مقدمته السّيميولوجية أعطى للنصّ تعريفا مُعاكسا بقوله :"إنّ النصّ بالمعنى الحديث الرّاهن ... يدلُّ على المؤلَّف الأدبيّ وهو ليس إنتاجا جماليا بل ممارسة دالة ...وليس مجموعة علامات مغلقة تُنتِج المعنى الّذي يعمل على إيجاده." [3]

فالنصّ هو كل ما يُبدعه الكاتب ولا يعتمد على الصّور، وقد أشار إلى انفتاح النص فجعله قابلا للتّأويل والانفتاح على دلالات متعدّدة منتقدا المنهج البنوي الّذي ركّز على النصّ كونه بنية مغلقة رغم أنّه كان من الباحثين البنويين.

حاول رولان بارث أنْ يتجاوز مفهوم العمل الأدبيّ القديم إلى مفهوم جديد وهو النصّ، ثمّ قسَّمه إلى قسمين:"النصّ المقروء (المغلق) (lisisble)، والنصّ المكتوب (المفتوح) (scriptible)

(1) J .C.Coquet et autre, Sémiotique , L'école de paris,classiques hachette,paris ,p139.

(2) Frank évrard et Eric Tenet, Roland Barthes,bertrand lacoste ,paris,1994,p63

(3) Roland Barthe , L'aventure sémiologie ,édition du seuil,1985,p13.

، فالنصّ المقروء هو نصّ يتسمّ بسمات النصّ الحداثي ...أمّا النصّ المكتوب فهو نصّ ما بعد حداثي يسعى إلى نشر المعنى وتفجيره "[1]. ونخلص إلى أنّ النصّ المغلق هو النصّ المكتفي بوحداته الدّاخليّة الّتي تشكّل نسقه، ويفسح المجال لقارئ سلبيّ يتلقّى المعنى الكامن فيه وتكون قراءته أفقيّة ، بينما النصُّ المكتوب يختلف جوهريا عن سابقه لأنّه يعتمد على قراءة عمودية تبحث في العمق كالقراءة السّيميائية، ومن هنا تتدخّل نظرية القراءة الّتي تقتضي تأويلات لامتناهية، وتفتح أفقا للقارئ من أجل التّأسيس لمقولة موت المؤلِّف، وقد وسّع رولان بارث مفهوم النصّ باعتباره نشاطا أو إنتاجا .

في حين يعتبر هيلمسليف أنّ النّصوص مُهمَّة خاصة في نظرية اللّغة والنصّ، إذ يعادل النصّ كلّ المنطوقات اللّغوية، ويُقابل عنده الكلام أو الأداء[2]، فكلّ ما ينطق يُعدّ نصّا والأداء مرتبط بالكفاءة الّتي يملكها المبدع تخوّل له إنتاج نصّ .

أمّا فان ديك حاول التوصّل إلى تصوّر كامل حول النصّ لبناء نظرية مُنسجمة لمقاربته،"فهو بنية سطحية توجّهها بنية عميقة دلالية "[3]، فيتشكّل النصُّ من بنيتين متلازمتين إحداهما السّلسلة اللّسانية الّتي تؤلِّف بينها علاقات دلاليّة والّتي عدّها البنية الثانية، كما أنّ النصّ يحوي مظاهر معقدّة كالممارسات النصيّة والتّواصلية،وقد حدّد مفهوما للنصّ بناء على مجموعة من التّصورات الآتية:

-" ليس الأدب مجموعة نصوص فقط، إنّه بالأحرى مجموعة من الممارسات النصيّة .

(1) حصة البادي، التّناص في الشّعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا، ، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، ط1، 2009،ص19.

(2) ينظر : زتسيلسلاف وأوزونياك، مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النص ، تر سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار ،القاهرة ،ط1، 2010 ، ص53.

(3) المرجع نفسه، ص56.

– النصّ الأدبيّ يجب اعتباره في آن واحد (نتاجا)لعملية الإنتاج، وأساسا لأفعال وعمليات تلقٍ واستعمال داخل نظام التّواصل والتّفاعل .

– هذه العمليات التّواصلية الأدبيّة تقع في عدّة سياقات تداوليّة ومعرفيّة وسوسيوثقافيّة، وهذه السّياقات تحدّد الممارسات النصيّة وتتحدّد بواسطتها.

– إنّ السّياقات الأدبيّة تتمفصل بحسب جماعة المشاركين وأدوارهم وبحسب المقامات والمؤسسات، وأحيانا بحسب التّعاقدات والقواعد والاستراتيجيات الّتي تنظّم الممارسات النصيّة في سياقات تتأسّس على قاعدة مجموعة من القيم والأحكام المحدّدة"[1] .

إنَّ رؤية فان ديك تستوجب أنْ يتوفر الأدب على مجموعة من السّمات كالاتّساق والانسجام الّتي تجعل من الملفوظ أو المتتاليات اللّغوية نصّا، ويعدُّ إنتاجا يهدف إلى التّواصل ويقوم المتلقّي بالتّفاعل معه ببناء معناه، لأنّه المنتِج الحقيقيّ له،كما للنصّ أبعاد تداوليّة ومقاصد تتعلّق بسياقات مختلفة .

ونجد أنّ النصّ– حسب فان ديك– يتجاوز معنى الجُملة،"إنّه الخطاب وهو يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الدّلالية والتّداوليّة المكوِّنة للنصّ، وهو بناء مجرّد لا يتجسّد إلاّ من خلال الخطاب كفعل تواصليّ "[2].

وقد اعتبر تزفيتان تودوروف النصّ كتابا كما ورد في قوله:"لا يتحدّد مفهوم النصّ في الإطار نفسه كما هو في الجُملة (أو القضية ،المركب ...) بهذا الفهم يجب أنْ يتميَّز النصّ عن الفقرة الّتي هي

(1) علي آيت أوشان ، السّياق والنصّ الشّعري من البنية إلى القراءة، ، الدار البيضاء ،ط1، 2000، ص77.
(2) المرجع نفسه، ص76.

وحدة تصنيفيّة لعدّة جُمل، كما يمكن أنْ يتطابق النصّ مع جملة مثلما يتطابق مع كتاب بكامله، فهو يتحدّد باستقلاليته وانغلاقه." [1] ونُلفي أنّ مفهوم تودوروف للنصّ يتنافى مع تعريف فان ديك فقد قرن تودوروف النصّ بالجملة أو الكتاب أو المؤلَّف الأدبي، وهو مستقل عن الظّروف والسّياقات الخارجيّة الّتي أنتجته ويتّسِم بانغلاقه، بالإضافة إلى تحديده "للوجه الشّفهي للنصّ والنّحوي والدّلالي وتمييزه بينها "[2]، حيث تشكِّل العناصر اللّسانيّة (الأصوات) والخصائص الأسلوبيّة الوجه الشّفهي، أمّا الجانب النّحوي يتمثّل في العلاقات الموجودة بين الوحدات الكبرى والأنظمة الّتي تحكم هذه العلاقات، والبحث عن المضمون الدّلالي، وتعدّ دراسة البُنى من أولويات الوجه الدّلالي.

وقابل ألجيرداس غريماس"لفظ النصّ بالخطاب بعد جوهر التّعبير- المنطوق أو المكتوب – المستعمِل لظاهرة إجرائيّة لسانيّة، ومن الدّوافع الّتي جعلته مُرادِفا للخطاب انعدام ما يُعادل هذا المصطلح (الفرنسي – الإنجليزي) خاصة في نهاية التّداخل المصطلحي مع اللّغات الطبيعيّة في هذه الحالة لاتختلف السّيميائيات النصّية عن مبدأ السّيميائيات الخطابيّة "[3].

شهد مصطلح النصّ تطورا مع التّحولات الإبستيمولوجية الّتي عرفتها المعرفة السّيميائية وهو جزء منها، والّتي ترمي إلى كشف مكوّناته ومعرفة آليات إنتاجه وتعدُّد تأويلاته بعيدا عن مؤلِّفه وسياقاته الخارجيّة ومضامينه الإيديولوجيّة، وقد أشارت الباحثة جوليا كريستيفا إلى أنّ السّيميائيات لا تزال في خطواتها الأولى كعلم يحتاج إلى إيضاح مشكلات كثيرة حين تتناول النصّ الّذي يعدُّ إنتاجيّة

(1) Oswold ducrot,Tzveten Todorove ,dictionnaire encyclopédique du science du language,édition seuil,1972,p375.

(2) ينظر : منذر عياشي، العلاماتية وعلم النصّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004،ص122.

(3) A .J.Greimas ,J .Courtés Sémiotique ,dictionnaire raisonné de la théorie du language , ,hachette ,paris , 1993,p390.

[1]، وهي تقرُّ بالصُّعوبات الّتي تعتري مقارباتها وعليها أنْ تُعيد صياغة نظريّة دلاليّة جديدة لاختراق معناه وتعدّد تأويلاته.

فقد تجاوزت جوليا كريستيفا الشَّكلانيين الرُّوس في تحديد مفهوم النصّ باستحضار مفهوم الكتابة، وألغت مفهوم الأثر الأدبيّ عند رولان بارث.وتعرّف الباحثة النصّ " بوصفه جهازا عبر اللّغة يُعيد توزيع نظام اللّغة عن طريق ربطه بالكلام التّواصليّ راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السّابقة والمتزامنة"[2]، ويعني ذلك أنّه يعتمد على القراءة والتّفكيك من أجل إعادة بنائه وهو يتداخل مع نصوص عديدة وقد أطلقت عليه مصطلح التّناص.

أمّا أمبرتوإيكو فقد قابل مفهوم النصّ المقروء والمكتوب عند رولان بارث بالنصّ المفتوح والمغلق، ويعتقد أنّ السّيميائيات لا تبحث عن البُنى الدِّلالية الكليّة ولا عن المعنى الكامن فيه والمكثَّف، وإنّما تحاول الكشف عن السّيرورات الممكنة داخله،"فما هو إلاّ نسيجُ فضاءات بيضاءَ وفراغات ينبغي ملؤها ومن يُبدعه يتنبّأ بأنّها ستملأ، ولذا يتركها بيضاء لأنّ النصّ يمثّل آلة كسولة، ويُنتَج لقارئ جدير بتفعيله"[3]، حيث تأثّر في دراسته السّيميائية للنصّ بالمفاهيم الّتي أقرّها بورس في نظريته الّتي تدعو إلى ضرورة الاهتمام بالتّأويل، ونجد في المقابل أنّ فرانسوا راستي ينتقد نظرية التّأويل لأنّها بمثابة تجسيد لتجريدات القارئ، "والنصّ عنده متوالية لسانية مُثبتة، تمَّ إنتاجُها ضمن ممارسة

(1)ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ت فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 2،1997،ص34.

(2) حصة البادي، التناص في الشعر العربي البرغوثي نموذجا، ص14.

(3)أمبرتوإيكو، القارئ في الحكاية ؛التعاضد التأويلي في النّصوص الحكائيّة، ت انطوان أبو زيد، المركز الثّقافي العربي ط1، 1996،ص 63.

اجتماعيّة محدّدة، ومُثبتة على عماد معين"[1]، ويتجلّى من التّعريف بعض خصائص النصّ كونه نسقا من العلامات اللّغوية قائم على الموضوعية ويعبِّر عن الواقع أو المجتمع، ويرقى إلى الدّراسة النَّقديّة ممّا جعل فرانسوا راستي يتّخذ من النصّ الوحدة القاعدية للبحث عن الدّلالة التّأويلية له .

وعليه سأحاول في هذا البحث التّعريف بالمصطلحات السّيميائية النّصيَّة عند الباحثيْن فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو للكشف عن جهودهما في إرساء السّيميائيات النصيَّة من خلال تتبُّع التّرسانة المصطلحيّة والمفاهيم الإجرائيّة، سعيا لرصد المعنى الكامن في علامات النصّ وفي بنيته العميقة.

(1)فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت ادريس الخطاب، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص344.

الفصل الأول : السيميائيات النصيّة وجهود فرانسوا راستي

- المبحث الأول : النصّ بين الدلالة والمعنى عند فرانسوا راستي
- المبحث الثاني : التشاكل بين اتساق النصّ وانسجامه
- المبحث الثالث : التلقي التّأويلي النصّي وآلياته من منظور فرانسوا راستي

انطلقت السّيميائيات من التّفكير حول العلامة وما تُحيل إليه ليتّسع مجالها إلى دراسة النّصوص، حيث اهتمَّ فرانسوا راستي بتحديد دلالاتها من خلال تأويلها، وقد اعتمد في ذلك على التّشاكل، فهو يشكّل وحدة النصّ القائم على ظاهرتي الاتّساق والانسجام دون إغفال دور السّياق في تحديد دلالات النصّ، ولذلك نُعالج إشكالية الدّلالة والمعنى والنّص عند فرانسوا راستي إضافة إلى ما يحقّقه التّشاكل من معاني وهو يضمن اتّساق النصّ وانسجامه ثمّ ننتقل إلى ماهية التّأويل الدّلالي وآلياته.

المبحث الأول : النصّ بين الدّلالة والمعنى عند فرانسوا راستي وإشكالية الدّلالة النّصيّة

شغل مُصطلح الدّلالة والمعنى الباحثِين السّيميائيين في ارتباطهما بالكلمة تارة وبالنصّ تارة أخرى، لكّن فرانسوا راستي شغلته دلالة النّصوص، فحدّد مفهوم كلّ منهما.

أشار إلى قصور النّظريات النّصيّة "الّتي تحكتم إلى اللّسانيات، لأنّها أهملت الدّلالة ولم تكن هناك علاقة محدّدة تجمع النّظريات السّيميائية أو المعرفيّة باللّسانيات ".[1]

انطلاقا من النّقائص المسجلّة لدى النّظريات النّصيّة حاول أنْ يؤسِّس مبحثا معرفيّا جديدا يتّخذ النصّ مركزا للدّراسة والتّحليل وهي دلالة النّصوص، كما وضع مؤلَّفه"الدّلالة التّأويليّة" Sémantique interprétative، وصرّح أنّه يهدف من خلاله إلى وضع نظرية دلاليّة تسعى لوصف المكوّنات الدّلالية للنصّ حيث يقول: "الرؤية الفكرية الّتي تُلخّص هذا الكتاب المولِّدَة لأسئلة بسيطة (...)، وأنّه بإمكان اللّسانيات الإجابة عنها، كما أنّنا نقرُّ بعودة القارئ إلى الوحدات

1) Françios Rastier,Sens et textualité, hachette supérieur, paris, 1989, p6.

الدّلالية، لذلك بحثنا عن وضع نظرية دلالية لها القُدرة على تحديد وحداتها ووصف علاقاتها التّركيبيّة. (1)

ليوضِّح أنّ اللّسانيات أدرجت النصّ ضمن اهتماماتها وحاولت أنْ تحدّد علاقاته باعتبارها تدرس مستويات اللّغة (الصّوتية، الصّرفية، التّركيبيّة، الدّلالية)، فهو لا يحصُر النصّ في علاقاته الدّاخلية بل تتعيّن دلالته النّصيّة بإدراج عامل أساسي له القُدرة على تحديد الوحدات الدّلاليّة المتضمّنة في النصّ وهو القارئ، "ويبقى النصّ عنده هو المستوى الأساسي لهذا التّلقي"[2]، ولكنّه يفرّق بين الدّلالة النصيّة ودلالة اللّفظ والمعنى.

ويُعرّف الدّلالة اللّفظية (Signification) على"أنّها مدلول وحدة لغوية (لفظة) معرفة بالنظر إلى السّياق والوضع" [3]، فالدّلالة تختصّ باللّفظة أيْ؛ الكلمة دون الجملة والنصّ ، وقد عالج دي سوسير مصطلح الدّلالة (Signification) في كتابه محاضرات في اللّسانيات العامة عندما صاغ مفهوم العلامة اللّسانية، وهي العلاقة الّتي تجمع بين الدّال والمدلول، أو بين المفهوم والصّورة السّمعية وهذين التّصورين عوّضهما بالدّال والمدلول[4] وفي الإطار نفسه وظّف مصطلح المعنى (Sens) ذلك في سيميائيّته التّواصلية.

كما أخذ مفهوم الدّلالة معان مُختلفة "إذ تُعدّ مفهوما مفتاحيا ينظّم النّظرية السّيميائية، وليس غريبا رؤيته في المواقف المختلفة للإشكالية الّتي اقترحتها النّظرية لتنظيمه

(1) François Rastier , Sémantique Interprétative , Presses universitaire de France, 1er édition, 1987, p9.

2(Idem,p10.

(3) فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب ، ص357.

(4) Ferdinande De Saussure, Gours de linguistique génerale , p109

، وقد يُحيل إلى إنتاج المعنى أو المعنى المنتج، أمّا في المدارس اللّسانية الّتي ظهرت بعد دي سوسير ، ومن بينها المدرسة الغلوسيماتيكية فإنّ المصطلح يُقصد به المحتوى أو المادّة في معنى هيلمسليف ، ولكّن يستبعد قبوله في ميتالغة السّيميائية وهو مُرادف للسّيميوزيس أيضا، ووجد هذا المفهوم الدّعم والمساندة من خلال المقصديّة المؤكِّدة له"[1].

لقد جمع هذا المفهوم معان مختلفة ويرجع ذلك إلى اهتمامات النّظريات اللّسانية والسّيميائية وكيفية تكريسها له في صيانة مبادئها ومناهج تحليلاتها، حيثُ يُقابل المفهوم (Sinifacation) المعنى الّذي حاولت النّظرية السّيميائية بلوغه وتجسيده كونُها تبحث عن كيفية بناء المعنى، وإذا كانت الدّلالة مُرادفة للسّيميوزيس في الطّرح البُورسي فهي السّيرورة والبحث المستمرّ للإمساك بالمعنى لأنّ الذّات لا تستوعب الأشياء إلاّ بمعانيها، ونُلفي أنّ مفهوم الدّلالة يُقابل مصطلح المعنى[2] (Sens) ويُقصد به جوهر المحتوى في تصوّر هيلميلسف.

أمّا مصطلح الدّلالة (Sémantique) [3] يختصّ بالبحث عن المعنى وقد عُنيت اللّسانيات بدارسة الصّوتيات والمورفولوجيا، ثمّ ظهرت اتجاهات وتيارات تدعو إلى دراسة التّركيب والدّلالة، حيث شكّل ميشال بريال(MICHEL BREEAL) مبادئ علم الدّلالة التّعاقبية وأشار إلى تغيّر معنى الكلمات، وجاءت هذه الحركة ردّا على اللّسانيات البنويّة الّتي أقصت المعنى من دراستها للّغة، حيث

(1) A.J.Grimas, J.Courtés , Sémiotique ;dictionnaire raisonné de la théorie du langage , p352,p 353.

(2). Idem ,p 348

(3)عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة، دار صفاء ، عمان، ط1، 2002، ص519.

لا يمكن معالجته بشكل موضوعيّ[1]، واقتصروا على الاهتمام بالنّحو وملائمة القواعد لنظام اللّغة، ذلك بوصف سطحها دون بنيتها العميقة وما تُحِيل إليه، وجعلوه موضوعا من اهتمامات علماء النّفس يصعب إخضاعه للدّراسة الوصفية حيث يقول بلومفيلد :"إنّ دراسة المعنى وتحليله هو أضعف نقطة في دراسة اللّغة، وسيظل الأمر على هذا النّحو حتّى تصل المعرفة الإنسانيّة إلى مرحلة أكثر تقدّما ممّا هي عليه الآن"[2].

تُمثّل الدّلالة حسب بلومفيلد مستوى من مستويات اللّغة لكنّها تُسجّل عزوف علماء اللّغة وانشغالهم بالصّوتيات ووظائف الأصوات والنّحو (تشومسكي) من خلال مدرستي براغ وكوبنهاغن وغيرهما، وإنْ كانت الدّلالة شبيهة بالنّظام اللّساني فهي عمليّة دقيقة تحتاج إلى التّأصيل والوصف الدّقيق في ظلّ تطوّر العلوم.

شهدت الدّلالة (Sémantique) التّطور والانتشار مع ظهور مواقف ابستمولوجية منها السّيميائيات البنويّة الّتي أسّس لها ألجيرداس جوليان غريماس (A.j.GREIMAS) ، ولأنّها أصبحت إشكالية الواقع الرّاهن تحاول التّساؤل حول معنى التّجارب الإنسانيّة والسّلوكات والوقائع.

أحاط ألجيرداس جوليان غريماس بمفهوم الدّلالة (Sémantique) في مؤلَّفِه الدّلالة البنوية، ويُبيّن أنّ اللّسانيات أغفلتْ حقيقة الدّلالة باعتبار تفاعليّة المعاني رغم أنّها نظام يمتلك الخبرة وطرقا لمعالجتها، بينما العلوم الأخرى (علم الاجتماع، علم النّفس..) الّتي ظهرت قبل اللّسانيات كانت مُبتذلة وشوّهت المعنى.

(1) ينظر: ، هناء صبري، فلسفة اللّغة عند نعوم تشومسكي ، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، 2005، ص71.

(2)حنيفي بناصر، مختار لزعر، اللّسانيات منطلقاتها النّظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2009، ص 60.

إنّ استحضار النّموذج الدّلالي ضمن النّظرية السّيميائية سيؤدّي إلى تطويره في الاتجاهات السّيميائية الّتي تُعنى بالدّلالة ممّا يُنتج اختلافا في تحديد مضمونها.

وتتميّز نظرية غريماس بمقاربة النّصوص السّرديّة للتّعرف على المعنى، لذا تعدّ الدّلالة البنويّة مُنطلقا أساسيّا ومنهجيّة متكاملة أثّرت على النّظرية الدّلالية.

فقد عللّ جاكبسون أنّ سبب المقصين للدّلالة (لا وجود للمعنى) يرجع إلى معرفتهم لما يريدون قوله، أو أنّهم لا يعرفون صيغة سؤال المعنى الّذي ليس له معنى كليّا"[1].

ويُعالج غريماس العلاقة بين الدّلالة والتّلقي حيث يتجلىّ المعنى انطلاقا من واقع الإنسان وتفكيره الخاضع للتّغير والتبدّل لذلك يُعرِّف غريماس الدّلالة على"أنّها وصف للعالم حيث تَنتابُنا السّذاجة والدّهشة عندما نبدأ التّفكير في حالة الإنسان من الصّباح إلى المساء، وسِنّ الولادة إلى الموت الّذي هُوجم بواسطة الدّلالات الّتي انفرد بها من خلال الرّسائل الّتي يُدركها في جميع الأوقات، وبكلّ الأشكال"[2].

يشكّل الواقع الإنسانيّ المحسوس مصدرا للمعاني الّتي تُثير تفكيره، وتتسرّب إلى الذّهن عبر منافذ حسيّة ليقوم الإنسان بتحديد مقاصد ما يتلقّاه من العالم.

(1) A.J.Greimas ,Sémantique structurale,presses universitaires de France,2007, p07.

(2) « La première observation concernant la signification ne peut porter que sur son caractère à la fois omniprésent (…) On est naïvement étonné quand on se met à réflichir sur la situation de l'homme qui ,du matin au soir et de l'âge prénatal à la mort ,est littéralement assailli par les significations qui le sollicitent de partout(..)et sous toutes les formes ». Ibid , p08.

في جانب آخر يهتم فرانسوا راستي (François Rastier) بالدّلالة (المعنى)، وقد ميّز أربعة مناهج تخصّ إشكاليّة المعنى المرتبطة بأربعة مراحل[1]:

1- تدرس الدّلالة المنطقية شروط حقيقة الملفوظات وهي تحدّد المعنى من خلال علاقة إيحائية (Dénotation) بين العلامات اللّسانية ومكونات العالم (العالم الواقعي والممكن).

وتُطبّق هذه الدّلالة على المستوى الجُملي لتتطوّر في الدّلالة الشّكلية، وتصف المعنى في اللُّغة بالرّجوع إلى النّزعة الشّكلانيّة للمنطق.

2- تحدّد الدّلالة اللّسانية المعنى من خلال العلاقة اللّسانية بين المدلولات، فهي تعتمد مفهوم الخاصيّة التّمييزيّة (سيم) المستعارة من الفونولوجيا البنوية.

3- الدّلالة النّفسيّة هي الّتي تحدّد المعنى من خلال العلاقة بين العلامات اللّسانية والعمليات العقلية ونتج عن تطبيقها نظريات فهم النّصوص والنّموذج الأوّليّ (Prototype).

4- تتبنّى الدّلالة المعرفيّة رؤية عقليّة، ولكنّها اتجهت لدراسة المعنى بأسئلة لها صلة بالخبرة والوعي المرتبطة بالفينومينولوجيا.

يتضّح من خلال تحديد فرانسوا راستي للدّلالة تعدّد مفهومها انطلاقا من الاتّجاهات الّتي فسرتها، فالدّلالة المنطقيّة تبحث في معنى اللّفظ المطابق لما وُضِع له في الواقع، أمّا المعنى النّاتج عن علاقة الدّال بالمدلول فهي دلالة لسانيّة صاغها دو سوسير في تحديده لمفهوم الدّلالة ضمن نظريته اللّسانية، وتحتكم هذه الدّلالة إلى الوظيفة التّمييزيّة الّتي أشار إليها تروبتسكوي

حيث يؤدّي اختلاف الفونيمات في كلمتين إلى التّمايز والتّضاد، ويشكلّ بدوره اختلافا في دلالتهما[1].

(1) Frank Neveu, Armand Clin , Dictionnaire des sciences du langage, paris, 2011, p318.

كما يؤثّر العامل النّفسي في تلقّي المعنى وكشفه ليُنتج ما يسمّى الدّلالة النّفسيّة. وترجع الدّلالة المعرفيّة إلى وعي المتلقّي (الذّات) بالوجود وإدراكه للمعنى المنتج على مستوى الذّهن.

استنادا إلى هذا فإنّ علم الدّلالة سيتطوّر ويشهدُ التحوّل المنهجيّ ابتداء من السّيميائيات البنويّة الّتي أرساها غريماس (أستاذ فرانسوا راستي) ،ويواصل في إبراز مكانتها وبيان تجلّيها كونُها تكشف عن نظرية عامة للمعنى، فقد أتاحت السّيميائيات بفضل مفاهيمها المعرفيّة تحليل المعنى، "وهو ليس إلاّ إمكانيّة لتحويل التّشفير، ويتّم تحديده وفق عملية التّحيين الموّجَه ككلّ عملية سيميائيّة" (2).

فالتعرّف على المعنى يكون بفكّ الرّموز أو المكوّنات النصيّة، وإيجاد المكوّنات الدّلاليّة. وكذلك جماعة الأنترفرون (G.d'entrevernes) سعت إلى البحث عن شروط الدّلالة وتساءلوا عن إمكانيتها في النّصوص والخطابات، "ونَفَوا وجود معنى حقيقيّ للنصّ كما أنّه لا يوجد معنى جديد خارجه، ولن يكون معنى آخر، لكنّ السّؤال الّذي يطرحُه السّيميائي هو ؛كيف يقولُ النّص ما قاله؟"(3). وهذا يُحيل على دور السّيميائيّة في الكشف عن المعنى وكيفيّة إنتاجه، فقد يكون المعنى إمّا مُتضمَّنا في النصّ أو خارجه، وهم لا يقصدون المعنى الوحيد بل يدْعُون إلى فرضية تعدّد المعنى ما دامت السّيميائية لعبة تفكيكيّة فالمعنى ليس له مركز محدّد.

---

(1) ينظر : بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006 ص105.

(2) A.J.Greimas , Du sens ; essais sémiotiques, édition du seuil, paris, 1979, p13, p16.

(3) Le Groupe d'entervernes , La Sémiotique des textes , dépôt légale trimeste, France, 1984, p07.

كما أبان البحث عن الدّلالة تحليلات مُتباينة منها التّحليل المحايث والبنويّ وتحليل الخطاب، فقد تختلف مُنطلقاتها ولكنها تصبُو نحو هدف واحد هو المعنى.

ويعتَبر جوليان غريماس أنّ تحليل المعنى مُحايث حيث يندرج ضمن الدّلالة البنوية حيث أشار إليها برنار بوتي لأنّ معرفة البنية الدّلالية تتطلّب ذلك،"وهو خاضع للكلّيات الدّلالية ، أوهي بناء ميتا لساني يعود للكلّيات المقدّمة الّتي اعتبرها غير وجيهة ويظهر المعنى كمُعطى مباشر"[1]، لكّن لا يُفترض في النّصوص التّصريح بالمعنى دائما، لأنّه كامن في بنياته العميقة، بل يحتاج إلى تتبّع تلك الكلّيات الدّلاليّة الّتي تشكّله،فالمعنى وليد الإنتاج والتّأويل والتّداول[2] لأن القارئ يتلقى النص ويكشف مكوناته الدّلالية، ولذلك يقترح الدّلاليّ "فرضيّة بنويّة إمّا أنّه توجد بنية دلاليّة مُنظِّمة لكلّيات المعنى، أو أنّ هذه البنية هي المفترضة للتّحقق من الكّليات الدّلائليّة"[3].يبدأ فهم البنية الدّلالية من التّصور السوسيري لمستوييْ اللّغة أيْ؛ الدّال والمدلول، إذ وجود الدّال يشترط وجود المدلول وهو المعنى النّاتج عن الجمع بين الصّورة السّمعية والمفهوم (التّعبير والمضمون)، ويسمح كلّ تصور بـ[4]:

- اِفتراض التّوازي بين التّعبير والمضمون وإعطاء فكرة عن عالم الوجود وتمفصل الدّلالة.
- اعتبار مستوى التّعبير بمثابة مكوّن اِنزياحي مختلف وهو شرط لحضور المعنى المتمفصل.

وكذلك قدرة أدوات تقييم النّماذج المستعملة لوصف المستوى الدّلالي، وتسمح هذه

(1) A.J. Grimas ,Du sens; essais sémiotiques, p39.

2 () ينظر : سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2015، ص158.

(3) A.J. Grimas ,Du sens; essais sémiotiques,p39.

(4) Idem, p40.

الفرضية بإنشاء البنيّة الدّلالية كتمفصل عن الكلّيات الدّلالية في وحدات دلاليّة صُغرى (سيمات) ترتبط بخصائص تمييزيّة لمستوى التّعبير.

وظهر قبل جوليان غريماس المنشغل بإشكالية الدّلالة برنار بوتييه (BERNARD POTTIER) ، وهو أستاذ فرانسوا راستي حيث أراد "وضع إطار مُنظّم لعالم المعنى الّذي يعالج الوصف الدّلالي"[1] القائم على الآليات والعمليات لتحليل مكوّنات المعنى خاصة بعد الإهمال الّذي شهدته مقارنة بالتّركيب والمعجم.

ثمّ عرض أصناف الدّلالة؛كالدّلالة الإحاليّة والبنويّة، الخطابيّة والتّداوليّة، وبيَّن أهميّة التّركيب في تسيير و تحديد المعنى، واستدلّ على ذلك بقول A.WIERZBICKA :"إذا تحدّدت الدّلالة بدراسة المعنى المشفَّر في اللّغة الطبيعيّة فإنّ التّركيب هو جزء من الدّلالة."[2]

فهو يبرز تأثير التّركيب على اللّغة وانعكاسه في تشكيل المعنى، ولم يكتف بتلك الأصناف المذكورة من الدّلاليّات الأساسية ذات البُعد اللّساني، لأنّها تستقي مفاهيمها وأسُسها من اللّسانيات، بل أضاف أصنافا أخرى من بينها السّيميائيات النّصيّة الّتي تندرج ضمن الدّلاليات المستقلّة، لذا فالسيميائيات السردية تبحث عن الدلالة المضمرة في بنية النص السردي وذلك عن طريق معرفة كيفية إنتاج المعنى[3]، وبالتالي السيميائيات النصية"تأخذ موضوعها من المنجزات اللّسانية الواسعة (الأشعار، القصص الرّوايات) محاولة استخراج البُنى الكبرى المنظِّمة للمعنى، وتعدّ أعمال ج .غريماس – حسب برنار بوتييه – ومدرسته نموذجا متميّزا، ويشكّل النّصّ مبدأ الانطلاق الوحيد عند

(1) Bernard pottier , Sémantique générale, presses universitaire de France, paris, 2011, p12.

(2) Idem, p20.

(3) ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية؛ مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء،ط(د،ط)،2001، ص10.

اللّساني، حيث تُطبَّق الآليات الدّلالية العامة على كلّ الأبعاد في العلامات، وظلّت السّيميائيات النصيّة في مدار اهتمامات اللّساني رغم أنّ عملها عُرِف حول التّرجمات بينما أهملت خُصوصيات تتعلّق بثراء ظواهر اللّغة الطبيعيّة، ويرتبط مَسارُها بالمعنى لمعرفة تلك المفاهيم"[1].

تستمدّ السّميائيات النّصيّة مفاهيمها وآلياتها من اللّسانيات ومركز اهتمامها هو النصّ، لكّن انشغلت بالتّرجمة النّصيّة دون العناية بالمعنى كمكوّن من مكوّنات اللّغة يتمظهر على مستوى النصّ من خلال اتحاد التّعبير بالمحتوى، ومع ذلك يُواصل فرانسوا راستي جهوده فضلا على ما قدّمه أستاذاه (ج. غريماس وبرنار بوتييه) في إرساء علم الدّلالة التّأويلي، وقام بتطويره بدءا من مؤلَّفه الدّلالة التّأويلية (Sémantique Interprétative) عام 1987م، فالنصّ يتضمّن معنى ينبغي إدراكهُ، وإنْ كانت اللّسانيات النّصيّة قد اتّخذت النّصوص موضوعا لها، وذلك بتحليلها قصد معرفة المعنى، فهي تقوم"بوصف النّص كموضوع لسانيّ في خصوصيته وعلاقاته مع مستويات الملفوظ والمورفيم"[2].

فقد تجاوزت مستوى الجُملة إلى مستوى النصّ وتضاعف اهتمامها بوصف البُنى النّصيّة دلاليا، وكذلك تداوليّا من خلال السِّياق الّذي له دور في عملية التّواصل، وهي تحاول أنْ تجمع بين مختلف العلوم الّتي تهتمُّ بالدّلالة، وفقدت جوهرها بإقصائها حيث سعى فرانسوا راستي إلى "تشكيل نظريّة موّحدة لها القدرة على معالجة المستويات الدّلاليّة للمورفيم والملفوظ والنصّ حتّى الأسئلة التّركيبيّة أو المشاكل الموروثة من البلاغة الغربية (الاستعارة – مجاز مرسل – استعارة تمثيليّة)" [3]، فلا ترتبط

(1) Bernard pottier , Sémantique générale, p20-21.
(2) François Rastier ,Sémantique interprétative, p9.
(3) Idem, p10.

الدّلالة بالمستوى النّحوي التّركيبيّ كما قدّمته اللّسانيات بل يجب التّواصل بين مختلف الحقول المعرفيّة كالبلاغة والهرمينوطيقا والفيلولوجيا.

تلك المقدّمات أدّت إلى تأسيس الدّلالة التّأويلية "لتدريس المعنى، وموضوعها الأساس هو النصّ، ليس العلامة، والمعنى هو نتيجة لعملية التّأويل وتعتمد على المعارف المتّصلة بالنّصّ"[1]، فإذا كان فرانسوا راستي يهدف إلى دراسة المعنى، فإنَّ جوليان غريماس اهتمَّ بدارسة المعنى وفق التّحليل البنويّ المحايث، لكّن فرانسوا راستي أبعده ودعا إلى التّلقي التّأويليّ لا إلى توليد النّصوص، ويُشير أنّ النصّ "لا يحتوي على كلّ ما يتطلّبه التّأويل خاصة بناء أو تحديد تشاكلاته"[2]، فالمبدأ المعتمد هو التّأويل للوُلوج إلى معنى البُنى النّصيّة بل إيجاد المكوّنات الدّلالية كالتّشاكل، إلاّ أنّه لا يقتصر على البنية المحايثة للنصّ، إذ يمكن الاعتماد على أقطاب خارجيّة قد يتحدّد المعنى ضمن سياقاتها.

لهذا رفض فرانسوا راستيّ المسار التّوليدي الّذي اقترحه جوليان غريماس وانتقده، لأنّ المعنى لديه يتمركز في النصّ "الخاضع لمسار معقّد من المحايثة إلى التّجليّ"[3]، وذلك بالبحث عن العناصر الدّلالية والشّروط المنتجة للمعنى الّتي تجعل النّص متمظهرا في شكله اللّغوي ويبدُو أنَّ فكرة المحايثة "تفترض دائما الاكتفاء بالموضوع ،وهذا يتلاءم مع تعريف هلمسليف للبنيّة أنّها وحدة ذاتية مكوّنة من ارتباطات داخليّة"[4].

(1) فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطّاب، ص24 .

(2) « Un texte ne contient certes pas tout ce que requiert son interprétation,et notament la construction ou l'identification de ses isotopies », François rastier ,Sémantique interprétative , p10 .

(3) سعيد بنكراد، السّيميائيات السّردية؛ مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001، ص29.

(4) فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه ، ت إدريس الخطاب، ص60.

يعتمد التّحليل المحايث لدى غريماس على الموضوعيّة عكس التّصوّر التّأويلي لدى فرانسوا راستي القائم على الذّاتيّة[1] كونه يدعو إلى تعدّد التّأويلات (المعاني) لأنّه يُقحم القارئ والموسوعة والسِّياق ،والنصّ بدوره حصيلة لمعارف وعلوم مختلفة تُسهم في بناء دلالاته.

كما أشار إلى أهميّة الشّروط التداوليّة في تحصيل البنيات الدّلالية و إنتاج المعنى، فهو يرفض فصل الدّلالة عن التّداولية لأنّ شروطها تؤثر على تحديد المكوّنات الدّلاليّة.

وتبقى الدّلالة في بدايتها تحاول وصف المفاهيم وتعمل على تطويرها، مؤكِّدا الخاصيّة أو الطّابع الوصفي لنظريته الّتي اقترحها[2] (الدّلالة التّأويليّة) ،إذ تتميّز نظرية فرانسوا راستي بوصف المفاهيم الّتي تبنّاها في تأويل وتلقي النصّ، ولا يهدف إلى صياغة منهج لتحليله، محدّدا الأهداف الّتي يسعى لبلوغها:

- ✓ " أراد بلورة منهجيّة لمبادئ وشروط دلاليات مقوّميّة تُدمِج المعطيات التّداوليّة.
- ✓ تحريك المفهوم المركزي الّذي هو مفهوم التّشاكل.
- ✓ مباشرة التّأمل في مواضيع التّأويل ووسائله". [3]

صاغ فرانسوا راستي أهدافه انطلاقا من فرضيات مُتباينة، فالنّص يضمّ أنساقا ومعارف تتفاعل فيما بينها لتشكّله، كما أنّ النصّ نسق لغوي وحصيلة لأنساق سيميائية وأشكال ثقافيّة تنتمي إلى السّنن الاجتماعي وحامل للمعنى مادام أنّه شبكة من العلاقات

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 60.

(2) François Rastier , Sémantique interprétative, p11

(3)المصطفى شادلي، السّيميائيات؛ نحو علم دلالة جديد للنصّ، ت محمد المعتصم، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص168.

، لكّن لا يتحدّد إلاّ بالاستعمال والظّروف المصاحبة له، ويرى فرانسوا راستي أنّ التّداولية جاءت لتسدّ النّقص وتعوّض البلاغة[1] الّتي اهتمت بالتّخاطب وظروفه والمقام.

إنّه يروم دمج المعارف المختلفة اللّغويّة والثّقافية لتأويل دلالة النصّ، لذلك غيرّ نظرته للتّأويل بعدما فرّق بعض الألسنين بين الدّلالة والتّأويل؛ **يقول جورج كليبر:**" لبناء المعنى يجب أنْ نعيد لسيزار دلالته، وللإله تأويله، فهو يَقصد أنّ التّأويل في إطاره الضّيق يهدف إلى البحث في الكلمة دون النّص، وقد حاولتْ الدّلالة التّأويلية أنْ توسّع موضوع وأهداف اللّسانيات، والاستفادة من الهرمينوطيقا مثل الشّعرية والبلاغة والأسلوبية"[2].

فقد تمّ الفصل بين المعنى والتّأويل في حين أوْلَت اللّسانيات اهتماماتها بتأويل الكلمات والجمل، وتتبعّ سيرورتها التّدلالية إضافة إلى اللسانيات النصيّة، لكّن الدّلالة التّأويليّة فتحت دراستها على مجال أوسع من خلال الممارسة التّأويليّة (النصّ)، واستعانت بالهرمينوطيقا لفهم النّصوص ورصد المعاني.وقد بيّن بول ريكور دور الهرمينوطيقا في الكشف عن المعاني المضمرة من خلال تأكيده على العلاقة الجدلية بين التّأويل والتّفسير، حيث يرتبط التفسير لديه بالبنية اللّغوية للنصّ أمّا التّأويل ينفتح على عالم القارئ ليُحيّن معاني النّص.

فالمعنى المضمر أو الخفيّ موجود في التّأويل، "فالدّلالة النصيّة تبقى في كلّ هرمينوطيقا وهي تحدّد الشّروط اللّغوية للتّأويل، وبإمكانها وصف التّأويلات وتقييمها حسب تلك الشّروط، كما

(1) « La pragmatique a remplacé pour une part la rhétorique après l'effondrement de trivium », François Rastier, Sens et textualité , p06 .

(2) فرانسوا راستي، فنون النّص وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص27.

تصف إمكانيات المعاني وتُقيّم درجة معقوليتها خاصة أنّها لا تعرف ما طبيعة المعنى الّذي يجب أنْ تجدَه"[1].

تمكّن فرانسوا راستي من ضمّ الهرمينوطيقا إلى نموذجه التّأويلي الدّلالي، واستفاد منها بعدما ارتبطت بالمعنى الحرفي في النّصوص الدّينية المقدّسة، وتؤدّي الدّلالة التّأويليّة إلى "هرمينوطيقا الصّعوبة الّتي تفترض أنّ الوضوح هو دائرة غزو وليس مُعطى في حدّ ذاته وحين نعتبر أنّ المعنى غير محايث للنصّ أيْ؛ أنّه مرتبط بممارسة التّأويل فإنّ الدّلالة التّأويليّة تطرح المشكل المتعلّق بهذه العوامل، ومنه على الخصوص الوضع الاجتماعي ومتن المرجع ومتن التّعليقات والقواعد المسطّرة والمسارات المسلَّم بها، ومجموع الشّاهدين على التّأويل"[2].

إنّ الدّلالة التّأويليّة مرتبطة بالعوامل المذكورة إضافة إلى العلاقات الدّاخلية للنصّ ، فالمعنى هو حصيلة للسِّياق والتّناصات الّتي يُقيمها النصّ مع النُّصوص الأخرى، وفي هذه الحالة أقصى فرانسوا راستي المرجع بمعناه الدّقيق وعوّضه بالمحيط،"وهو مجموعة الظّواهر السّيميائية المرتبطة بسلسلة لسانية وبصفة عامة السّياق غير اللّساني، وإشكالية المرجع"[3] الّتي وُضعت بعد بناء المعنى والنّص والنسق، لكّن في علاقاتها المتبادلة بين المحيط والمخاطِب.

(1) François Rastier , Sens et textualité, p180.

(2) فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص146.

(3) Louis Hébert, Introduction à la sémantique des textes ,édition, champion, paris, 2001, p30.

إنّ نظرية الدّلالة التّأويلية تهدف إلى تطوير الدلاليّة اللّسانية التي أقرّها دو سوسير، فهي تخصّ الجيل الثّاني من الدّلالة البنويّة الأوروبيّة، كما تختلف عنها في مفاهيمها وقواعدها وتتميّز ببعض الخصائص الّتي حدّدها فرانسوا راستي وهي : [1]

1- تعدّ الدّلالة التّأويليّة مُكونيّة حيث أنّها تُواجه المسلّمات الرئيسة للدّلالة المكوّنية الكلاسيكيّة.

2- تنظّم الدّلالة التّأويلية النّماذج الابستمولوجية الثلاثة بوضع نماذج الإحالة والاستدلال تحت أولوية نموذج الاختلاف، فهي تعدّ مختلفة لأنّ المعنى يعود إلى القيمة (حسب التلّقي السُوسيري للمصطلح)، كما تحدّد الاختلافات اللّسانية الظواهر الإحاليّة – الطّابع الإحالي- وثانيا آثار الحقيقة .

3- إنّها ديناميّة (حركيّة) لأنّها تُثْبت موضوعيتها في وصف المسارات التّأويليّة بالإضافة إلى التّحولات السّياقية لكلّ المراتب في تعديلاتها المقدّمة حول النّص، وخاصة أنّها قادرة على وصف المحتوى الملازم (Inhérent) والمجالية (Afférent) في اللّغة والسّياق، ووصف الدّلالة (السّيمات الملازمة في اللّغة) والمعنى (السّيمات الملازمة والمجالية المحيّنة في السّياق) الحاصل من خلال نظرية التّحيينات والافتراضات الدّلالية مختلفة المحتوى في اللّغة، أو في السّياق بين وحدات النّوع ووحدات التّكرار.

4- تقترح منهجيّة موّحدة لسيم النصّ، وتعالج المحتوى في كلّ مستويات التّحليل الّتي تكون أسُسها المورفيم ، الوحدة المعجميّة، الملفوظ، الزّمن و النصّ.

وضع فرانسوا راستي ترسانة مفاهيميّة توّحد وجود الدّلالة التّأويليّة الّتي عرّفها كدلالة مكونيّة "تُعالج وحدات دلاليّة كالمورفيم ومدلوله أيْ؛ السّيميم، وإنْ كانت الدّلالة المكوّنية(الميكرو دلالية) تهتمّ بمعالجة وحدات محتوى البعد السّفلي لمحتوى المورفيم خاصة مكوّنات السّميم، وهي تنطلق من ملاحظة

(1) François Rastier , Sens et textualité, P8.

بسيطة للتّركيب الصّرفي (rphosyntaxe)"[1]. فمثلا محتوى المورفيم (أَكُونُ) يدلّ على العناصر الآتية: الفعل "كان"، ضمير المتكلم (أنا) المفرد، الحاضر،... (السّيميمات).

كما انطلق جوليان غريماس في نظريته الدّلاليّة من تصوّر هلمسليف التّعبير/ المحتوى وبحث في المحتوى دُون التّعبير عن بنية المعنى، وقد ميّز بين خصائص الشّيء الّتي أشار إليها رومان جاكبسون باعتبارها خصائص تمييزيّة، وتمّ ترجمتها من الانجليزية إلى الفرنسية وسمّاها دوسوسير العناصر الاختلافية، وبين مكوّنات السّيميم الّتي اقترح تسميتها بالسّيم (Séme) ،أمّا السّيمام فله تنظيم يجمع بين النّواة السّيميّة، والسّيمات السّياقية.

يبدو أنّ جوليان غريماس وفرانسوا راستي في دراستهما انطلقا من المحتوى وركّزا على استقراء المستوى السّطحي (شكل المحتوى) بوصف الوحدات اللّسانية والعلاقات الصّرفية والتّركيبيّة لتحديد البُنى الدّلالية الأوليّة، ويلاحظ ذلك لدى جوزيف كورتيس في اعتماده نهج جوليان غريماس في تحليل النّصوص مُنطلقا من شكل المحتوى لبلوغ المعنى، وركّز على المكّون السّردي والخطابي والمكوّن الدّلالي والمكوّن المنطقي المنتجة لمعان تتمظهر على مستوى سطح النّصّ وأخرى في بنيته العميقة [2].

نلاحظ أنّ الدّلالة المكونيّة تمثّل بداية التّحليل للكشف عن المعاني لدى بعض السّيميائين، ويمكن أنْ يتحدّد معنى العلامة اللّسانية وفقا لقيمتها داخل النّسق أو النّظام اللّغوي الّذي تنتمي إليه، أو في اختلافها مع العلاقات اللّسانية المجاورة لها وهو مبدأ أدرجه دوسوسير لمعرفة معناها ضمن المبادئ الّتي تميّزها.

(1) François Rastier , Sémantique interprétative, p22.

(2) ينظر : جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية،ت جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2007، ص121.

كما استطاعت أنْ تحدّد موضوعيتها في وصف مسار التّأويل في ظل تعدّد السّياقات بدراسة السّيمات الملازمة والمجالية.وإذا كانت الدّلالة التّأويلية تتّصف بهذه المميّزات فإنّ المبادئ الّتي عالجتها (المرجع ،الاستدلال، الاختلاف) هي إشكاليات هيمنت وتمركزت حول العلامة (الدّلالة اللّفظية)، لكّن فرانسوا راستي طرح إشكالية معنى النصّ لا العلامة المعزولة، ثمّ اقترح ضمّ هذه الإشكاليات في مرحلتين لوصف المسار التّأويليّ حيث "ربط إشكالية المرجع بالاستدلال تحت نظرية الاختلاف، وتتمثّل المرحلة الثانيّة في تطبيق هذا الجهاز على النّصّ لوصف المسارات التّأويلية، إضافة إلى توحيد الإشكاليّة المعجمية للاختلاف مع إشكالية المعنى وربط السّيميائي بالنّصّي لمعالجة قضيّة الاستدلال والمرجِع"[1].

وإنْ كان مفهوم المرجع يمثّل إشكاليّة عند السّيميائيين، وهو ما تُحيل إليه العلامة اللّسانية في الواقع، حيث أقصاه هلمسليف ودو سوسير من مفهوم العلامة، لكّن شارل سندرس بورس أعاد له الاعتبار.

موضوعيّة المعنى :

توّلد النّصوص الأدبيّة معنى ليس جاهزا، بل يتّم ذلك ضمن سيرورة تأويليّة معقدّة ، حيث "ارتبطت الأبحاث المعرفيّة الحديثة بالمعالجة الآليّة للّغة الّتي أثبتت الطّبيعة المعقّدة لسيرورة التّأويل غير المتوقّعة"[2]، لأنّها تعثَّرت في معالجة اللّغة على مستواها الدّلالي آليا واستنباط معنى النّصوص الأدبيّة .

(1)فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص60.

(2) François Rastier , Sens et textualité, p14.

وقد أثارت الدّراسات حول إمكانيّة تأويل المعنى النصّي إشكاليات متعدّدة بحثا عن الآلية النّاجعة الموصلة إلى المعنى،أمْ أنّ القارئ يتصوّره، ويكون جوهريّا أمْ أنّه متعدّد. فيستطيع المتّلقي المسلّح بمنهج له أدواته الإجرائيّة ومفاهيمه أنْ يتعرّف على معنى النصّ، لذلك أخضع التّيار البنوي النصّ وحدهُ للتّحليل، وتمّ عزلُه عن السّياق غير اللّساني والتّداولي، وقد طبّق جوليان غريماس هذه المنهجية وحلّل نصوصا سردية وفق الآليات الّتي حدّدها (النّموذج العاملي والمربع السّيميائي)، ولم يتجاوز الوحدات اللّسانية إلى السّياق الخارجي بل اقتصر على التّحليل المحايث وعزل النصّ عمّا يحيط به.

لذا فإنّ فرانسوا راستي يرى أنّ"المحايثة تعود إلى تقليد قديم هو الهرمينوطيقا الدّينية القائمة على الوحي الّتي ترى أنّ المعنى مُحايث للنصّ، لأنّ الله أو الإنسان أودعه فيه، فإنّ سوء فهم نمط موضوعيّة المعنى قائم على افتراض معان لانهائية"[1]، فالمعنى لا يجب أنْ يتعدّد ويؤوَّل تأويلات لانهائية حتّى لا يخرج عن الموضوعيّة.

ويعتقد فرانسوا راستي أنّنا ننحرف عن تصوّر موضوعيّ للموضوعيّة حيث يكون المعنى في السيميائيات السردية مرتبطا بمضامين معنوية تتشكل وفق مقولات مجردة جسدها غريماس في مربعه السيميائي[2]، ورغم ذلك يبقى المعنى محايثا وأحاديا، لكن في الدلالة التأويلية يتفاعل القارئ مع النّص بالرّجوع إلى سياقات لسانيّة وغير لسانيّة، بالإضافة إلى ما يمتلكه من معارف وخبرات ثقافيّة واجتماعيّة تؤهّله لتأويل النصّ وصولا إلى المعنى النّصي، "فليست الموضوعيّة سيرورة وحيدة ثابتة، كما

(1) . « L'immanentisme en la matière est issu d'une longue tradition,antérieure à tout projet de description scientifique du sens ,celle de l'herméneutique religieuse ,fondée sur la révélation .le sens serait immanent au texte parce qu'il y a été déposé par Dieu ou par un homme », « Le type d'objectivité du sens consiste à postuler la pluralité indéfinie du sens. » Ibidem.

2() ينظر: سعيد بنكراد،السيميائيات السردية؛ مدخل نظري ،ص 48.

أنّها لا تبتعد عن الوصف العقلي أو العلمي، لأنّ الدّلالة التّأويليّة تسعى إلى وصف الكيفية الّتي يفرض فيها النصّ قيوده لتتوافق، أو تتعارض مع القراءات النّاتجة عنها"[1]، إذ تساعد المكوّنات الدّلالية المتضمنة في النصّ الأدبيّ من إيجاد فرضيات تأويليّة بوصفها معاني موافقة للقراءات الّتي قدّمها القارئ المؤوِّل، وتتمثَّل القيود النصّية في التّشاكلات على مستوى التّعبير والمضمون والسّياق اللّساني وغير اللّساني .

فهو يرى "أنّ ضامن الموضوعيّة يكمن في المحتمل المشترك، والآراء المتوافقة اجتماعيا بدرجات متفاوتة الّتي تؤسّس للمعنى في كلّ الوحدات من الكلمة إلى النّص، ويتمثّل أساس الموضوعيّة في قوانين التّلقي الدّلالي الّتي تسمح بعرض العالم النّصّي"[2].

المبحث الثّاني : التّشاكل بين اتّساق النصّ وانسجامه

عُني فرانسوا راستيّ بالدّلالة التّأويليّة للنّصوص مُعارضا مسار أستاذه جوليان غريماس لكنّه اعتمد على المفاهيم الّتي صاغها في مؤلفه **"الدّلالة البنيويّة"**، واتخذها كأداة إجرائية لتتبّع المعنى من بينها التّشاكل الّذي نال حُظوة واهتمام بعض السّيميائيين، إلاّ أنّ فرانسوا راستي حاول إعادة النّظر لهذا المفهوم، وكان هدفه بلورة منهجيّة متينة وفق شروط وأسُس دلاليّة في إطار المعطيات التّداولية للنّصّ،"وقد عوّضتْ جزءا من البلاغة المقصاة وأخذت موضوع التّخاطُب من النّصّ"[3].

(1) François Rastier , Sens et textualité, p19.

(2) « Dans une situation historique donnée , la garantie de l'objectivation réside dans une plausibilité partagée :il en va ainsi,à des degrés divers ,du consensus social(…)il réside dans les lois de la perception sémantique,qui permettent la représentations du monde textuel », Idem, p20.

(3) François Rastier, Sémantique Interprétative, p06.

كما يتساءل فرانسوا راستي في إطار نظريته – في الدّلالة التّأويلية– عمّا يجعل النّص موحّدا أو ما يضمن وحدته أثناء قراءته وتأويله، وافترض وجود وحدات دلالية في النّص يسعى القارئ إلى تحديدها ووصف علاقاتها.

أولا – ماهية التّشاكل في الدّلالة التّأويليّة:

يؤدّي التّشاكل دورا رئيسا في تحقيق اتّساق النّص وانسجامه، لذلك يلّح فرانسوا راستي على ضرورة "اختبار مفهوم التّشاكل الّذي لا يعتمد بشكل مُباشر على التّراكيب النّحوية ، ويبقى غير مبال بالمزاعم المحدّدة للجملة"[1]، وهذا يدّل على أنّ التّشاكل لا يقوم على البُنى التّركيبيّة لوحدها، ولا يقتصر على الجملة بل يُدرس على مستوى النّصّ كعلامة كبرى، وتجدر الإشارة إلى أنّ التّشاكل بوصفه آلية للتّأويل الدّلالي له القدرة على النّسج بين عناصر النّص لتحقيق اتّساق المعنى وانسجامه[2].

ووسّع هذا المفهوم بدلالة تتجاوز أستاذه جوليان غريماس الّذي اقتبسه منه، ويقول "إنّ الأساس يبقى في القدرة على معالجته بواسطة نظرية موحّدة الدّرجات الدّلالية مثل المورفيم، الملفوظ، والنّص، بل القضايا التّركيبية أو المشاكل الّتي خلّفتها البلاغة"[3]، حيث اعتمد فرانسوا راستي على مفهوم التّشاكل لأنّه يساعد على تحديد دلالة النصّ، لكّن شحنَه بدلالة واسعة، إذ لم يهتم به على مستوى المضمون – حسب غريماس – بل يشمل أيضا الشّكل، وهذا يُحيل إلى أنّ مفهوم التّشاكل عنده

(1) Idem, p10.

(2) ينظر: François Rastier, Sémantique et recherches cognitives ,presses universitaire de France,1991, p247.

(3) François Rastier, Sémantique Interprétative , p10.

مختلف عن المفهوم الّذي صاغه أستاذه ألجيرداس غريماس، فاستعاره منه ، وقد طوّره بدوره جوليان غريماس عن ميدان الكيمياء وحوّله إلى التّحليل الدّلالي مانحاً إيّاه دلالة خاصة باعتبار مجاله التّطبيقيّ الجديد"[1].

وعن طريق هذا المفهوم استطاع جوليان غريماس إيجاد مصوّغ يضمن وحدة النّصّ دلاليّا، حيث عرّفه انطلاقا من مؤلَّفه "الدِّلالة البنويّة"، حينما حاول دراسة "تشاكل الرّسالة النّاتج عن الوحدات التّركيبيّة لها، ذات الطّبيعة التّراتبيّة، كأنّها أُطر في داخلها تقع تكرارات البُنى المورفولوجيّة المحدّدة نتيجة تكرارها، ويمكن للتّكرار النّحوي أنْ يُقدّم نموذجا لفهم التّشاكل الدّلالي للرّسالة(..)، كما أنّ تصنيفا محدّدا من الكلاسيمات لشكل المضمون يُكوِّن تشاكل الرّسائل تركيبيّا"[2].

وبعد محاولاته الأولى لتحديد هذا المفهوم الّذي يجعل النصّ مُنسجما وفق وحدة عضويّة ، ندرك من خلال غريماس أنّ التّشاكل "هو مجموعة متكرِّرة من المقولات الدّلالية الّتي تجعل إمكانيّة قراءة موحَّدَة للحكاية، مثلما تنتُج عن قراءات جزئيّة للملفوظات، وعن حلّ غموضها الّذي يقود إلى البحث عن قراءة واحدة"[3].

يسمح تكرار المقولات الدّلالية (سيمات أو كلاسيمات) بقراءة موحّدة للنصّ، ولتكون القراءة متشاكلة يتّخذ على إثرها دلالته، إلاّ أنّ النّاقد "محمد مفتاح" اِنتقد هذا التّحديد الذي قدّمه جوليان غريماس وعاب عليه استعماله مُصطلح المقولات الدّلاليّة (أيْ؛ المعنويّة حسب محمد مفتاح)،

(1) A.J. Greimas, J. Courtés, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du language , p107.

(2) A.J.Greimas, Sémantique structurel ,p69,p70.

(3) A.J.Greimas, Du Sens, essais sémiotiques, p188.

"ويُقصدُ بها المقوّمات الأساسيّة الّتي يتبنّاها أصحاب اتجاه التّحليل بالمقوِّمات، وكان خليقا به أنْ يتجنّبه لأنّ ذلك التّعبير تولّدت عنه مفاهيم أخرى مثل: مُقوِّم، مقوِّم سياقي، فهذا التّعريف يقتصر على التّشاكل المعنوي وعلى الحكاية، بينما التّشاكل يرتبط بكلّ تركيب لغوي"(1).

لقد اهتمَّ جوليان غريماس بالتّشاكل من ناحية المضمون مُتناسيا الشّكل، ونظرا لتحديده الضيّق للمفهوم، دفع ذلك فرانسوا راستي لتوسيعه، وباعتباره عنصرا مُهمّا في إزالة الغموض وحالات اللّبس عن النصّ.

فقد عرّفه بقوله: "هو تكرار لوحدة لسانيّة"(2)، إذ لم يخصْ التّشاكل بمستوى لغويّ محددّ رغم أنّه أبان عن دوره في كشف البُعد التّركيبي للّغة، وتوّصل إلى هذا التّحديد بعد دراسته لقصيدة ملارميه، ثمّ اقتفت جماعة مو (mu -µ) خُطاه مقترحة حدّا له، فهو"تكرار مقنّن لوحدات الدّال نفسها صوتيّة أو كتابيّة، أو تكرار لنفس البنيات التّركيبيّة (عميقة أو سطحية)"(3)، ويتعلّق التّشاكل عند جماعة مو(mu -µ) بالتّشاكلات على مستوى النّصوص الشّفوية أو المكتوبة، ويشمل هذا التّحديد التّعبير والمضمون، ويخصّ مكوّنات النصّ كلّها كالأصوات، والتّركيب والإيقاع وغيرها، كما أنّ جماعة مو البلجيكية (mu -µ) لم تقرنه بجنس أو متن لُغوي محدّد (نص أدبيّ، علميّ، فلسفيّ...).

وانتقدت جماعة مو(mu -µ) تحديد جوليان غريماس للتّشاكل، لأنّه أغفل عنصرا أساسيا في النصّ بوصفه علامة، وهو التّعبير، وعُني بالمعنى مهملا البعد التّركيبي المنطقي، لأنّ ما يعدّهُ جوليان

(1)محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري؛ استراتيجيّة التّناص، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء ،ط3، ،1992، ص20-21.

(2) « Nous considérons que l'isotopie est constituée par l'itération d'une unité linguistique. », François Rastier , Sémantique Interprétative , p94

(3)محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص20-21.

غريماس تشاكلا في ملفوظ ما، قد يكون منعدما عند جماعة مو (mu -µ)؛ مثل :" اللّيل هو النّهار- الزّمان"[1]. لقد اعترى تحديد جوليان غريماس للتّشاكل من وجهة نظر فرانسوا راستي اللّبس كونه اقتصر على ظاهرتيْن تُسهمان في تكوينه كتكرار الكلاسيمات أو السّيمات السّياقية، وتنوّع وحدات الظّاهرة [2]، فرأى فرانسوا راستي أنّه تعريف عامّ يحتاج إلى توضيح وإبانة.

فإذا كان التّشاكل يحقّق وحدة النصّ من منظور جوليان غريماس فإنّه قائم على تشاكل أُحادي تعكسُه التّمظهرات الخطابيّة المختلفة للنصّ، خاصة على مستوى بنيته العميقة[3]، أمّا فرانسوا راستي جعل وحدة النصّ مرهونة بتصوّره للتّشاكل المتعدّد، مُقصيا التّشاكل المختزل أو الأحادي عند جوليان غريماس، فالعناصر المكوّنة للتّشاكل تُنتج تشاكلات لانهائية، ذلك "بإسقاط المبدأ المعادل للمستوى الاستبدالي على المستوى التّركيبي، وقد وضع هذا الإسقاط **رومان جاكبسون** لوجود وظيفة لسانية تأسيسيّة لا علاقة لها بالوظيفة الشّعريّة"[4]، واستنتج بأنّ "العلاقة الأساسيّة الّتي تجمع البُعد الاستبدالي بالبعد التّركيبي تصبح تكرارا للمضامين المنتمية كلّيا أو جزئيا لنفس الاستبدالات على امتداد السّلاسل التّركيبية"[5].

لا ينكر فرانسوا راستي البعد التّركيبي أو المحدّدات التّركيبيّة في بناء التّشاكل، وإسقاط البُعد الاستبدالي على البُعد التّركيبي يحقِّق توازيا تناظريا، كما يؤدّي إلى توليد تشاكلات جديدة ضمن ما

(1) المرجع نفسه، ص22.

(2) ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابيّة، ت جمال حضري، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ،ط1، 2007، ص81.

(3) ينظر: محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن، ط1، 2017 ، ص204.

(4) François Rastier , Sémantique Interprétative , p95.

(5) Idem, p96.

تُتيحه السّلسلة الاستبدالية لكنّه رفض الخلط بين مفهوم المجاورة(contiguïté) الّذي صاغة **رومان جاكبسون،** وهو شرط للعلاقات التّركيبيّة ومفهوم التّشاكل.

وبالإضافة إلى نفيه ارتباط العلاقات المكوّنة للتّشاكل بالتّجاور، وإنّما تنقاد إلى مبدأ الجهة، لذلك يمكن تحديد عدد من التشاكلات المختلفة في النص ليعاد تشكيلها انطلاقا من القراءات المختلفة لاستنتاج دلالة النص بعد انتقاء السياق المناسب [1].

ومن خلال جمع فرانسوا راستي بين البعدين التركيبي والاستبدالي، فذلك يؤكّد أنّ التّشاكلات بُنى دلاليّة عميقة ترتبط بالمكوّنات الاستبدالية وليس بالمكوّنات التّركيبيّة فقط، لتسمح ببناء المعنى النّصي على المستويين التّركيبي والاستبدالي، ويصبح التّشاكل بالنسبة إليه قائما على البُعد الاستبدالي، فلا يقتصر على السلسة التّركيبية للملفوظ وحدها، حيث يحدّد فرانسوا راستي التّشاكل "بوصفه ظاهرة استبدالية (paradigmatique)" [2].

فلم يحدّده على المستوى التّركيبي فحسب بل هو موزع بين المستويْن، وهو ليس مَبنيا منطقيا، وغير منتظم، فيتصوّره أنّه "متوالية منسّقة وليس مجموعا منظّما منطقيا، يُغلِّب علاقات تساوق وتَعادل بين مكوّنات مُتشاكلة"[3]، رغم أنّه لا يمكن التّخلي عن السّلسلة التّرابطيّة أو التّركيبيّة في تحديد المسار التّأويلي للنصّ، لأنّها قد تحدّد تشاكلا ضمن سياق ما.

(1) ينظر : المصطفى شادلي، السيميائيات ؛ نحو علم دلالة جديد للنص، ت محمد المعتصم،ص 176.

(2) «L'isotopie est donc définie ici comme un phénomène paradigmatique », François Rastier , Sémantique Interprétative, p89.

(3)المصطفى شادلي، السّيمائيات؛ نحو علم دلالة جديد للنصّ، ت محمد المعتصم، ص 175.

في التّعريف الّذي صاغه فرانسوا راستي اهتم بالتّشاكل على مستوى السلسلة التّركيبيّة للكلام (أيْ؛ الشّكل) المنتظمة، إضافة إلى العناصر الاستبدالية الّتي تنتج تشاكلات مُتباينة تؤدّي إلى انفتاح النصّ على دلالات متعدّدة ويكون بذلك ربط بين التّعبير والمضمون، وجعل معنى النصّ ينفتح على تعدّد التّشاكلات، عكس ما أورده جوليان غريماس بأنّه توارد أو تكرار لمقولات دلاليّة متضمّنة في مستوى شكل المضمون.ويبدو أنّ "مفهوم التّشاكل جاء به غريماس، وهو يعود في أصله إلى المشروع الدّلالي الّذي قدّمه برنار بوتي (POTTIER)، فيما يخصّ مصطلح الكلاسيم*، و يَعُدّه جزءا من السّيميم يضمُّ مجموع السّيمات النّوعية"[1]، حيث إنّ هذا المفهوم أقرب نظريا لمصطلح التّشاكل لدى جوليان غريماس، وفي المقابل نجد أنّ الكلاسيم هو سيم سياقي حسب ما قدّمه جوليان غريماس مقترحا "تمفصل العالم الدّلالي إلى وحدات دُنيا للتّدليل (أوسيمات) موافقة للخطوط الفارقة لمستوى التّعبير (أو الفونيمات)" [2] ،حيث جعل أدنى وحدة دلاليّة هي السّيم الّذي ليست له وظيفة إلاّ في ارتباطه مع سيم آخر، ويمكن القول أنّه محدّد يتعلّق بالدّال (اللّيكسيم).

وحاول النّاقد العربيّ محمد مفتاح صياغة مفهوم آخر للتّشاكل مُستدركا النّقائص المسجلّة في تحديد جوليان غريماس ، وجماعة مو (mu -µ) المنتقِدة بدورها لتحديده عند جوليان غريماس حتّى يضمّ إليه ظواهر لا تنتمي إلى النصّ المراد تحليلُه.

* الكلاسيم : هو جزء من سميم الّذي يصنّف مجموعة السّيمات التّوليديّة.

(1) François Rastier , Sémantique Interprétative, p88.

(2) A.J. Greimas , Du Sens; essais sémiotique, p40.

ويعرّفه بقوله: "هو تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتيّة ومعجميّة وتركيبيّة ومعنويّة وتداولية ضمانا لانسجام الرّسالة"[1]، حيث يُطابق تحديد محمد مفتاح ما أشار إليه فرانسوا راستي فيما يخصّ مفهوم التّشاكل – التّشاكل على مستوى التّعبير والمضمون – وهو آلية تحقّق انسجام النصّ،كما أضاف تشاكلات أخرى تتعلّق بالأصوات ويكون بتكرارها أو اللّعب ببعضها خاصة المعتمدة في النّصوص الشّعرية إمّا بطريقة اختيارية أو إلزامية.

ويُسهم ذلك في إنشاء تشاكلات مُتباينة تجعل النصّ مفتوحا على تعدّد دلالاته ،كما ركّز على البُعد التّداولي الّذي قرنَه فرانسوا راستي بقراءة النصّ، ويُعنى بعلاقة المتكلّم واستعماله للّغة المرتبط بالسّياق المحقّق لعملية التّواصل والتّفاعل النصّي، وكان فرانسوا راستي أوْلى اهتماما بالغا بالسّياق وبمختلف أشكاله ودوره في تأويل النصّ الأدبيّ.

وقد أدرك جوزيف كورتاس بعد تتبّعه للدّراسة الّتي قام بها لفرانسوا راستي أنّ التّشاكل هو تكرار لوحدات لسانية ظاهرة أو غير ظاهرة، تتعلّق بشكل التّعبير أو المضمون مع وجود علاقات ترتبط بين مستويات التّشاكل المختلفة[2]، وإنْ كان جوزيف كورتاس مؤيِّدا أستاذه جوليان غريماس بوصف التّشاكل ظاهرة تركيبيّة.

كما أنّ الطّرح النّظري الّذي قدّمه فرانسوا راستي"جعل للتّشاكل قدرة دلالية، لأنّه يجمع بين التّحليل المفردي والتّحليل الجُملي والتّحليل النصّي، ويتجاوز المعاني الظّاهرة في النّص إلى إيحاءاته الكاشفة عن التّصوّر الأنطولوجيّ والمعرفي والعاطفي للإنسان، وعن حاجاته وآليات إشباعها عبر

(1)محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، ص22.

(2) J .Courtes, Analyse Sémiotique du discours de l’énoncé à l’énonciation,paris ,1991,p196.

المتخيّل والمعقلَن"[1]. فالتّشاكل عنده لايُعيّن المعاني السّطحية في المفردات والجُمل والنصّ، بل يتجاوز إلى المعاني الإيحائيّة ليؤسّس دلالة موحَّدة لها، وليُدرك مضامين الخيال والفكر الإنسانيّ الّتي يعتمدها المؤلِّف في إبداع نصّه الأدبيّ .

ثانيا– طبيعة مكوّنات التّشاكل عند فرانسوا راستي:

أثناء معالجة فرانسوا راستي لمفهوم التّشاكل وفق رؤيته الجديدة طرح طريقتيْن لتوسيع نطاق هذا المفهوم أوّلُهما توسيعه على مستوى التّعبير، وقد استحسن جوليان غريماس الأمر لأنّه اهتمّ بالجانب الفونيمي إضافة إلى ميشال أريفي.

أمّا فيم يتعلّق بالمحتوى فلا يتحدَّد بتوارد الكلاسيمات بل عن طريق السّيمات الخُصوصية أو السّيمات النّووية[2]، حيث يَعدّ فرانسوا راستي المكوّن الدّلالي"سيم"(Sème) أصغر وحدة تنشئ التّشاكل أو هو من المكوّنات الدّلالية الصُغرى وهي تتمايز بين سيمات توليدية* وسيمات خصوصية** وذلك حسب برنار بوتي(POTTIER) ، فالسّيمات التّوليدية هي وحدات[3] استبدالية عميقة تولّد تشاكلا يرتبط بالحقل أو السّيم الدّلالي الّذي يتكرّر فيه، وقد حدّدها فرانسوا راستي في ثلاثة أقسام تمتدُّ من الأقرب إلى البعيد، وهي التّيكسام (taxèmes) أو الأقسام الدّنيا، والمجالات (dommaines)، والأبعاد(dimensions).[4]

---

(1)محمد مفتاح، التّلقي والتّأويل؛ مقاربة نسقية، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1994، ص159.

(2) François Rastier , Sémantique Interprétative, p91.

* Séme générique

** Séme Spécifique

(3)محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، ص22.

(4) François Rastier , Sémantique Interprétative, p50.

أمّا المقوّم*** (سيم) الخُصوصي فتأثيره محدود نسبيا، حيث تنحصر وظيفته في التّمييز بين الكلمات المنتمية من نفس القسم الدّلالي الأدنى التّيكسام(taxèmes) (1)، فيؤدّي ارتباط السّيمات التّوليدية بتلك الأقسام والحقول الدّلالية إلى إنتاج سيمات توليديّة مُتباينة لإنشاء تشاكلات خاضعة إلى الحقول الدّلالية.

إذ تنتجُ الأقسام الدّنيا (taxèmes) تشاكلات خُصوصية وتشاكلات توليديّة قريبة ، أمّا المجال فيُقيم تشاكلات توليديّة متوسطة ، ويُنتج البُعد تشاكلا بعيدا (2).

إنّ التّشاكلات الّتي حدّدها غريماس يتموضَع أحدها على المستوى الدّلالي ويسمّى التّشاكل الدّلالي، أمّا الثّاني يكون على المستوى السّيميولوجي، ويُسمى التّشاكل السّيميولوجي، فالتّشاكل الدّلاليّ "يتألّف من تكرار للمقولات الكلاسيميّة أيْ؛ الكلاسيمات أمّا التّشاكل "السّميولوجي يتكوّن من تكرار واستمرار للمقولات النّوويّة أيْ؛ السّيمات النّوويّة" (3).

لقد أبان هذا التّقسيم عن وجود فرق بين تحديد فرانسوا راستي وجوليان غريماس لأنّ التّشاكلات الدّلالية هي ما يحدّده الكلاسيم أيْ؛ محدّداته المتمظهرة في العالم الخارجي أمّا التّشاكلات السّيميولوجية فيُقصد بها السّيمات النّووية الّتي تشكّل اللّيكسم،"وتعدُّ الأولى ذات طبيعة داخليّة بوصفها مقولات الفكر الإنسانيّ ، أمّا الثّانية فهي في نظره ذات طبيعة خارجيّة بوصفها

***يترجم المؤلِّف (السِّيم) إلى (مقوِّم).

(1)محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، ص206.

(2) « Taxèmes :isotopies spécifiques et isotopies microgénériques .Domaines : isotopies mésogénériques .Dimansions : isotopies macrogénériques. » louis Ibért , Introduction à la sémiotique des textes , p82.

(3) La groupe d'enterverne , La Sémiotique des textes, , presse université,lyon,1984,p123,p124.

فَهم للعالم الخارجي الّتي تُمظهر الدّلالة (....) فإنّ نوعا من هاته السّيمات سيكون لها علاقة بصور الواقع الخارجي السّميولوجي(Fugures Sémiologies)."[1]

مع العلم أنّ هذه السّيمات ليست وحدات لسانية، وإنّما "تشكيلات مفهوميّة"[2] كما أنّ ارتباط السّيمات التّوليديّة والخصوصية بالحقول الدّلالية يُنتج تشاكلات متعدّدة يُمكن تصنيفها كالآتي :

1- تنتِجُ تكرارات السّيمات التّوليدية القريبة (Sémes microgenirique) قسما دلاليا أدنى التيكسام (Tascèmes)[3] ، فالسّيم التّوليدي القريب / أدوات الأكل/ المحيّن في كلمات "ملعقة" و"شوكة" "سكين" و"صحن" يؤدّي تكراره إلى إنشاء تشاكل توليدي قريب (Isotopie microgénirique) يحمل الاسم نفسه // أدوات الأكل// .

2- سيمات توليديّة متوسطة (Sémes Mésogéniriques) تُدرج الوحدة المعجميّة ضمن حقل دلالي أكثر عمومية، هو المجال لأنّه يتضمّن بدوره مجموعة من الأقسام الدّنيا (Taxémes)، وهو كما "يرى برنار بوتي (POTTIER) مرتبط بالجماعة لأنّه يُبَنيِن التّمثلات اللّسانيّة لممارسة اجتماعية مسنّنة"[4]. ويؤدّي تكرار هذا الصّنف إلى بناء تشاكل توليدي متوسط (Isotopie Mésogénirique) مثل : // حقل التّغذية// بوصفه مدلولا متوسطا (مجاليا) لمفردات: ملعقة، صحن، سكين، فتكرار هذه السّيمات يُنتج تشاكلا توليديّا متوسطا.

3- سيمات توليديّة بعيدة (Sèmes macrogénérique) تُدرج الوحدة المعجميّة ضمن طبقة تعريفية أكثر عمومية وهي البعد (Dimension) ، حيث تتمفصل فيما بينها من خلال

(1) التّشاكل والفعل الاستعاري في النّصوص الأدبية، فضلية قوتال، مجلة سيميائيات، ع2، منشورات دار الأديب، وهران،خريف 2006، ص94.

(2) François Rastier , Sémantique Interprétative , p26.

(3) محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة ، ص206.

(4) François Rastier, Sens et textualité, p55.

مجموعة من التّعارضات المخترقة للعوالم الدّلالية مثل : //متحرّك// و // جامد// //حيواني// و// إنساني//، //حيواني// و // نباتي// ،بالإضافة إلى وجود تعارضات معجمية مثل :"نحن" و"هذا"[1].

يُنتج تكرار هذه السّيمات تشاكلا توليديّا بعيدا(Isotopie Macrogénerique) كما تطبّق نفس القاعدة على السّيمات الخصوصية لينجم عنها تشاكل خُصوصي الّذي يُسمّيه فرانسوا راستي "الموضوعة (Thème) أو الموضوعات الخُصوصيّة، فالتّقابل بين السّيمات الخُصوصيّة والسّيمات التّوليديّة يكون نسبيّا، لذلك فإنّ السّيمات الخصوصيّة لا ترتبط بطبقة دلاليّة محدّدة، أو أنّ مضمونها المعجميّ لمثل تلك السّمات الخُصوصية الّتي تمّ اختبارها لموضوعات ذات الصّلة بالمكوّنات التّوليدية في حقل دلالي على الأقلّ"[2].

يدلّ ذلك على أنّ التّشاكل الخُصوصي أقلّ أهميّة من التّشاكل التّوليدي، لأنّ السّيمات الخُصوصية لا تعتمد على معجم محدّد، وبالتّالي التّشاكل الخُصوصي (الموضوعة) ثابت نسبيا عن التّشاكل التّوليدي.

إنّ تكرار السّيم في أحد الاتجاهين الدّلالين التّوليدي أو الخُصوصي وارتباطه بأحد الحقول الدّلالية يؤدّي إلى تعدّد المعنى للنصّ إمّا في البعد الاستبدالي الّذي يُنتج تشاكلات توليديّة، وإمّا في البعد التّركيبي الّذي يُتيح تشاكلا خصوصيا أيْ؛ موضوعة [3]، وهذا التّكرار للمعاني والدّلالات يندرج ضمن مقولة دلالية لها دور في إنتاج المعنى الكامن في النصّ.

(1) Idem, p56.

(2) Ibidem.

(3) ينظر: محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، ص207.

ويُمثَّل للتّشاكل الخُصوصي بكلمتي"«الميترو»و«حافلة» المنتميتان إلى القسم الأدنى (Tascème) //وسائل النّقل // إذ يُمكن اختيار سيمين خصوصيين (حديدي) ضدّ (طُرقي) من زواية تقنية، أو (بطيء) ضدّ (سريع) من زاوية تجارية استهلاكية أو / فوق أرضي/ ضدّ /تحت أرضي/ من الزّاوية الطّوبوغرافية"[1] .

إنّ التّشاكلات التّوليدية القريبة والمتوسطة والبعيدة، والتّشاكلات الخُصوصية تندرج ضمن نمط التّشاكل الدّلالي بمعناه المقيّد الّذي أرساهُ فرانسوا راستي، لكّن القارئ يمتلك كفاءة لتحديد السّيمات المنتجة للتّشاكل ويُسهم في بنائه، ويسمّى هذا النَّوع من التَّشاكل عند فرانسوا راستي التّشاكل الدّلالي، كما أضاف نوعا آخر ويسمّى التّشاكل النّحوي، وقد خصّ كلّ نوع بمجموعة من المعايير المختلفة .

ثالثا– السّيمات المُلازمة والسّيمات المجالية عند فرانسوا راستيّ :

إنّ السّيم هو عنصر أساسيّ في تكوين سيميم، حيث يعدّه فرانسوا راستي وحدة دلاليّة صغرى، "فهو وحدة دنيا للمعنى وميزة لها صلة بالمحتوى الدِّلالي "[(2)]، وإنْ كان برنار بوتي (pottier) قد درس الكلمة، لكّنه لم يُعِر اهتماما للعلاقات الموجودة بين السّيمات الّتي تشكّل دلالتها، فقد اعتمد على تجزئتها، ويعدّها جوليان غريماس أيضا وحدة دُنيا للمعنى

(1) La microsémantique, François Rastier, texto ! juin 2005, VOLX, N°02URL :http://p://wwwrevue-texte.net/inedits/rastier-Microsémantique.htmL.

(2) François Rastier, Sémantique Interprétative ,p18.

، وارتباطها فيما بينها يشكّل لكسيما عن طريق علاقات تراتيبيّة[1]، عكس ما يعتقده برنار بوتي (Pottier) أنّه وحدة بسيطة لها خاصة تمييزيّة، وتكرار هذه السّيمات ضمن سيميمات يحدّد التّشاكل.ويفترض وجود وحدتين مختلفتين على الأقّل، وتكون – حسب جوزيف كورتيس– لا نهائية والسّيم هو مجموعة من الخصائص التّمييزيّة لشكل المحتوى[2].

اختلف تحديد فرانسوا راستي لنمط سيم عن تحديد غريماس الّذي أشار إلى السّيمات السّياقيّة والسّيمات النوويّة، حيث ميّز بين سيمات تحدّد معنى اللّكسيم بعيدا عن السّياق ، وسيمات أخرى تحدّد معنى اللّكسيم من خلال ارتباطه بلكسيم آخر[3].

فالسّيمات الأولى هي سيمات مُلازمة (Sèmes Inhérents) والأخرى سيمات مجالية (Sèmes afférents) .

إنّ السّيمات الملازمة تندرج ضمن النّسق الوظيفيّ للّغة، أمّا السّيمات المجالية فهي أنماط من التّدوينات والمعايير الاجتماعيّة حتّى اللّهجات (اللّغات الفردية)[4]، وانطلاقا من نسق اللّغة نتعرّف على السّيمات الملازمة للكسيمات، لأنّها موروثة نتيجة تكرارها في الممارسات الاجتماعيّة، وهي رهن الذّاكرة لها القدرة على تحديد المعنى النصّي .

كما لها دور في وضوح فكرة أو أفكار النصّ، أمّا تحديد السّيمات المجالية يحتاج إلى مؤوِّل يعتمد السّياق النّصي أوخارجه، إذا كان النصّ قائما على آلية التّناص، وهذا النّوع من السّيمات

---

(1) « Le lexème ne nous apparaît plus comme une simple collection sémique , mais comme un ensemble de sèmes reliés entre eux par des relations hiérarchiques. », A.J.Greimas , Sémantique structurel ,p36.

(2) J.Courtés , Analyse sémiotique du discours De l’énoncé à l’énonciation , p27.

(3) ينظر: ماري نوال غاري بريو، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ت عبد القادر شيباني فهيم، ص109.

(4) François Rastier , Sémiotique Interprétative , p44.

ضروري لنظريات الغُموض[1]، المقصية للمعنى الواحد أو الحرفيّ للنصّ والدّاعية إلى تعدّده، باعتبار الغُموض ظاهرة تُعيق عملية التّواصل وتجعلها غير ممكنة، وتَفرضه معايير خارجة عن وظيفيّة اللّغة، وقد يَنتُج عن السِّنن الثّقافيّة.

تسمح العمليات في الدّلالة التّأويليّة "بتحديد السّيمات الملازمة، وبالنسبة إلى السّيمات المجاليّة فهي ليست من نفس النّمط، لكنّ هذين النّوعين لهما دور في وصف السّميمات في السّياق لفهم ظاهرة الاتّساق النصّي"[2] .

يُمثّل السّيم الملازم معنى الكلمة بشكل جليّ لأنّه ينتمي إلى اللّغة وحاضر في مستواها المعجمي، فلا يحتاج إلى السّياق لتعيينه، ففي لفظ "**دائرة** المتموضِع في سياق ما يتحدّد سيمه الملازم /شكل/"[3]، أو السّيم الملازم /أسود/ في لفظة "**غراب**"[4].

أمّا الصّنف الثّاني يخصّ السّيم المجالي المرتبط بالتواضعات والسّياقات، والاستعمالات اللّغوية لفئة اجتماعيّة معينة الّتي بإمكانها الارتباط بكلمات أخرى ضمن السّياق لتحديد السّيميم مثل لفظة "ربيعي" ؛في قولنا:" (قد يكون العام القادم الرّبيع ربيعيّا) فإذا كان السّيم الملازم لـ "ربيع" هو /الفضاء

(1) ينظر : فرانسوا راستي، فنون النص وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص161.

(2) « Pour une sémantique interprétative ,les opérations permettant d'identifier les sèmes inhérents ne seront donc pas du même type que celles qui permettent de construire les sèmes afférents .Ces deux propositions nous paraissent indispensables pour décrire le fonctionnement des sémèmes en contexte ,et plus généralement ,rendre compte des phénomènes de cohésion textuelle. », François Rastier , Sémantique Interprétative , p44-45

(3) Ibid, p132.

(4)فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص356.

الزّمني/، فإنّ لفظة "ربيعي" تكتسب معناها في هذا السّياق، ويتحدّد السّيم المجالي لها /المكان الذي يقضي فيه وقتا رائعا/"[1] والمقصود به الزّمن.

وتشكّل السّمات المجاليّة أيضا التّشاكل، ولا تتحيّن إلاّ في إطار السّياق الّذي يُكسبها المعنى، بينما يتمّ تحيين السّمات الملازمة خارج السّياق مع إمكانية التّحيين في ظلّ السّياقّ ، ويهدف تحيين السّيمات الملازمة والسّيمات المجالية إلى تمييز المدلولات الوظيفيّة للّغة أو المعاني المعجمية وعلاقاتها بالسّياقات النصّية[2]، ففي حضور بعض الوسائط يمكن إنتاج معنى للسّيمات المجاليّة خاصة (السّياق).

يتجلّى من خلال الصّنافة الّتي وضعها فرانسوا راستي بإيجاد نمطيْن للسّيم الملازم والمجالي أنّه تجاوز تصنيفات غريماس، لأنّه لم يربط السّيمات المحيّنة بالسّياق الخارجي، بل اعتمد على التّشاكلات المحايثة الموجودة في عالم النصّ وكيانه، من بينها التشاكلات السّيميولوجية حيث اقترح فرانسوا راستي أنْ يصوغها في إطار التّشاكل الدّلالي ضمن نوعين من التّشاكل أحدُهما أفقي والآخر عمودي،"إذ ترتبط التّشاكلات الأفقيّة بتوارد لسيم في فواصل مُختلفة لمقطع من الخطاب ، ويظهر السّيم في تركيب مختلف أيْ؛ أنّه مرتبط بلكسيمات مختلفة لها علاقة بالمعنى ،أمّا التّشاكل العمودي فهو يرجع إلى الاستعارة، لأنّها ملفوظ (لكسيم) يحيل على قيمتين دلاليتيْن، إحداهُما أدبيّة والأخرى استعارية"[3].

---

(1) François Rastier , Sémiotique Interprétative, p132.

(2) ينظر : محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، ص208.

(3) Y.GILLI, A propos du texte littéraire et de F. Kafka, Théorie et pratique , paris, 1985, p30.

يمكننا أنْ نستنتج وجود تشاكلات متعدّدة حسب فرانسوا راستي من مستوى إلى مستوى آخر، ولها قابلية لإنتاج المعنى النصّي، فلا يتجلّى المعنى ويتمظهر إلاّ بتعاضد تلك التّشاكلات فيما بينها، على خلاف غريماس الّذي اختزل المعنى إذ جعله وليد تشاكل وحيد وهو ما استبعده فرانسوا راستي .

كما ألفى في دراسته لبُنى الكلّيات الدّلاليّة في النّصوص الأدبيّة أنّ التّشاكلات التّوليديّة تنشئ "علاقات استعارية وتناظرية"[1]، وهذا يحيل على تباين التّشاكلات في النّصوص وتنوّعها، وقد مثّل فراسوا راستي لبنياتها الدّلالية بالبنية الجدوليّة.

رابعا– التّشاكل النّحوي :

قسّم فرانسوا راستي التّشاكل إلى تشاكلات دلاليّة مقيّدة مرتبطة بمجموعة من الحقول الدّلالية التيكسام، البُعد والمجال، كما سُميّ هذا النّوع بالتّشاكلات الاختيارية وأضاف التّشاكلات النّحوية (Isosémie) الّذي "يتحدّد من خلال النّسق الوظيفيّ للّغة"[2].

يخضع التّشاكل النّحوي للقواعد النّحوية الّتي تنظّم اللّغة بوصفها نسقا وظيفيا (العامل) إضافة إلى دراسته لمجموعة من الظّواهر النَّحوية مثل: الجنس، العدد، الشّخص، المظهر،...[3] ، ويؤكّد فرانسوا راستي أنّها ترتبط "بشروط النّحو الإلزاميّة"[4]، لذلك أطلق عليها اسم التّشاكلات النّحوية وهي تعتمد في"تحيين مضمونها على اللّيكسيمات المجاورة نظرا لوجود خاصيّة نسبيّة التّقابل

(1) François Rastier , La mesure et le grain, sémiotiques de corpus, p187.
(2) François Rastier , Sémantique interprétative ,p274.
(3) Louis Hébert , Introduction à la Sémantique des textes, p81.
(4) François Rastier, Sémantique interprétative, p114.

بين المعجم والتّركيب"[1]، حيث تساعد اللّيكسيمات المشكِّلة للتّراكيب النّحوية من تّحديد مضمونها، بالإضافة إلى العلاقات الّتي تجمع بين مستويات اللّغة كارتباط المستوى المعجمي بالمستوى التّركيبي، وذلك يؤثّر على دلالة النصّ .

تتطلّب هذه التّشاكلات توفّر الشُّروط النّحويّة، لأنّ بعض التّشاكلات الاختياريّة لا تتعيّن بالشّروط النّحوية، فلم تحدّدها المعايير الاجتماعية، ولا الوحدات النّحوية، وبإمكانها فهرسة اللّيكسيمات، وهي تتضمّن سيمات توليديّة أو خصوصيّة لها القدرة على أداء وظيفتها في تحديد الدّلالة دون التقيّد بالشّروط النّحوية، فقد يتضمّن النصّ تشاكلات تتنوّع بين التّشاكلات التّوليديّة والخُصوصيّة لكّنها غير مضبوطة بقواعد النّحو، لذلك نجد بعض التّشاكلات أُقصِيت من التّشاكل النّحوي، "وتمّ إزاحتها من استعمالات المنطق الجُملي لأنّها خارجة عن المبدأ" [2].

تخصّ التّشاكلات النّحوية التّركيب اللّغوي أكثر من البُعد الدّلالي، ويُمكن أنْ تتحدّد على مستوى التّعبير.ونظرا لانزياح هذه التّشاكلات عن القوانين والقواعد النّحوية، يعتبرها فرانسوا راستي مُقصاة من الاستعمال "مثل قولنا في الفرنسية : dans un fauteuil (في الأريكة) فإنّ لفظتيْ (في) و(الأريكة)، يشتملان على خاصية مُشتركة تتمثّل في /داخلي/ ، وعلى العكس في قولنا (dans une chaise)أيْ؛ (في الكرسيّ)، فإنّ (في) لا تُحيل على خاصيّة /داخلي/"[3] ، وعليه تمّ إقصاء هذا النّوع من الاستعمال لأنّها لا تتوافق مع شروط النّحو وقواعده، وهذا يرجع إلى الأنساق الوظيفيّة للّغة.

---

(1) Idem, p114.

(2) François Rastier , Sémantique et recherches cognitives, p220.

(3) Ibidem.

هناك سلاسل كلاميّة تحتوي على مستوى مضمونها أو التّعبير تشاكلات دلاليّة أو اختيارية توليديّة أو خُصوصيّة، إلاّ أنّها تتجاوز قواعد النّحو، فقد عدّها فرانسوا راستي من الملفوظات الخاطئة.ففي العبارة "انطلق القطار، فضكحتْ المحطّة بحثا عن المسافر، نُلفي الملفوظات المتمثّلة في «القطار»، «المحطّة» ، «المسافر» تكشف عن ميدان واحد يجمعها هو /وسائل النّقل/ (تشاكل)، وكلّ السّيميمات متشابهة مع ذلك الميدان، فهي تشكّل تشاكلا توليديّا للتلفّظ، لكّن تشتمل لفظة «المحطة » على سيم توليدي /غير متحرّك/، وهو مُتباين سيم توليدي / متحرك/ ملازم لـ «ضحك»، حيث تمثّل هذه الوضعية بالنّسبة للتّشاكل النّحوي خرْقا لإحدى القواعد النّحوية الضّرورية لمبدأ تكوين الملفوظات."[1]

يتجلّى من خلال التّحليل الّذي قدّمه فرانسوا راستي أنّ التّشاكل النّحوي لم يتحقّق في هذه الملفوظات لغياب القواعد النّحويّة (المظهر)، "وتسمح دراسة التّشاكلات النّحويّة في الدّلالة المتوسطة بالوصف الدّلالي عن طريق مُصطلحات مطابقة للظواهر (Phénonème) المنتقلة من الصّرف أو من التّركيب"[2]، فلا يُمكن تجاهل هذه التّشاكلات بالنظر إلى التّشاكلات الدّلالية، بل هي جزء من المعنى النصّي لها دور في عملية تأويل الدّلالة .

(1) François Rastier, Sémantique interprétative ,p157.

(2) « L’étude des isosémies en mésosémantique permet de décrire sémantiquement en termes de concordance des phénonèmes relégués généralement à la morphologie ou à la syntaxe. », Louis Hébert, Introduction à la sémantique des textes, p82.

خامسا– التّشاكل ما بين الاتّساق والانسجام:

أكدّ فرانسوا راستي في تحديده لمفهوم التّشاكل على دوره في تحقيق الاتّساق والانسجام النّصييْن، وهما يضمنان عملية التّأويل الدّلالي، فالاتّساق"هو وحدة لتتابع لسانيّ يتحدّد من خلال علاقاته الدّلالية الدّاخلية"[1]، حيث يرتبط بالمضمون الدّاخلي للنصّ وبالعلاقات الّتي تجمع بين الكليات الدّلالية داخله، وقد قرن فرانسوا راستي ظاهرتي الاتّساق والانسجام بالتّشاكلات لأنّها تنتجهما[2]، والكلّ يساهم في عملية التّأويل، بالإضافة إلى الاتّساق أشار فرانسوا راستي إلى مفهوم الانسجام الّذي يعدّ "وحدة لتتابع لسانيّ يتحدّد من خلال علاقاته مع محيطه، ومن ثمَّ فإنّ الانسجام مرتبط بعلاقاته مع المحيط الخارجي"[3]، ويمكن القول أنّ الاتّساق يندرج ضمن المستوى الدّاخلي (Intralinguistique)، أمّا الثّاني فيخصّ المستوى البيسميائي (Intrasémiotique)[4] .

كما سعى جاك فونتاني لمعالجة مفهومي الاتّساق والانسجام ضمن مفهوم التّشاكل ، إذ "يعدّ الاتساق النصّي ظاهرة سطحية ترتبط بنحو النصّ"[5]، ليتضح ذلك من تكرار الاستعارات، والمجازات، والعلاقات النّحوية والرّوابط الحجاجيّة الّتي تتمظهر في سطحه.

ويحقّق تكرار تلك العناصر اتساقه (العناصر داخل لسانية)، كما يُحيل على أهميته في عملية القراءة، يقودنا هذا القول إلى إمكانية وجود تطابق بين رؤيتي جاك فونتاني وفرانسوا راستي، لأنّ الاتساق مرتبط بالعلاقات الدّاخلية للنّص وبالتكرارات الّتي تحيل على دلالات نصيّة متعدّدة، وقد

---

(1) Idem, p58.

(2) François Rastier , Sémantique et recherches cognitives, p222.

(3) François Rastier , Sens et textualité , p277.

(4) ينظر : التّشاكل والفعل الاستعاري في النّصوص الأدبيّة، فضيلة قوتال، ص97.

(5) J.Fontanille ,Sémiotique et littérature, essais de méthode, p15.

قرن الاتّساق بالانسجام النصّي، وبظاهرة التّشاكل كما ألفيناه عند فرانسوا راستي، إذ أصبح الاتّساق الدّلالي ضروريا في السّيميائيات النّصيّة، لكّن بتوفر عاملان هما التّشاكلات التّوليديّة المتوسطة والإشعاعات (Fiscaux) [1]، ذلك يؤكّد دور التّشاكل في تحقيق الاتّساق والانسجام النّصيين، وفي المقابل فإنّ غريماس جعل التّشاكل رهن العلاقات الدّلالية في إطار المستوى الدّاخلي- اللّساني.

ونتصوّر وجود الاتّساق على مستوى السّلسلة اللّسانية، ففي معجمه قّدّم تحديدا لمفهوم الانسجام الّذي طالبت به النّظرية السّيميائية الّتي كان لها القدرة على معالجته[2]، ومنْ بينها النّظريات السّيميائية السّردية وإنْ كان غريماس لم يتحدّث في نظريته السّردية عن الانسجام لأنّه لا يراعي المستوى الخارج – لساني بناء على مقاربته المحايثة، وهذا لا ينفي انعدام الانسجام لأنّ اتساق النصّ يقوم على انسجامه، رغم أنّ جوزيف كورتيس أسهم بدراساته في النّظرية السّردية إلاّ أنّه أبان عن العناصر المكوّنة للانسجام في إطار حديثه عن التّحليل الدّلالي والمكونات الدّلالية للسّرد (الصُّورية، الموضوعاتيّة ، المعجمية)، حيث توّصل إلى اعتبار "مقاربته للمكوّن الدّلالي تعدّ عامة للغاية للقيام بدراسات عملية (...) ، إضافة إلى قابلية النصّ الشّفوي مثل الخطاب للتحليل الدّلالي الّذي يستند على الوحدات المعجميّة الّتي تشكلّه، بالرّجوع إلى معطياته الأولى يجدُ السّيميائي تنظيمه الدّلالي العام ليحدّد أخيرا الانسجام الدّاخلي للموضُوع المدروس"[3]، فقد يجد القارئ في مكونات النص الخطابية

(1) François Rastier ,Sens et textualité, p55.

(2) A.j Greimas, j. courtés , Sémiotique dictionnaire raisonnée de la théorie du langage, p42.

(3) J. Courtés , Analyse sémiotique du discours, de l'énoncé à l'énonciation, p177.

كالاستعارات والملفوظات ما يحيل على دلالته، كما يعدّ التشاكل آلية لإيجاد معنى النّص الشفوي أو المكتوب وتلك المعطيات تضمن انسجامه.

ويُمكن القول أنّ جوزيف كورتيس جعل من المكوّنات الدّلالية إضافة إلى التّشاكل بوصفه آلية تحقّق الوحدة الدّلالية للنصّ، فهو يؤدّي إلى انسجامه داخليا، ونستنتجُ كذلك أنّ جوزيف كورتيس يختلف في مفهوم الانسجام عن فرانسوا راستي لأنّ كورتيس جعل الانسجام متعلّقا بالمستوى الدّاخل- لساني عكس فرانسوا راستي الّذي ربطه بالمستوى الخارج – لساني ، كما يُحيل مفهومه- جوزيف كورتيس – على الاتّساق عند فرانسوا راستي . ويعدّ التّشاكل عاملا لانسجام الخطاب المتلفَّظ عند جاك فونتاني، "وقد لا يتحقّق انسجام النصّ لأنّ العناصر التي تكشف عن الاتّساق غير متوفرة في النصّ"[1]، وهذا يُحيل على التّعالق بين ظاهرتي الاتّساق والانسجام ، وهما من الاستراتيجيات المساعدة للقارئ حتّى يشكّل معنى النصّ، كما أنّه دعا إلى ضرورة مساءلة مفهوم التّشاكل والكيفية الّتي يُنظّم بها في النصّ، وتموضعها داخله مع العلم أنّ لكلّ نصّ مقصديته تتبيّنُ عن طريق الانسجام والاتّساق.

بحث جاك فونتاني عن العلاقات الّتي تجمع بين هذه الأنواع (الاتّساق،الانسجام) ، وبيْن الأنواع الشّكلية (السّلسلة،التّجمع،العائلة) [2]، وأراد بذلك تجاوز مفهوم التّشاكل المحدّد من طرف غريماس في السّتينات، وما انجر عنه من نزاعات، فقد ينعكس الأمر على المقاربات التّطبيقيّة، ويرى أنّه ينبغي الاهتمام بالتّشاكل على مستوى الخطاب، ويعتقد أنّ السّيميائيات النّصيّة أعادت

(1) J.Fontanille , Sémiotique et littérature, p16.

(2) Idem, p21.

النظر في الشّكل الدّلالي المفترض عندما انتقلت من الدّلالة البنيوية، وتجاوزت المستوى اللّغوي اللّساني إلى الدّلالة التّوتريّة (سيميائيّة العواطف)، وركّز على مفهوم التّشاكل بإعادة صياغة مفهومه وأنواع بناء الكليّة السّيميائيّة المتمثّلة في الاتّساق والانسجام .

يتّضح أنّ جاك فونتاني قارب التّصور الّذي جاء به فرانسوا راستي حيث نسب الاتّساق إلى العلاقات الدّلالية الدّاخلية الّتي يوفّرها التّشاكل، وإن كان ميّز بين اتساقات مُتباينة تفرضها الأنواع الشّكلية، وقد وافق فرانسوا راستي في رفضه لمفهوم التّشاكل المقترح من ألجيرداس غريماس .

وليتمّ الفصل في مفهوميْ الاتّساق واللااتّساق حاول فرانسوا راستي مُقابلتهما بمصطلحي اللاّتناقض والتّناقض، "لأنّه قد ينزاح التّناقض عن الاتّساق كما هو جليّ في أعمال الحداثيين، وعليه فإنّ مبدأ عدم التّناقض للنصّ المؤوَّل يستعمل بمثابة معيار داخلي للكفاية / عدم الكفاية مثلما ذكره جوهانس (JOHANSEN)" [1]، فإذا خلا النصّ من التّناقض على مستوى بنيته الدّاخلية وبنياته الدّلاليّة على اتساقه، ممّا يساعد على كشف معناه وتأويله .

يقوم التّشاكل على مفهومي الاتّساق والانسجام باعتبارهما آليتيْن لبناء المعنى النصّي ، كما أنّ التّشاكلات تجمعها علاقات داخليّة المستنتجة من تأويل القارئ للنصّ، انطلاقا من عناصره اللّسانية (الكلمات والجمل)، ولا يتمّ تحديد قصديته إلّا إذا استعان بمعلومات خارجة عنه، حيث يتحدّد الانسجام النصّي عن طريق ربط تلك العلاقات بالمحيط الخارجيّ أو التّداولي الّذي دعا إليه فرانسوا راستي .

(1) François Rastier , Sémantique des textes, p60.

ويتمثّل في الممارسات الاجتماعيّة الّتي تعدّ بمثابة وسيط للفهم ، إذ تندرج ضمن المعارف الاجتماعية الثّقافية فمن الصّعوبة أنْ يتحدّد معنى النصّ في غياب الاتّساق والانسجام اللّذين تكفلُهما التّشاكلات المتعدّدة عند فرانسوا راستي، ولا وجود للاتّساق دون الانسجام النّصّي المتحقّق في تعالقه مع العالم الخارجي، ذلك أقرّتهُ مختلف النّظريات السّيميائيّة، وذلك دليل آخر على أنّ المعنى ليس مُحايثا مقيّدا، خاضعا للبنية الدّاخليّة للسلسلة الكلامية، بل يُدرَك من خلال القارئ المتوفّر على خبرات ثقافيّة ومعارف بيئته الاجتماعيّة ليقوم بتوظيفها وتحيينها .

المبحث الثالث : التّلقي التّأويلي النصّي وآلياته من منظور فرانسوا راستي

اهتمّ فرانسوا راستي بالدّلالة التّأويليّة للنصّ متجاوزا حدود الكلمة والجملة، معتمدا التّأويل الدّلالي، الموجَّه إلى القارئ أو المؤوِّل الّذي يهدف إلى تأويله انطلاقا من تعليمات وقواعد تسمح بتحيين دلالته عن طريق السّيمات الملازمة أو المجاليّة.

تنقسم هذه التّعليمات إلى تعليمات داخليّة تتمثّل في روابط التّشاكل وتعدّد صوَرِه ، وتعليمات خارجيّة تعتمد بدورها على معايير الاتّساق، ومِعْياريْ الانسجام والملاءمة، هذين الأخيرين اللّذين يتمُّ من خلالهما تمظهر نمطيْن من التّأويل: داخليٌّ وخارجيٌّ، وبناءً عليهما تكون القراءة وصفية أو إنتاجيّة.

كما جعل فرانسوا راستي للمتن دورا بارزا في التّأويل الدّلالي للنّص، فلا يُقرأ إلاّ ضمنه، بالإضافة إلى اللّغة الّتي يوظّفها الكاتب في أعماله الإبداعيّة الّتي تعدّ رموزا أو شفرات تُحيل على النّسق اللّساني والاجتماعي للمؤلِّف، ممّا يفرض على المؤوِّل امتلاك كفاءة لهجيّة أو أنْ يحُوز على موسوعة معرفيّة وثقافيّة للمُحيط التّداوليّ الخاص بالمؤلِّف.

سجّل فرانسوا راستي أنّ هذه المعارف الموسوعية تسمحُ بالتّأويل الدّاخلي للنّص، لكّن مع ضرورة الانتقاء الجيّد من الموسوعة لتحيين المكوّنات الدّلاليّة، وهذا التّحيين يشترط وجود سياق مُلائم، فثمّة سّياق لساني وسياق غير لساني، فالأول وظيفيّ مرتبط باللّغة أمّا الثاني يرتبط بالجانب التّداولي أو المحيط الخارجي، فلا يتحدّد معنى السّميمات إلاّ في إطار السّياق، وقد بيّن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستيّ هذا الطّرح.

أمّا جوليان غريماس طرح مفهوم السّيمات السّياقية الّتي تشكّل معنى اللّكسيمات والسّيمات الدّاخلية مرتبطة بالبيئة المعجميّة إذ اعتمدها تشومسكي وكاربرا باعتبارها اختيارات تحدّد معنى السّميم، والسّياق غير اللّساني متعدّد وهو يؤثّر على المعنى، فقد يكون اجتماعيّا، ثقافيّا، تاريخيّا أو شخصيا، ويتجلّى ذلك في طروحاته الّتي أوردها في مؤلّفه **الدّلالة التّأويليّة (1987)**، كما أثار إشكاليّة السّياق في مؤلَّفه **الدّلالة والأبحاث المعرفية (2001)** ضمن معالجة النّصوص الرّقميّة في إطار الذّكاء الاصطناعي بمفهوم أوسع، وتساءل عن قدرته على تحديد المعنى النّصيّ أمْ أنّه يشهد غموضا؛ أيْ أنّ المعنى ينزاح عن السّياق الّذي وُضعت فيه السّميمات، ونسعى في هذا المبحث إلى معالجة إشكالية التلّقي التّأويلي عند فرانسوا راستي والمفاهيم الّتي بلورها للإمساك بالدّلالة في سيميائيته النصيّة.

أولا–التّأويلُ الدّلاليّ وأنماطُه :

إنّ طبيعة الموضوع الّذي بحثه فرانسوا راستي المتمثّل في الدّلالة التّأويلية للنصّ جعله يطوّر هذا المفهوم، إذ ربطه بتطوّر مفهوم النصّ مُنطلِقا من خلفيات معرفيّة شتّى كالتّداولية ونظريات الذّكاء الاصطناعي، واللّسانيات البنيويّة،والّتي أسهمت في تحديد بعض المفاهيم والآليات للقراءة والتّأويل الدّلالي للنصّ.

وقبل تحديد فرانسوا راستي لمفهوم التّأويل الدّلالي أثار مجموعة من الإشكاليات حيث بإمكان الدّلالة التّأويلية للنصّ الإجابة عنها:"ماذا تعني قراءة نصّ؟ و السّؤال الأكثر دقة : ما هي التّعليمات الّتي تسمح بتحيين مضامين النصّ بدءا من السّيمات؟ وكيف يمكن التّعرّف على تلك التّعليمات؟ أنستطيع القول أنّ النصّ يحمل معنى أو معانٍ متعدّدة؟ فكيف يتمُّ تمثيلُ مجموع تلك المعاني؟ وكيف نصِفُ العلاقات الدّلاليّة بين نصّيْن الّذي ينتقل فيه النصُّ الواحد من قراءة لأخرى؟ وما هي العمليات التّأويلية الّتي تسمحُ بإنتاج محتوى النصّ بالرّجوع إلى نصّ آخر."[1]

هذه الإشكاليات تنمُّ عن عمق الفكرة الّتي شغلت فرانسوا راستي، والّتي يهدف من خلالها تجاوز النّظريّات السّابقة في تحليل النصّ، ممّا دفعه إلى إعطاء ماهية التّأويل والشُّروط المعتمدة في تأويلهِ وتحيين معانيه، لأنّه يُثير قطبا أساسيا في العملية التّأويليّة، فالنصُّ يُوجَّه إلى القارئ المتفحِّص للتّعليمات التّأويليّة في ثنايا النصّ وخارجه، ويكشف تمظهُرات المعنى المتعدّد فيه.

حدّد فرانسوا راستي مفهوم التّأويل في مؤلفه "**الدّلالة التأويلية 1987**" انطلاقا من علم اللّسانيات ثمّ في المنطق وأخيرا في السّيميائيات، حيث ارتبط المفهوم باللّسانيات التّوليدية، إذ وظّفه

(1) François Rastier, Sémantique Interprétative , p220.

تشومسكي وخصّ به معنى الجملة، ومثّل كوين (Quine) التّأويل المنطقي، أمّا بول ريكور فإنّ المعنى يتحدّد بتوسّط المرجع، بالإضافة إلى مفهومه في السّيميائيات الّذي نظّر له شارل سندرس بورس الذي عرض مفهوم المؤوَّل بوصفه المنتج لمعنى العلامة، أمّا هيلمسليف لم يأخذ بالتّأويل.

أمّا ألجيرداس غريماس وجوزيف كورتيس جعلا التّأويل خارج اهتمامات النّظرية السّيميائيّة، فألجيرداس غريماس في سيميائيته السّردية عالج البنية السّطحية والبنية العميقة لإيجاد المعنى المنتظم في البنيات السّطحية بمفهوم الفعل التّأويلي* (Faire Interprétatif)، غير أنّه "لم يربطه بالتّأويل بشكل واضح وحدّده كشرح للنصّ، ومُكوّن لمضمون مُعادل لوحدة دالّة داخل السّيميائية أو ترجمة لوحدة دالة سيميائية إلى أخرى" (1).

عرض غريماس مفهوم التّأويل وربطه بمختلف الميادين (اللّسانيات، المنطق والسّيمائيات) مؤكّدا على دوره، مُبيّنا النقائص الّتي تشوبه، وهو يُلمّح إلى مشروعه (الدّلالة التّأويلية) ليؤكّد أهميتها واضعا أهدافها و شروطها، ، وفي حديثه عن موضوعيّة المعنى أدرج إشكالية تأويل المعنى النصّي القائم على المنهج، حيث يُتيح المنهج الصّحيح الآليات الّتي يعتمدها القارئ بالإضافة إلى نوعية النصّ والتّعليمات التّأويلية المتضمنة داخله.(2)

يتّضح ممّا تقدّم أنّ غريماس في تحديده للتّأويل ركّز على شروط اجتماعيّة وتداولية خارجة عن النصّ المؤوَّل، و يمرُّ هذا التّأويل – حسبه– بمراحل متعدّدة هي" :

* الفعل التّأويلي : يتحدّد بزمن التّلفظ ويعتمد على المتلَّفظ له والتعاقدات القائمة بينهما، وكلّ لفظ يستقبله يحضر كظاهرة ويتشكّل دور الفعل التّأويلي من ارتباطه بوضعية المحايثة؛ ينظر: A.J.Greimas,J.courtes , Sémantique dictionnaire raissonée, p 192.

(1) François Rastier , Sémantique Interprétative, p216.

(2) François Rastier , Sens et textualité, p13-p15.

1- التّحليل (Analyse) إذ يُبرِز كلّ السّيمات لسميم المصدر، ليُعاد كتابته عن طريق مجموعة سميم الهدف.

2- الحفظ (Conservation) : إنّ سيميم الهدف مُماثل لسميم المصدر.

3- التّكثيف (La Condensation): تتّم إعادة كتابة مجموعة من سميم المصدر عن طريق سميم هدف واحد (يدعى ما فوق السّميم) (Méta Sémème)" .[1]

ينطلق التّأويل الدّاخلي من النّظام اللّغوي أيْ؛ المعاني الملازمة المجالية ثمّ يتوسّع ليصل إلى السّياق الّذي تنتظم فيه الوحدات اللّغويّة، ويُمثِّل النصّ كذلك نظاما لهجيا اجتماعيا محدّدا غير أنّ التّأويل الخارجيّ"هو الّذي يُبرز المضامين الّتي لمْ تحيَّن في النّص المؤوَّل، ويفترض التّأويل الخارجيّ التّأويل الدّاخلي، ولا يتحدّد إلاّ عن طريق مجموعة من التّحوّلات حددّها فرانسوا راستي فيما يلي :

1- النّقل (Transposition) : يتضمّن سميم الهدف سيما (Séme) مشتركا مع سميم مصدر أو سيم لا يملكُه.

2- الاستبدال (La Substitution) : لا يشتمل سميم الهدف على سيم من مصدره.

3- الحذف (la délition) : سميم النصّ المصدر لا يتحوّل في النصّ الهدف.

4- الإدراج (L'insation) : لا يتحوّل سميم النصّ الهدف إلى سميم للنّص المصدر"[2]

لقد استنبط فرانسوا راستيّ نمطيْن من التّأويل أحدهما داخليّ والآخر خارجيّ، إذ يعتمد كلاهما على مجموعة من العمليات، ويقومان بتحديد السّيمات المحيّنة، كذلك المضامين غير المفعلّة، كما يرى أنّ هذين النّمطين من التّأويلات لا تتطابق مع التّقابل التّقليديّ بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والمعنى

(1) Idem, p221.

(2) Ibidem.

الحرفي والمعنى الرّمزي، المعنى الظاهر والمعنى المضمر[1]، وفي المقابل وسّع راستيّ مفهوم التّأويل الوارد في النّظريّات السّابقة مُستعينا بما هو خارج عن النصّ.

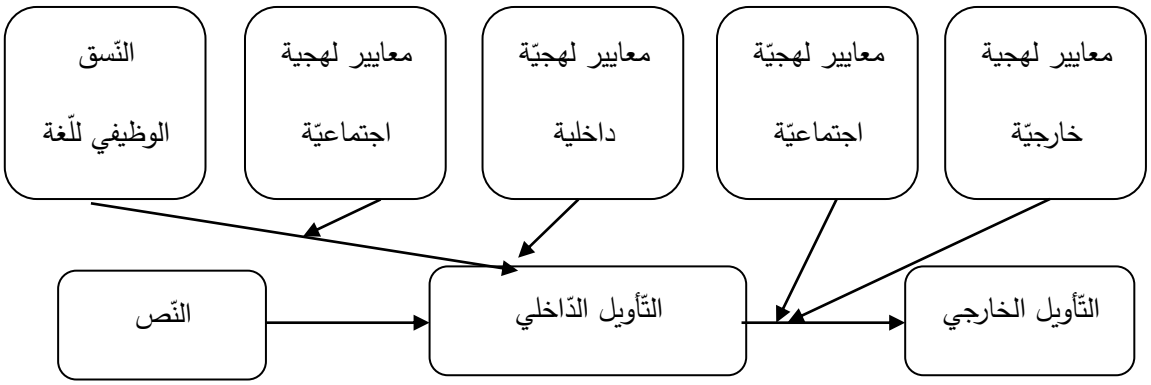

النّص بين التّأويل الدّاخلي والخارجي*

يُبيّن فرانسوا راستيّ من خلال هذا المخطّط مسارين تأويلين مُتمايزين للنصّ الدّاخلي والخارجيّ، لكّنهما نتيجة لمعايير لهجية وأخرى اجتماعية خارجيّة تُسهم في التّأويل الخارجيّ، أمّا معرفة النّسق الوظيفي للّغة ومعرفة المعايير اللّهجية والاجتماعيّة الدّاخلية للمؤلِّف وثقافة المجتمع تُسهم بدورها في مسار التّأويل الدّاخليّ.

ويبقى التّأويل الخارجيّ مرتبطا بالتأّويل الدّاخلي"إذْ لا يحيَّنُ الأوّل إلاّ بتعليمة داخليّة لكّن أن تكون هناك تراتبيّة بينهما فهُما يشتغلان في إطار التّفاعل والتّوافق"[2] ولتجنّب الإحالات الّتي قد تؤثّر على هذا التّوافق يقترح فرانسوا راستي حلاّ بقوله "مفتاحُ المشكلة يتمثّل في اتساق النصّ

1() ينظر : المصطفى شادلي، السّيميائيات؛ نحو علم دلالة جديد للنّص، ت محمد المعتصم، ص180.

* ينظر :François Rastier, Sémantique Interprétative, p260

(2)محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة ، ص212.

المدروس، فهو يحدّد الوظيفة النصّية للتّلميح، ومن خلال ذلك مقبوليتُه"[1] ، ويعدّ من التّعليمات الخارجيّة للتّأويل.

يرى فرانسوا راستي أنّ التّأويل الدّاخليّ يلتقي مع التّأويل الخارجيّ لاشتراكهما في السّيمات نفسها، غير أنّ ذلك ليس ثابتا، لأنّ هذين التّأويلين لا يملكان سيما مشتركا أحيانا ، ففي المثال الّذي قدّمه راستيّ **"الإنسان هو إنسان"**. استنتج فرانسوا راستي أنّ كلمة "**إنسان الأولى"** في التّأويل الدّاخلي تتضمّن سيمات متمثِّلة في /**خصوصي**/،/**غير محدّد**/،/**مادّي**/، أمّا كلمة إنسان الثّانية فسيماتها هي /**توليدي**/،/**مجرد**/ ووجد أنّ الكلمة الأولى في التّأويل الخارجيّ تتضمّن سيما /**خُصوصيا**/،/**محدّدا**/، و/**مادّيا**/، والثّانية/**توليديّا**/،/**مجرّدا**/". [2]

توصّل راستي إلى أنّ السّيميم الأول **(الإنسان)** متحوّل، أمّا الثّاني فهو ثابت وقد حافظ على سيماته كما عرض نماذج عن مسارات تأويليّة ليس لها سيمات مشتركة.

إنّ فرانسوا راستي في عرضه لنمطي التّأويل كان يهدف إلى دراسة شروط وآليات التّأويل، ولم يكن يهدف إلى تقديم نظرية للكفاءة التّأويلية، رغم أنّ المنظرين للتّأويل – سابقا– لم يُؤسِّسوا له قواعد وقوانين، لذلك حاول التّدقيق في شروط تطبيقه جاعلا له تعليمات داخليّة وخارجيّة تؤطره. كما أنّه لم يتخذ موقفا من المقصديّة الواعية أو غير الواعيّة الّتي أُثيرت من بعض التّأويليين حول المعنى الثّابت التّفسيري والدّينامي التّأّويلي في النصّ، حيث اعتمد ليوستراوس **LEO STRAUSSE**

(1) François Rastier, Sens et textualité, p30.

(2) louis hébert, Introduction à la Sémantique des textes, p92.

وريكور **RICOUR** ثنائية تفسير/تأويل أمّا **هيرش(HIRCHE)** طرح ثنائية معنى/دلالة[1]، لكّن شغل ذلك " تقابلا بين الثّبات والدّيناميّة الّذي يعكس تحقّق القيمة الّتي يهدف إليها راستيّ لتكون التّأويلات الدّاخلية والتّأويلات الخارجيّة سيروات مُتسلسلة لكّنها مختلفة من خلال عملياتها التّأسيسيّة"[2].

ونلاحظ اختلاف التأويل الداخلي عن التأويل الخارجي، لكنهما آليتان يقومان على النص بفضل مكوناته النصيّة وسياقاته اللسانية وغير اللسانية والموسوعة[3]، فيقوم هذان المساران التّأويليّان على تعليمات تأويليّة داخليّة، لذا قد تحتوي بعض النّصوص هذه التّعليمات لتشكّل تأويلها الدّاخلي وقسّمها راستي إلى"تعليمات خاصّة تسمحُ بإعطاء تشاكل يحدّد آخرا يماثلُه، وتكون روابط التّشاكل تعليمات لهذا النمط (...) كما تشكّل المفردات الغامضة تعليمات اختيارية(...) وأخرى عامة تُشير إلى أنّ النصّ متعدّد التّشاكل دون مراعاة طبيعة التّشاكلات المحدّدة، وتتميّز تلك التّعليمات بحضور التّلفظ في النّص، والنّص بمثابة رسالة وكذلك حضورُ المرسِل في النّصّ"[4].

يتّضح من خلال هذا الطرح أنّ التّعليمات الدّاخلية متضمَّنة في النّصّ تتعلّق بالتّشاكلات وروابطها وبالسّيمات الملازمة والمجاليّة، التّوليدية والخُصوصيّة، وحضور المرسِل عن طريق الجهاز اللّغوي المستخدَم، والمولِّد لتلك السّيمات والتّشاكلات، وأكّد فرانسوا راستي أنّ حضور المرسِل في النّصّ

(1) ينظر : François Rastier , Sémantique Interprétative , p261.

(2) Ibidem.

(3) ينظر: محمد القاسمي، الاتصال الأدبي وحركية اللغة، ص 210.

(4) François Rastier , Sémantique Interprétative , p471.

بالنسبة للتّعليمات الخاصّة (**اللّهجة الاجتماعية، اللّهجة الفردية**) ضروري لإقامة تعاقدات تأويليّة، إذ تحدّد التّعليمات الدّاخليّة التّأويل الدّاخليّ للنّص.

غير أنّ التّأويل الخارجي"يتحدد بتعليمات خارجيّة هي بمثابة قيود للنّص المؤوَّل"[1] ، والّتي تشكّل مسار العملية التّأويليّة فقد تكون واضحة أو مُبهمة، حيث تُثير تلك التّعليمات"تطبيق قواعد خاصة بمذاهب تأويليّة تحدّد بشكل مستقلّ النّصّ الموضوع"[2]، غير أنّ التّطبيق غير الفعّال لهذه القواعد يؤدّي إلى ظهور انزياح نوعيّ أو كميّ يعدّ تعليمة داخلية للنّصّ، وفي هذا الطّرح رصد فرانسوا راستي ثلاثة أنماط من المعايير الّتي تشكّل مبادئ لهذه التّعليمات، والّتي حصرها في: معايير الاتّساق، الانسجام والملاءمة.

ثانيا– معايير الاتساق : خصّ فرانسوا راستي هذه المعايير بالسّميمات، ويتجلّى الاتّساق بوجود مبدأ عدم التّناقض، فهو يفترض أنّ السّميمات المفهرسة على التّشاكل لا يجب أن لا تتناقض فيما بينها"[3]، وقد اعتمد تودوروف على هذا المبدأ في تأويله، حيث اشترط أنْ تكون السّميمات متضادّة وليست مختلفة، ويفترض أنّ النّصّ يشتمل على تشاكل مُضاعف، لأن تلك التّناقضات تمثِّل قرائن، بينما يرى جوزيف كورتيس أنه يمكن التنبؤ بحالات عدم التوافق بين السيميمات، لذا يصعب إيجاد سيم مشترك للتشاكل[4]، وعليه استنتج فرانسوا راستيّ"أنّ ظُهور كلّ تناقض في النصّ يجب حلّه

(1) François Rastier , Sens et textualité, p18.
(2) François Rastier, Sémantique Interprétative, p247.
(3) Idem, p248
(4) ينظر: Joseph Courtès,Analyse Sémiotique du discours de l’énoncé et l’énonciation,p195.

بالإخفاء (Dissimilation) الّذي يُضاعف تشاكله مثل ظهور مصطلحات التّناقض القابلة للتّفكير الواجب فهرستها على مستويين مختلفين للمعنى"[1].

بالإضافة إلى معيار الانسجام الذي له دور في تعيين التشاكلات وقد عني به جاك فونتاني[2]، ويلخص في مبدأين "أوّلُهما أنْ لا يفي النصّ بالمطالب الإيديولوجيّة للمؤوِّل إذ يُقابَل ذلك بإخفاء التّشاكلات، أمّا الثّاني يتمثّل في التّمييز غير المقبول لتشاكلين عند القارئ، لكّن يجب عليه استعابهما"[3]، لأنّ القارئ يختار معنى أدبيا أو استعاريا (مجازيا) انطلاقا من نزعته الإيديولوجية المتضمّنة في النصّ، ويوظّف معيار الانسجام في تحديد التّشاكلات التّوليدية، وقد قدّم فرانسوا راستي النّموذج الّذي عرضه م.ج.دوري (M.J.Duriy) حيث"أنكر الغموض المعجمي واحتفظ بالسّيم التّوليدي المتوسط (Mésogenirique)، سيم / الصّيد/ في كلمة "الملائكة" (نوع من الأسماك)، ورفض إمكانية سيم محتمل آخر مثل /ديانة/،ولذلك رفض م.ج دوري (M.J.DUIRY) التشاكلات الغامضة لأنها تعيق مسار التأويل" [4]، وقدم أمبرتو إيكو في نموذجه التأويلي قواعد محددة لإيجاد مقصديته من بينها الاقتصاد التشاكلي[5] ، ويُسمّى ذلك معيار الملائمة وهو من التّعليمات الخارجيّة للتّأويل، ويعدّ مختلفا عن المفهوم الّذي طرحه كلّ من غرايس (**التقطيع**) **(Coopération)**، ومفهوم **ديكرو "الحركة" (Motivation)**.

---

(1) François Rastier, Sémantique Interprétative, p248.

(2) ينظر: J.Fontanille,Sémantique et Létérature,p15.

(3) François Rastier, Sémantique Interprétative, p249.

(4) Idem,p249- p250.

(5)محمد بوعزة :استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2011،ص72 .

لقد أحاط فرانسوا راستي بالمعايير المكوّنة للتّعليمات الخارجيّة للتّأويل الخارجيّ، وهو هدف تسعى إليه الدّلالة التّأويليّة، والمتمثّل في التّأويل الخارجيّ و إنتاج تأويل داخلي.

يؤكّد فرانسوا راستي على دور التّعليمات التّأويليّة الدّاخليّة والخارجية خاصة إذا توّفرت كمعطيات في النّص، ويتدخّل القارئ المؤوِّل ليقوم ببنائها موظّفا استراتيجيّة محدّدة لتّفعيلها[1] ،لأنّ الإستراتيجيّة المنتهجة من القارئ تعدّ مفتاحا للوصول إلى دلالة النصّ، وقد حصرها في التّعليمات التي تشتمل على المعارف الموسوعيّة.

قد تزايدت اهتمامات فرانسوا راستي في مشروعه الدّلالة التّأويلية النّصية وبلغت مجال الذّكاء الاصطناعي، حيث تنبّه إلى ضرورة تطوير فنّ التّأويل بتوفير آليات جديدة تتوافق مع نمط النّصوص الرقمية المستحدثة، ودعا إلى تطويع هذا الفنّ استجابة للتّغيّرات الاجتماعيّة الحاصلة، وضرورة التّفكير في ممارسات تطبيقيّة تساير تلك التغيّرات[2] .

يطمح فرانسوا راستي إلى توسيع آليات وشروط التّأويل ناقلا النصّ الأدبيّ من حدوده اللّسانية إلى المحيط التّداولي، وبالتّالي فإنّ المسارين التّأويلين الدّاخلي والخارجي يؤديّان إلى إنتاج قرائيتين نهائيتين للنصّ المؤوَّل؛ قراءة وصفيّة وقراءة إنتاجيَّة،[3] ، حيث تنبثق القراءة الوصفيَّة عن التأَّويل الدّاخلي والقراءة الإنتاجيّة هي حصيلة التّأويل الخارجيّ، وبناء على القراءة الإنتاجيّة للمتلقي يمكن

(1) François Rastier, Sémantique Interprétative ,p262.

(2) François Rastier, La mesure et le grain ; Sémantique de corpus , p60.

(3) المصطفى شادلي، السّيميائيات نحو علم جديد للنّص، ت محمد المعتصم، ص180.

أن تُحيل إلى دلالة النصّ، ممّا يدفع بالقارئ إلى إعادة كتابته وإنتاجه من جديد، وتهدف القراءة الوصفيّة إلى تحديد مضمون النصّ ومعناه[1] .

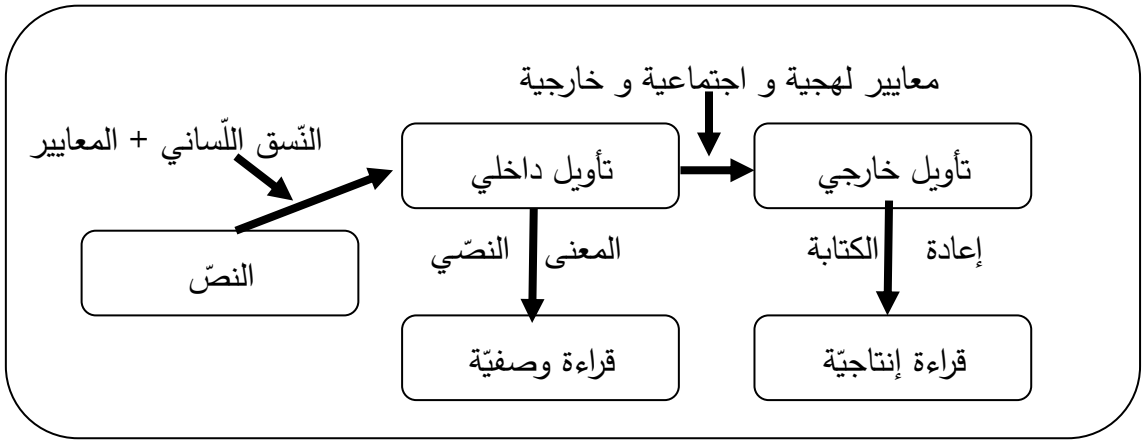

مخطط القراءة الوصفيّة والقراءة الإنتاجيّة لمساريين تأويليين.

يتّضح من خلال نمطي القراءة أنّ القراءة الإنتاجيّة فعّالة باعتبارها مولّدة لمعاني ديناميّة نتيجة تعدّد التّأويلات المقترنة بالنصّ، رغم أنّ التّأويلين الدّاخليّ والخارجيّ يعتمدان على معايير محدّدة، عكس القراءة الوصفيّة الّتي تحيل على معنى وحيدٍ وثابت[2].

أضاف فرانسوا راستي في طرحه لمفهوم التّأويل الخارجيّ مصطلحا آخر لا يقلّ أهميّة عن تلك المعايير والتّعليمات، هو مصطلح التّناص باعتباره الأكثر ارتباطا بالمتن النصّي، لأنّ النصّ ينفتح ويتفاعل مع نصوص أخرى، كما أدرج ضمن هذه المعايير التّشاكل، بوصفه مَعلَما من معالم التّأويلية المساعدة على التّأويل النصّي إلاّ أنّها قد تكون قاصرة لفهم المعنى النصّي، ممّا جعله يُثير إشكالية الغموض، ويستعين بالتّشاكلات المتنوعة في النصّ، حلاً للإشكالية المطروحة.

(1) ينظر: François Rastier, Sens et textualité , p51 .

(2) ينظر : François Rastier, La Sémantique Interprétative , p03.

ثالثا– التّأويل بين التّناص والمتن :

لم تعدْ الدّلالة التّأويليّة منشغلة بدارسة النصّ والبحث في معانيه، إذ تساءل فرانسوا راستي "عن الكيفية المعتمدة في الدّلالة التّأويلية للمتن حتّى تجيب عن مشكلات ابستمولوجية ومطالب اجتماعية."[1]

وهكذا اتسع مفهوم النصّ على متنه المرجعي، والمقصود بذلك أنّ النصّ يتداخل مع نصوص أخرى من نفس جنسه، ويكون معناه نتيجة علاقاته، وسبق له أنْ عالج علاقة النصّ بالمتن[2]، وتأثيرهما على مسار التّأويل خاصة مع ظهور الفيلولوجيا الرّقمية، ويلحّ بدوره على"إعادة كل نصّ إلى متنه ليتمّ تأويله"[3] .

ويقصد بالمتن المجموع المبنيَن من النّصوص المدمجة الوثائقيّة الّتي" يُمكن إثراؤها عن طريق الملصقات وجمعها بطريقة نظرية مع مراعاة الخطابات والأجناس والعمليات بالنظر إلى مجموعة تطبيقاتها"[4] ، إذ يضمّ المتن نصوصا متعدّدة الأنساق السّيميائيّة تختصّ بجنس ما،فقد منح فرانسوا راستي للمتن أهمية في تأويل النص فقد يتناص النص الأدبي مع نصوص أخرى مما يسمح بتحديد دلالته وتساهم وحداته اللسانية في تشكيلها، وهذا جعل فرانسوا راستي يتساءل عن المعايير المعتمدة في إمكانية قَبول نصوص خارجيّة تدخل في علاقة تناصيّة معه، ويتمّ وفقها تأويله، وإنْ كان تساؤله

(1) « Nous préférons démontrer le mouvement en marchant ,illustrer comment une sémantique interprétative de corpus peut formuler des réponses à des problèmes épistémologiques et à des demandes sociales », François Rastier , La mesure et le grain ; Sémantique de corpus , p23.

(2) ينظر : فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص141.

(3) François Rastier, La mesure et le grain ; Sémantique de corpus , p25.

(4) Idem, p33-p34.

يتمحور حول مصطلح التّناص على النصّية، مع ارتباط النصّ بالمتن،"فكل علامة لها وظيفتين داخلية وتناصية"[1] فالوحدات اللسانية تعمل على تحديد التشاكلات، وتتجلى الوظيفة الثانية في تقاطع العلامة النصيّة مع نصوص أخرى تنتمي إلى المتن نفسه لتعيين دلالة النصّ.

كما أثار فرانسوا راستي "إشكالية الانتقال من المعايير الكميّة (القياس) إلى المعايير النّوعية (البذرة)، وكيفية الانتقال من المعايير المحليّة إلى المعايير الشّاملة حول جنس النصّ ، والخطاب الكاشف عن المتن حيث يأخذ معناه"[2]، وكانت رغبته من خلال هذا الطّرح وضع تصوّر نقدي للمتون كونها ديناميكية، إذ وجد في المتن التّحديد التّطبيقيّ بأجرأة الدّلالة وتطبيقها عليه، ليتمّ تحديد النصّ داخليا أوخارجيا، حيث يتمثّل تحديده الدّاخلي في نسقه اللّساني بوصفه سلسلة من المورفيمات، وخارجيا عن طريق التّأويل محليا والتّناص شموليا المكوّن لمتنه[3] .

ذلك لأنّ قراءة النصّ تستدعي حضور نصوص أخرى، لذلك أصبح مفهوم التّناص مادّة للدّراسة الأدبيّة والّذي تمّ التّخلّي عنه، وهو يضمّ كلّ أنواع العلاقات الموجودة بين النّصوص، "ويوضّح كلّ نصّ قِطعا أو أجزاء سابقة الوجود (...) فالتّناصيّة هي التّفاعل النصّي داخل النصّ الواحد"[4]، وألفى فرانسوا راستي أنّ التّناص بوصفه تأويلا خارجيا يؤثر على النّصيّة (**Textualité**) المتضمّنة

(1) محمد القاسمي،الاتصال الأدبي وحركية اللغة، ص212

(2) François Rastier, La mesure et le grain ; Sémantique de corpus , p31-p32.

(3) ينظر : فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص141.

(4) François Rastier , Sens et textualité, p29.

للبُنى اللّسانية والمكوّنات الدّلالية، أمّا النّصوص الّتي يتفاعل معها النصّ هي المتن المتميّز بتأثيره عليه "فهو مفروض من الخارج"[1] .

إن النّصّ هو حصيلة التّناصات إمّا عن طريق إشارات أو تلميحات تحيل إلى جنسه أو بصورة صريحة عبر النّصوص، وقد توصل فرانسوا راستي إلى أنّ"كلّ مقطع نصّي وكلّ علامة تشتغل وفق وظيفيتين داخليّة (نصيّة) وتناصيّة (خارجيّة)، حيث تحدّد الوظيفة النصيّة الدّاخليّة الوظيفة الخارجيّة، والوظيفة النصّية الدّاخليّة هي نظام للمعنى من خلال مجموع العلاقات بين مضامين النصّ، بينما تقوم الوظيفة الخارجيّة على نظام من التّعيين (Désignation)، وما يحدّده هو المعنى الدّاخلي"[2] .

إنّ الوظيفتين النصّية الدّاخليّة والخارجيّة (التناصيّة) تؤكّد على تأثير إحداهما على الأخرى مما يجعل التّأويل الخارجيّ لاحقا للتّأويل الدّاخلي، ولا يُحيّن إلاّ بالوظيفة النّصيّة الدّاخلية، والتّفاعل بينهما جليّ ليصبح النصّ مركزا للدّراسة نظرا لاحتوائه تعليمات تأويليّة متعدّدة.

استطاع فرانسوا راستي من خلال رؤيته الجديدة لدلالة المتن إثارة فرضيات جديدة أدّت إلى إثراء التّأويل، واقتراح ممارسة قرائية بشحذ أدوات جديدة، وتبنّي رؤى لسانية جديدة، إذ يَنتج المعنى بالتّفاعل بين ما هو داخلي وخارجي، فهو يتولّد من التّعالق بين التّناص والسّياق[3] ، هذا الأخير له دور في تحيين المعنى النّصّي.

(1) فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت أدريس الخطاب، ص141.

(2) François Rastier, Sens et textualité , p30

(3) ينظر : فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطّاب، ص141.

رابعا– السّياق :

لقي السّياق اهتماما من قبل الباحثين في مجال السّيميائيّة (السّردية، التّأويلية...) والهدف من ذلك هو الكشف عن معاني النّصوص، غير أنّ فرانسوا راستيّ أثار مفهوم السّياق ودوره في التّأويل الدّلالي، لأنّ النصّ يجمع بين اللّساني والسّيميائي والتّداولي(المحيط) فطرْحُ قضية التّأويل الدّلالي عند فرانسوا راستي يقتضي تحيين السّياق المناسب للسّيمات داخل الملفوظ، "لأنّه عُرضة لتعدّد المعنى اللاّنهائي، فالعلاقات بين السّيميمات مقترنة بالسّياق الّذي يؤلّف بينها، وإنْ أغفل المسار التّوليدي تعدّد المعاني السّياقات (السّياق غير اللّساني) وسيكون للسّياق دور مزدوج، إذ يحصر مجال التّأويلات الممكنة (...) ويدعم التّأويل المقصود"[1].

يتعيّن المعنى عند راستيّ في بناء سياق من المتلقي انطلاقا من السّياق اللّساني وغير اللّساني بوصفهما محدّدين من محدّدات التّأويل، ممّا أدى به إلى البحث عن ماهية السّياق اللّساني ومعرفة مدى تأثيره على مكونات السّيميم، وقد رصد مفهوم السّياق باعتباره البيئة من منظور المدرسة التّوزيعيّة، الّتي يتمّ فيها التلفّظ والمتضمّنة لعلاقات الجوار القائمة بين المكوّنات اللّسانيّة، إلاّ أنّه رفض هذا التّحديد لقصوره، وإغفاله العلاقة بين الدّوال، لأنّ المعنى ليس مستقّلا عن سياقه لذا أنكر المعنى المحايث وأقرّ بتعدّديته مع السّياقات الّتي ورد فيها.

(1) محمد الخطّابي، لسانيات النصّ؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص52.

أمّا غريماس فيعرّف السّياق في قاموسه أنّه "مجموع النصّ الّذي يصاحب وحدة تركيبيّة معتبرة، ويعتمد عليه لتحديد المعنى (...) ويمكن استغلاله في رؤية التّأويل الدّلالي"[1] ، حيث يساعد السّياق القارئ على تأويل النصّ وتحديد معناه، وهذا التّعريف يقارب مفهوم السّياق اللّساني عند راستي، "وهو مجموعة من السّيميمات الموجودة في نصّ معطى تدخل في علاقة تأثيريّة معه"[2] . فالعلاقات الرابطة بين السّيميمات هي الّتي تشكّل السّياق الّذي يحيل على المعنى، ويضمّ سياقا نشطا وآخر سلبيّا.

فالسّياق السّلبي (Contexte passif) " هو مجموعة السّيميمات الّتي يؤثّرعليها السّياق، أمّا سياقه النّشيط (Contexte actif) هو مجموعة السّيميمات الّتي تؤثر في السّياق"[3] ، فهناك علاقة بين هذين السّياقين لأنّهما يؤثّران على الوحدات الدّلالية، بالإضافة إلى التّأثير المتبادل بين السّيميمات نفسها، كما سجل راستي أنّ السّياق مبدأ ضروريّ في عملية التّواصل وفكّ حالات الغموض والالتباس الدّلالي، لذا أصبح المنظّرون في الذّكاء الاصطناعي يلجؤون إليه لحلّ إشكالية الغموض الدّلالي، وقد بيّن برنار بوتيّ (POTTIER) فاعليّة السّياق في عملية التّلفظ، وأدرك أنّه موضوع للدّلالة التّداوليّة الّتي تطمح إلى دراسته[4] .

كما أسند رومان جاكبسون التّواصل اللّساني إلى السّياق (الوظيفة المرجعيّة للّغة) وهو عامل لتوضيح قصديّة الرّسالة، وقد عالج غريماس ألجيرداس الدّلالة البنيويّة باعتبارها مفهوما له

(1) A.J.Grimas, J. courtés, Sémantique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p66.

(3) François Rastier, Sémantique Interprétative, p72.

(3) Ibidem.

(4) Bernard Pottier , Sémantique générale, p23-p24.

مدلول مماثل للسّياق وهو جزء من السّيميم، وهي السّيمات السّياقيّة (الكلاسيم) لأنّ تغيّرات المعنى الناتجة عن اللّيكسيمات يحدّدها السّياق؛ أيْ الوحدة التي تبرز تلك التغيّرات صادرة عن السّيمات السّياقية "وهي سيمات أو شبكات دلالية تتكرر في وحدة معينة"[1] .

عدّ فرانسوا راستي التعرّف على السّيمات السّياقيّة وتحليلها عند غريماس مشروط بالتعرّف على الأنويّة الدّلالية في تركيب ما، ومن الصّعوبة إيجاد سيما سياقيّا يجمع خصائص السّيميمات.

أمّا تشومسكي فقد ربط السّيمات بسماتها الدّلاليّة الّتي تعود إلى البيئة المعجميّة مكتفيا بالسّمات الدّاخلية (الخصائص) للسيميم كسياق لتحديد دلالته، لكّن فرانسوا راستيّ رفض التّمييز بين السمات الدّاخلية للسميم عن السمات الدّلالية الخارجية.

وأطلقت كاربرا(KARBAT) القيود الانتقائية على السمات الدّاخلية لأنّ المعنى يتحدّد بالعلاقات الّتي تجمع بين السّيمات، والسمات الدّاخلية (الخصائص) للسّيم المجاور له باعتبار وظيفتها الاختيارية.[2] ، وتقود معرفة السّمات الدّاخليّة للسيم القارئ إلى تحيين السيمات الملازمة والمجالية في سياق ما لتحديد التشاكل.

إنّ السّياق يسمح بتعيين السّيمات الملازمة للسّيميمات، وقد سجل فرانسوا راستي أنّ السِّياق "هو كلُّ النصّ لكّنه ليس هو الكلّ في النصّ"[3]، إذ يحيِّن السّيمات الملازمة والمجاليّة في النصّ ولا يتعيَّن المعنى بل يحتاج إلى تفاعل السِّياق مع تعليمات تأويليَّة أخرى مثل التّناص.

---

(1) A.J. Grimas. J. courtes, Sémantique dictionnaire raissonné de la théorie du langage, p67.

(2) ينظر: François Rastier, Sémantique Interprétative, p75-p76

(3) Idem, p73.

وفي صياغة فرانسوا راستي لمفهوم السّياق فقد أقرّ بانعدام نظرية طبيعيّة خاصة بها ، وتتميّز بتبسيط هذا المفهوم، لأنّ الاتجاهات السابقة تعدُّه ظاهرة هامشية ودلاليّة وسطحيّة أيضا، غير أنّه محرّك للمعنى يعيد صياغة المضامين، وهو مكوّن للدّال انطلاقا من تصوّره في مؤلفه **الدّلالة والأبحاث المعرفية** (2001) بوصفه "مجموعة من التّعليمات المتضمَّنة في النصّ الّتي تسمح بتحديد السّيميم وخصائصه المكوّنة له، بالإضافة إلى التّعليمات المصاغة من المحيط الّتي تنشئ المسار التّأويلي النّسبيّ للسّيميم"[1]، وتلك التّعليمات اللّسانيّة الدّاخليّة والخارجيّة تحدّد سيميما يوافق المدلول، ثمّ يتمّ إنتاج معنى السّيميم وما يطابقه في النصّ.

نخلصُ إلى القول إلى أنّه توجد علاقة تأثير وتفاعل بين السّيميمات في وجود السّياق الّذي لا يزال ظاهرة مستعصية لم يتمكّن الذّكاء الاصطناعي من معالجتها، خاصة مع شيوع ظاهرتي الغموض المعجمي والتعدّد الدّلالي "فالّسياق لا يُعيِّن معنى الكلمة بل يحدّده ويكوِّنه ، لكّن في الذّكاء الاصطناعي لا تُعالج إلاّ المشكلة الأولى".[2]

إنّ دراسة النّصوص الورقيّة والرّقميّة دعت الباحثين الألسنيين إلى تطبيق نظرية المخططات وتوصّلهم إلى مفهوم الحقول الدّلالية (تيكسيم – البُعد – المجال).

سجّل فرانسوا راستي أنّ التّعقيد النصّي ينشأ من المبدأ السّيميائي المتمثّل في سيرورة السّيميوز فهو يشكّك في هذا المبدأ قائلا :"يجب أنْ نشكّك في السّيميوز، فإنّ كلّ المسارات الّتي يؤسِّسها تكون معقدّة، لأنّها تتطلّب تدخّل محورين هما المضمون والتّعبير، ومن أجل ناتج أكبر للتّحليل فإنّ

(1) François Rastier, Sémantique et rechercher Cognitives , p154.
(2) Idem , p154- p155.

السّياق هو مكوّن وليس محدّدا بسيطا، فلا يعدّل العلامات المعطاة، بل يسمح بالتأليف بينها كعلامات".[1] فإذا كان السّميوز يؤدّي إلى توليد المعاني، يكون نتيجة تحيين السّياق الجامع بين السّيميمات المتجاورة، وعليه قراءة النصّ مرهونة بالسّياق اللّساني وغير اللّساني، وإنْ كان السّياق شرطا لإنتاج المعنى "لأنّه لا يمكن أنْ يصبح مرئيا إلاّ في علاقته بالنّسق المولّد له"[2] .

فهو يولّد إمكانيات متعدّدة داخل اللّغة وخارجها – المحيط- لذلك اقترح فرانسوا راستي المحيط بوصفه نسقا غير لساني له تأثير على إدراك الدّلالة التّأويليّة، ويشمل النصّ ،المرسِل والمتلقّي، ويتضمَّن المؤوِّلات الضّروريَّة لتحيين مضمون النصّ، وللبحث عن دلالة النصّ يجب مراعاة الأنساق السّيميائية الأخرى المنتجة للسّيرورة التّدليلية النصّية، أو هو مجموعة الظّواهر السّيميائيّة المتعلّقة بسلسلة لسانية؛ أيْ السّياق غير اللّساني، فالنصّ هو مزيج بين بنيتين لسانية وسيميائية ، ويقصد بهما ما يرافق النصّ من إيماءات وإشارات، وصور أو أشكال لسانية خطيّة، وكذا مختلف الأنساق البصريّة.

وقد قسَّم فرانسو راستي المحيط إلى ثلاثة فضاءات متمثِّلة في:

1- سيميائيات مرتبطة بالنّص (إيماءات، إشارات، كتابة، موسيقى، صور، شروح طبوغرافيا) ووضعية التّواصل والممارسة الاجتماعيّة غالبا، حيث يأخذ النصّ مكانه ويمثّل اختيار جنسه مثل

(1) François Rastier, La Mesure et le grain, Sémantique de corpus , p242.

(2)سعيد بنكراد، السّيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص34.

تكوينات اجتماعية وآخرها المعارف الموسوعيّة للمجتمع حيث يكون للتّواصل مكانة لاشتماله عليها، و هي تضم كلّ المعارف الممكنة للمرسِل والمتلقّي.[1]

يمكن التنبيه إلى أنّ فرانسوا راستيّ أدرج المعارف الموسوعيّة ضمن المحيط (السّياق غير اللّساني)، والتي تؤهل القارئ لتحيين المعنى، فالنّصّ يجمع بين المبدأ الخطّي للعلامة والنسق السّيميائي (كتابة، إشارات، وصور)، وجنسه مرتبط بالتّجارب الإنسانيّة والمجتمعيّة ومدى تأثيرها عليه – تفاعل المؤلّف مع المحيط والقارئ– ويرقى النصّ إلى الانفتاح على سيرورة لانهائية من التّأويلات وتحدّ الموسوعة من انغلاقه.

معنى هذا أنّ الموسوعة تضمُّ معارف مُتباينة تتراوحُ بين معلومات اجتماعيّة، تاريخيّة ثقافيّة، وشخصيّة تحدّد بدورها طبيعة السّياق (اجتماعي، ثقافي، تاريخي..)، وعلى الرّغم من تحديد المحيط (السّياق غير اللّساني) كشرط للدّلالة التّأويليّة فإنّه يؤثّر على معنى النصّ فهو غير ثابت وقابل للتغيُّر من قبل القارئ أو العصر أو الثّقافة، ولا يكون ديناميكيا إذا خلا من المعارف الاجتماعيّة والثّقافيّة والتّجارب الإنسانيّة[2] .

(1) François Rastier, Sens et textualité , p51.

(2)ينظر : Ibid , p51.

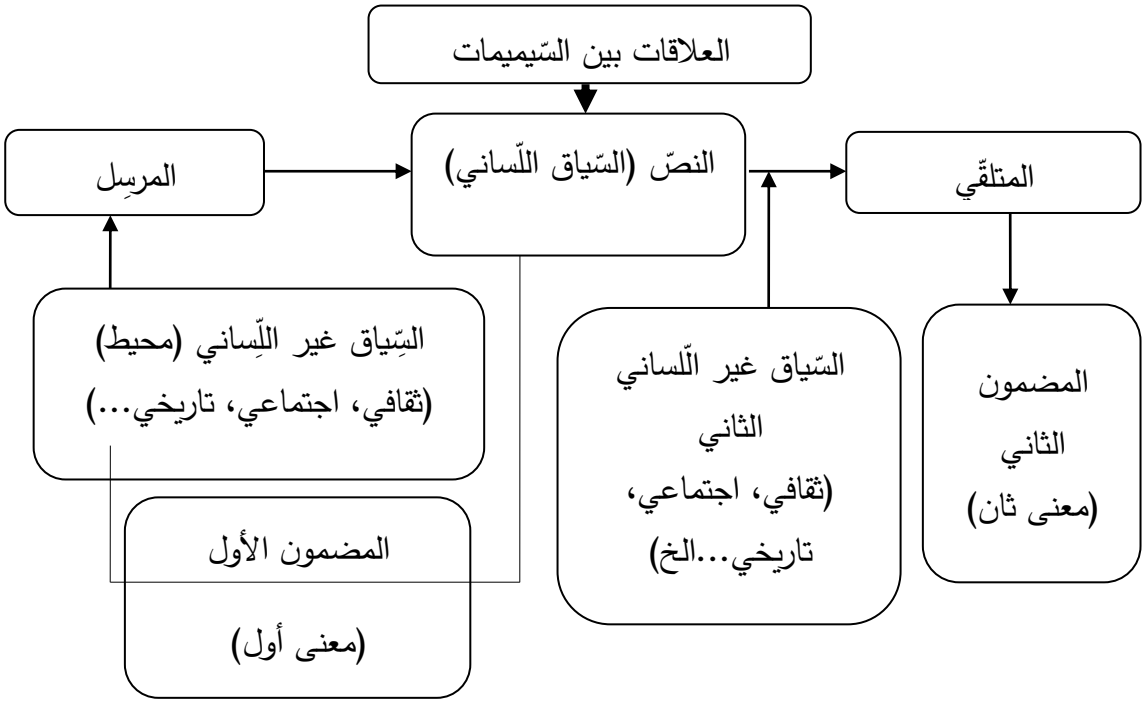

تفاعل المرسِل والمتلقّي مع السّياق اللّساني وغير اللّساني و تأثيراته على المسار التّأويلي (1)

تمثِّل هذه الخطاطة تغيّر المضامين النصّية من المرسِل والمتلقّي نظرا لتباين المحيط –السّياق غير اللّساني– المصاحِب لها، ومن خلاله تمت عملية التّواصل، لأنّه ينطوي على موارد ثقافيّة واجتماعيّة وتاريخيّة متعدّدة لدى المرسِل والمتلقّي، ونستنتج أنّ ظروف التلقّي التّأويلي تنعكس على تأويل النّصّ وإدراك قصديته، بالإضافة إلى ما يحتويه النصّ من أنساق سيميائيّة مختلفة تحتمل معان متعدّدة.

إنّ السّياق والتّناص مبدآن يستندان على التّفاعل بين المؤلّف والقارئ، باعتبار أنّ المؤلِّف يُنتج نصّا انطلاقا من متن يسعى القارئ لاسترجاعه رغبة في تأويله (2)، وذلك التّأويل متمسكٌ بالمبدأين السّابقين.

(1) ينظر: François Rastier, Sémantique Interprétative,p251-252-253

(2) ينظر : فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت إدريس الخطاب، ص125.

كمّا أنّ الدّلالة التّأويليّة مرهونة بالسّياق اللّساني وغير اللّسانى (المحيط) السّيمات الملازمة والمجاليّة* والسّيميمات والتّشاكلات، بالإضافة إلى ما سبق فإنَّ فرانسوا راستي جعل الموسوعة فضاء من الفضاءات الّتي حدّ بها السّياق غير اللّساني (المحيط)، وبحث في علاقاتها أو صلتها بالتّأويل الدّلالي.

خامسا– الموسُوعة:

يعتمد تأويل دلالة نصّ ما عند فرانسوا راستي على شروط وقواعد تتمثّل في المعارف الموسوعيّة لدى القارئ والمرسِل، وهي غير متوفِّرة في النصّ بل يسعى القارئ إلى تحيينها سواء كانت مكتسبة أو يقوم بتجديدها انطلاقا من تجاربه وخبراته في مجتمعه، ممّا دفع فرانسوا راستي إلى رفض مبدأ المحايثة والمسار التّوليدي عند جوليان غريماس القائم على بنية النصّ ولا علاقة له بما هو خارج عنه، وحجّته أنَّ فهم النصّ يُحيل على مواردَ خارجة عنه – خارج لساني– فهو لا ينحصر في معرفة القارئ النّسق الوظيفيّ للّغة .

تتميّز الموسوعة بطابعها الثّقافي، والتي يمتلكها القارئ وتشتمل على خبراتهم ومعارفهم وتجاربهم الإنسانيّة، وإن كانت تمثّل"مجموع العادات التّأويليّة لجماعة ثقافيّة معينة"[1] ينتقي القارئ منها ما يقتضيه السّياق في نصّ ما، ويفترض التّأويل نموذجا لكفاءة تأويليّة حيث استهل تحديده آلية الموسوعة بسؤال جوهري حول إمكانيّة وجود نموذج واحد للكفاءة أو عدّة نماذج، وعن قدرتها لضبط شروطها المطلوبة[2]، رغم أنّه لم يضع إجابة محدّدة وقطعيّة.

* السّيمات الملازمة تحيّن خارج السّياق مع قابلية تحينها فيه، أمّا السّيمات المجالية فلا تحيّن إلاّ داخله.

(1)محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، ص201.

(2) »ينظر :.François Rastier ,Sémantique Interprétative , p251

وتفاديا للتّمييز- حسب فرانسوا راستي- الّذي أحدثه بعض السّيميائيين بين الموسوعة والمعجم (أمثال: أمبرتوإيكو،هاتاكياما وعلي (HATAKEYAMA et ALII) ، وتصنيفهم للمعارف بين موسوعيّة ومعجميَّة، فإنّه يَعدُّ كل معرفة معجميّة بإمكانها استخلاص الدّلالة النّصيّة، فهي تنتمي إلى الموسوعة .

والنصّ من جهته ليس متفرّدا بمعناه، ومستقلاّ بذاته بل يجب أنْ يستقي معانيه المتعدّدة "باللّجوء إلى المعارف الموسوعيّة النّاتجة عن العلوم الاجتماعيّة وعلوم الطبيعة لتحيين معاني المكوّنات النّصيّة".(1)

يصِّر فرانسوا راستي على ضرورة إرساء المعرفة الموسوعيّة لتعيين المعنى، وقدرتها على الانتقال بالنّصّ من الأحاديّة إلى تعدّديّة المعنى، ليصبح التّأويل مُنفتحا على السّياق اللّساني المعارف الثّقافيّة الموسوعيّة، ولا يكتفي القارئ بالنّسق اللّساني للنصّ، ليؤوِّله في حدود المتن الّذي أنتجه المؤلف، ومن سيرته وجهازه اللّغوي المستخدَم، والبحث عمّا تحيل إليه الرُّموز والسّنن الّتي يوظّفها ومن معطيات المحيط التّداولي. (2)

قد اقترح فرانسوا راستي أنّ تأويل النصّ بالرُّجوع إلى المعارف الموسوعيّة يجب تطابقها مع التّعليمات النّصيّة لأنّها تضمن اتّساق القراءة(3)، وفي هذه الحالة قد تكون القراءة الإنتاجيّة لا وصفيّة، ويمكن القول أنّ التّأويلات الدِّلالية للنصّ تتعلّق بالخبرات والتَّجارب الإنسانيّة والكونيّة

(1) François Rastier , Sens et textualité, p17.
(2) ينظر : François Rastier ,Sémantique Interprétative, p252.
(3) ينظر :François Rastier , Sens et textualité , p51.

والثّقافيّة للقارئ، لهذا يؤكّد فرانسوا راستي على ضرورة إلمام القارئ وتقيّده بمعرفة اللّغة، وكذا، المؤلِّف، الجنس، المؤلَّف والمجتمع. (1)

إنّ تحديد فرانسوا راستي لمفهوم الموسوعة وما تضمُّه من معارف جعله يعرُج إلى دراسة استعمالاتها والطّريقة المثلى لتوظيفها ولتحسين المعاني، فاستنتج أنّ البنية الدّلالية خاضعة للمعارف الخاصة بالموسوعة الّتي تضمّ سيرة المؤلِّف، ومعان مُحتملة، بالإضافة إلى التّناصات ، فهي تُسهم في التّأويل الدّاخلي للنصّ. (2)

يمكن للمعارف الموسوعيّة أنْ تتراكم عبر التّاريخ والإثنولوجيا لدى القارئ، لكّن رغم تعدّد استعمالات الموسوعة إلاّ أنّه يجب الاستغلال الأمثل لها، وتظهر أهميتها في التّأويل الدّاخلي للنصّ، وإن كان النّسق اللّساني لا يحقّق ذلك بمفرده بل يتطلّب استحضار تلك الموضوعات والمعارف الثّقافية (المحيط).

خلُص فرانسوا راستي إلى"أنّه لا يحتوي أيُّ سيميم الموسوعة، ولا يتضمّن النّصّ معنى نافدا ...، يُمكننا ضبط المعلومة الموسوعيّة المطلوبة تقريبا لمؤوِّل خارجيّ لتحسين مكوِّن دلالي نصّي، ولإتمام التّأويل الدّاخلي، فإذا كان هذا المكوِّن سيما مُلازما فهي – المعلومة الموسوعيّة–ضروريّة، وعندما يكون السّيم مجاليا فلا تزال المعلومة الموسوعيّة مستعملة " (3)

سجل راستي أنّ التّأويل الخارجيّ تحدّده أيّة معلومة لهذا تكون قيِّمة بالنسبة له، وقد يكون استعمال الموسوعة نابعا ممّا يوظّفه في نصِّه ضمنيا بطريقة معقّدة،فكل ما يتعلق بالعادات الاجتماعية

(1) ينظر : François Rastier ,Sémantique Interprétative , p251 .

(2) ينظر :Idem, p 253,254, 255.

(3) ينظر :Idem, p258 .

والمعارف الخاصة بالمؤلف يمكن الاشتغال عليها في تأويل النص[1]، ليتمّ ذلك ضمن استراتجيتيْن مختلفتيْن هما السرُّ والمجاز، ويقصد بالسرّ سيرة الكاتب الذّاتية، فهي بالنسبة إليه معارفُ شخصيّة يجهلها القارئ، لكّن يجب الإلمامُ بها، ومعرفة استراتيجية المجاز من جهة أخرى، والّتي يُمارسها الكاتب لاشتمالها على معارف موسوعيَّة مجازية[2] تجعل التّأويل ينزاح إلى معان أخرى أو إلى لا نهائية المعنى، فيؤدي إلى الخُروج عن النّصّ و تشويه نسيجه وهدمه.

وبيّن فرانسوا راستي ذلك من خلال النّماذج المطروحة في مؤلفه (الدّلالة التّأويليّة) أنّ ما يتمُّ استخدامه في تّأويل النصّ"نابع من ظواهر لسانية، ومبرّرٌ رغم انفصال تلك المعارف الموسوعيّة عن اللّسانيات"[3] – كالتاريخ، اثنولوجيا، الآداب..– وأضاف فرانسوا راستي عاملا آخر يؤدّي إلى حشد المعلومات والمعارف الموسوعيّة، ويفعّل التّأويل بنوعيه المتمثِّل في التّشاكلات ليتمَّ تحيين المكوّنات الدِّلاليَّة في السّيميمات مع ربطها بسياقها المنصُوص عليه. [4]

ذلك لأنّ التّشاكل يتحيَّن في سياقه لذلك، هذا ما يؤدي إلى تحديد معنى النصّ، لكّن قد تتميز بعض النُّصوص بغموضها، فتستحيل عملية التّواصل، وتصبح غير مُمكنة دون توفُّر وحدات

(1) ينظر: محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة ، ص 211.

(2) François Rastier ,Sémantique Interprétative,p259.

(3) . «toute recherche utile à l'interprétation du texte est linguistiquement justifiée ,même si les connaissances requises ne relèvent pas de la linguistiqu. », François Rastier ,Sens et textualité , p51

(4) François Rastier , Sémantique Interprétative , p259.

(سيمات ملازمة، سيمات مجالية) تبرز دور التّشاكل بوصفه مفتاحا للدّلالة التأويلية ، لأهمية في إزالة الغموض المعجميّ [1] .

نخلص إلى القول أنّ التّشاكل قد يكون قاصرا لفهم المعنى، وهذه الإشكاليات اقتضت لدى فرانسوا راستي استدعاء معالم تأويليّة أخرى **مثل** التّشاكلات المتنوّعة، وطبّق ذلك في نصّ **التّحية لمالارميه** .

(1) Nevena stoyanova, Isotopie et interprétation de texte dans les processus de traduction , https :www.rechearchegate.net /publication, p6.

الفصل الثاني : النصّ بين الانفتاح والتأويل السيميائي عند أمبرتو إيكو

- المبحث الأول: النصّ بين الانفتاح والقارئ
- المبحث الثاني : مصطلحات السيميائيات النصيّة عند أمبرتو إيكو
- المبحث الثالث : النص والتّأويل عند أمبرتو إيكو

تعدّدت الأنساق السّيميائية الّتي ظهرت بظهور النّظرية السّيميائية، واشتغل السّيميائيون بشتّى هذه الأنساق الّتي اهتمّت بدراسة التّمفصلات الممكنة للمعنى وعُرفت بالسيّميائيات الخاصّة ذات الطّبيعة التّطبيقيّة، إذْ تعتمد كلُّ واحدة منها لغة تُؤَسّس لها المفاهيم والمصطلحات الإجرائيَّة لبنائها ودراستها ومن بينها ؛ سيميائيات الصّورة ، السّينما ،الموسيقى الرّسم، المسرح، وسيميائيات النّصّ الّتي عُني بها أمبرتو إيكو وهي تهدف إلى قراءة النّصّ باعتباره خزّانا من الدِّلالات وتحديد ما يؤُول إليه بمعرفة م قصديّة المؤلِّف والاعتماد على تأويلات القارئ .

وتجدُر الإشارة إلى أنّ أمبرتو إيكو حدّد مجموعة من المقولات المركزيّة لفكّ علامات النّصّ كونُه نسقا تواصليا، وينبغي تحديدُ الأسس الفلسفيَّة والمعرفيَّة لسيميائيته النّصيَّة قبل تبنّي مفهوم النّصّ عنده .

المبحث الأول : النّصُّ بين الانفتاح والقارئ .

يعدّ أمبرتو إيكو من الباحثين السّيميائين الّذين طوَّروا النّظريَّة السِّيميائية، لأنَّه كان مُهتما بموضوع التَّواصل والبحث عن الدِّلالات والمعاني وتعدُّدها في مختلف النُّصوص الأدبيَّة ،إلَّا أنَّنا نجدُه في سيميائياته النَّصيّة متأثِّرا بروافد فلسفيّة ومعرفيّة متعدّدة، حيثُ انعكست الفلسفة الهيرمنوطيقيّة في مقولاته النّصيَّة، وهي تهدفُ إلى تفسير وتأويل النّصّ اللاّهوتي أو الدِّيني المقدَّس في الثَّقافة الإغريقيّة، وتُعرّف بأنّها"نظرية عمليات الفهم في علاقتها مع تفسير النُّصوص هكذا ستكون الفكرة المتوجّهة هي فكرة إنجاز الخطاب كنصّ"[1]الّذي يتمثَّل العالم، ويسعى الإنسان إلى فهم حقيقته وجلاء علاماته باستبانة دلالاته، فقد ارتبط معنى الهيرمينوطيقا بتفسير النّصّ الدِّيني المقدَّس.

كما تهتمُّ بعلاقة المفسِّر بالنصّ، ثمّ اتّسع مدلول هذا المصطلح في تطبيقاته الحديثة، وهاجر المصطلح من مجال اللاَّهوت والنُّصوص الدِّينيّة إلى العلوم الإنسانيّة لتشمُل النُّصوص الأدبيّة،

(1) عمار ناصر، اللّغة والتّأويل؛مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربيّة والتّأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2007، ص19 .

"والهيرمينوطيقا تختلف عن التّفسير الّذي يُشير إليه مصطلح(Exegesis) على اعتبار أنَّه يُشير إلى التّفسير نفسه في تفاصيله التّطبيقيّة، بينما يُشير مصطلح الهيرمينوطيقا إلى نظرية التّفسير"[1].

ففي النصّ الدّيني يُكشف عن معانيه من خلال ممارسة التّفسير والشَّرح، أمّا قواعد هذا التّفسير فهي الهيرمينوطيقا.

حاولت الذّات الإنسانيّة الانفتاح على النّصوص الدّينيةّ لفهم دلالاتها، فاستلزم ذلك مُمارسة عمليّة التّأويل المتولّد عن الهيرمينوطيقا إذ ترتبط في اشتقاقها اللّغويّ بالشّخصية الإغريقيّة **هُرمس** (Hermés) الملقّب بمُثلث العظمة، "وقد كان كائنا متقلّبا وغامضا وكان أبا لكلّ الفنون، وربّا لكلِّ اللُّصوص في الوقت ذاته، ولقد كان شيخا وشابا في ذات الوقت "[2]، ويحمل تناقضات متضادّة فهو يُشبِهُ النّصَّ الّذي تتعايشُ فيه الدِّلالات المختلفةُ ولذلك عالج أمبرتو إيكو المتاهة الهُرمسيّة الّتي تُحيل إلى مفهوم التّأويل القائم على تعدّد معاني النّصّ.

أولا– الأسُس المعرفيّة والابستيمولوجيّة لسيميائيّة النصّ عند أمبرتو إيكو:

اهتمّ أمبرتو إيكو بمجالات متعدّدة كالصِّحافة والموسيقى والأدب عامة والرّواية خاصة إضافة إلى اطلاعه على علوم ومعارف وخبايا القُرون الوسطى من بينها اللّسانيات، علم الإناسة ، المنطق الّذي يتماهى مع سيميائيته كنظرية عامة للثّقافة مبناها العلاقة الّتي تجمع بين العلامات والدّلالة .

ونُلفي أمبرتوإيكو"يستحضر النّموذج اللّساني باعتباره أرقى النّماذج وأكثرها شموليّة وانسجامه من جهة، وباعتباره النّسق الّذي تتمّ من خلاله عمليّة تأويل الأنساق الأخرى فاللّسان هو أرقى الأنساق التّواصليَّة"[3].

(1) نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التّأويل، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط7، 2005، ص13 .

(2)أمبرتوإيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004،ص29.

(3)، أمبرتوإيكو، العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، ت سعيد بنكراد، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2010،ص18.

فقد انطلق أمبرتو إيكو من لسانيات دي سوسير، لأنّ اللّسان هو أداة لإدراك الكون، وتحويل ما هو حسيّ إلى مفاهيم ترتبط بنسق ثقافيّ معيّن، ومن خلاله تُؤوَّلُ العلامات غير اللّسانيّة وهو الأنسب حسب ما طرحه رولان بارث حين انتقد دي سوسير وجعل علم العلامات جزءا من اللّسانيات، فهو يرى أنّ اللّسان أعمّ في دراسة حقول اجتماعيّة وثقافيّة وطُقوسيّة متنوّعة؛ كالموضة والمطبخ والأسطورة وغيرها بحيث تنتِجُ مضامين دلاليّة هدفُها الإبلاغُ، ويعلن"أنّ كلّ نظام دلائليّ يمتزجُ باللّغة "[1] ، وتواجهنا اللّغة أو العلامة اللّسانيّة من جديد لقراءة العلامات غير اللّسانيّة.

كما استمدّ أمبرتو إيكو من لسانيات دي سوسير بعض المفاهيم الاصطلاحيّة كالعلامة والبنية والدّال والمدلول والمركّب والاستبدال والتّزامنيّة والتّعاقبيّة ومفهوم القيمة وكذلك شكل المضمون والتّحليل الدّلالي، وانطلاقا من مفهوم البنيّة صاغ أمبرتو إيكو مفهومين جديدين هُما النّسق والسّنن ليؤسِّس لسيميائيّته الّتي ستكون سبيلا لمعرفة حقول غير لسانية.ولم يكتفِ أمبرتوإيكو بلسانيات دي سوسير بل استعان بمصطلحات لويس هيلمسليف البنويّة كالتّعبير والمحتوى والتّقرير والإيحاء أو التّعيين والضِّمني، إذْ العلامةُ عنده كيان له مستويَيْن؛ مُستوى تقريريّ يُعيّن الحدّ الأدنى الدّلالي ومستوى إيحائي أو ضمني يُحيل على كلّ الممكنات الدّلالية الّتي تشتمل عليها الواقعة الإنسانيّة[2]، وعليه يتجلّى التّأثُّر واضحا في مصطلحيّة أمبرتو إيكو بمفاهيم لويس هلمسليف كالمعنى التَّعييني والمعنى الضِّمني اللّذين يحويهُما النّصُّ.

بالإضافة إلى استفادته من أبحاث علماء الإناسة وأعمال رولان بارث وشارل سندرس بورس، ففي علم الإناسة نجده قد تأثّر بكلود ليفي شتراوس الّذي اتخذ من العلامة اللّغوية معيارا لتحليل الظّواهر الأنثربولوجيّة، لأنّ أنظمة القرابة أشبه بأنظمة اللّغة[3]، إذ استعان بالمنهج اللّغوي السّوسيري لدراسة الثّقافة والأساطير عند الإنسان ليستنتج من ذلك أنّ القرابة اللُّغويّة مُماثلة للقرابة العائليّة، وتمكّن من فهم البُنى الأنثروبولوجيّة، ومن هذا المنطلق البنيويّ الأنثروبولوجيّ شرع أمبرتو إيكو في

(1) رولان بارث، مبادئ في علم الأدلّة،ت محمد البكري ،دار الحوار، اللاذقية ،ط2، 1987، ص27-28.

(2) ينظر: أمبرتوإيكو،العلامة؛ تحليل المفهوم وتاريخه، ت سعيد بنكراد، ص23.

(3) ينظر : فاضل ثامر، اللّغة الثّانية في إشكاليّة المنهج والنظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي العربي الحديث، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 1994، ص10.

التّأسيس لمشروعه السِّيميائيّ ،ويعتقدُ أنّ دراسة المعنى تتطلَّبُ الرّجوع إلى السَّنن الثّقافيّ للإنسان أو المرجعية الثّقافيّة.

أمّا نظرية شارل سندرس بورس شكَّلت مُرتكزا أساسيا في أبحاث أمبرتو إيكو السّيميائيّة خاصة ما تعلّق بالنصّ السّردي، فهي تتميَّز بعمقها الفلسفيّ المنطقيّ ومنحاها التَّداوُليّ ومفاهيمها الدّلاليّة، محاولا تطويع نظرية سيميائيّة جديدة لها خُصوصيتها.

وتعدّ نظرية بورس أشملُ من نظرية دي سوسير حسب إيكو القائمة على الثُّنائية (الدّال والمدلول) وفيها إقصاء لمرجع العلامة، في المقابل إنّ النّموذج الّذي قدّمه بورس يتمثَّل في الثُّلاثية (علامة، موضوع، مؤوَّل) ،وهو عبارة عن مثلّث سيميائي استخدمه أفلاطون وأرسطو والرّواقيون وفرانسيس بيكون وغيرهم[1]. ويدّل ذلك على تعمّق أمبرتو إيكو في قراءة التُّراث الفلسفي الإغريقيّ القديم حتّى يُرسي نظريةً لها دور في قراءة المعاني المنضوية خلف كلمات النّصّ.

وقد أتاحت له المفاهيم البورسية ذلك من بينها المؤوَّل والمعاني أو السّيرورة اللّامُتناهيّة للدّلالات وهي ما أسماه شارل سندرس بورس بالسّيميوزيس، "ويُقصد بها الحدثُ أو الأثرُ الّذي يستدعي تعاون ثلاثة فواعلَ هي العلامةُ وموضوعُها ومؤوَّلها"[2]، فالسّيميوزيس هي سيرورة تؤدّي إلى إنتاج دلالة العلامة من خلال علاقة سيميائية تجمع بينَ الماثول (العلامة) والموضوع عبر الفعل الّذي يقوم به المؤوَّل، وعليه فالتّجربة الإنسانيّة مهد للعلامات ومنطلَق لمعرفتها .

وفي ظلّ المفهوم البورسي للسّيميوزيس اجتهد أمبرتو إيكو لاقتراح آلية جديدة يُمكن من خلالها قراءة النصّ وهو التّأويل الّذي نُلفيه في إدراجه للمؤوَّل الّذي يكشف عن موضوع العلامة، وينظر إلى مقولة المؤوَّل في فكر بورس باعتبارها عنصرا ثالثا ضمن علاقة ثُلاثية لتعيين دلالات الأشياء، ويعتقدُ أمبرتوإيكو أنّ تصنيفات بورس لأنماط المؤوَّلات "وتمييزه بين مؤوَّل مباشر وبين مؤوَّل ديناميكي نهائيّ يُشكّل الأثر الذّي تُنتجه العلامة، وبين مؤوَّل نهائيّ هو الأثر الذّي تُنتجه

(1) ينظر: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ت طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص74-75.

(2) Gérard Deledalle , Théorie pratique du signe, Introduction, à la sémiotique de charles S. Peirce , bayât, paris, 1979, p24.

العلامة في الذِّهن إذا ما توّفرت الشّروط المحقِّقة لذلك الأثر"[1]، وهذا يُتيح لنا إدراك موضوع العلامة أو الدَّليل الّذي يُشكّل تجربة من العَالِم ويغدُو الدّليل موضوعا، والموضوعُ قد يُنشئ دليلا مُعادِلا الّذي يَنتجُ عن سيرورة انفتاح السّيميوزيس، ويهدف من توظيف هذا الانفتاح مُقاربة دلاليّة قائمةً على مفهوم القصديَّة.

ثانيا– الأثرُ المفتوح والنَّصُّ :

لقد سعى أمبرتو إيكو إلى تحديد مفهوم النّصّ في دراساته السّيميائيّة وقبل استعماله لمصطلح النّصّ وظَّف مُصطلح الأثر أو المؤلَّف المفتوح ، وإنْ كان حديثا فالنّقد الغّربيّ وظهر عند أمبرتو إيكو من خلال مُؤلَّفه الأثر المفتوحُ(L'œuvre ouverte)[2].

يختصُّ هذا المفهوم بالنّصِّ أو الأثر الأدبيّ وقد شاع مصطلح الانفتاح في التُّراث النَّقدي اليوناني القديم، وفي النَّظريات النَّقديّة العربيّة.

استعمل أمبرتو إيكو مصطلح الانفتاح في نظريته النّقديّة من خلال مُداخلة ألقاها المؤتمر العلمي للفلسفة عام 1958، ولم يختصّ هذا المصطلح بالآثار والأعمال الأدبيّة فقط ، وإنّما شمَل مجالات فنيّة متعدّدة كالموسيقى والفُنون التَّشكيليَّة والتّلفزيونية وكلّ ما يرتبط بالحياة الاجتماعيّة.

وليوضِّح أمبرتو إيكو مفهوم هذا المصطلح اعتمد على مجموعة من الأعمال الموسيقيَّة الكلاسيكيّة الّتي تسمح من خلالها لكُتّابها بمنح الحرّية للعازفين في تأديتها، إذ يرى أمبرتوإيكو"أنّ هذه الأعمال تكشِفُ عن المسافة الشّاسعة الّتي تفصلُ بين مثل هذه الصّيغ وتلك الّتي فرضها علينا التّقليد"[3].

وهنا يتجلّى مفهوم الانفتاح إذ أصبح الموسيقيون يتمتّعون بالحرّية في عزف المقاطع الموسيقيّة إذ لم يسبق لهم ممارسة ذلك، لكّن يسعى العازف إلى ترجمة العلامات الّتي صاغها المؤلِّف الموسيقيّ بالشّكل الّذي يتصوّره، وبالتّالي"تلك العلامات أو الوقائع الصّوتيّة لا تشكِّل خطابات مُنتهية ومحدّدة

(1) أمبرتو إيكو، العلامة؛ تحليل المفهوم و تاريخه، ت سعيد بنكراد، ص271.

(2) Umberto Eco, L'œuvre ouverte, ,traduit Chantal Roux ,edition du seuil, .1965

(3) أمبرتو إيكو، الأثر المفتوح ، ت عبد الرحمن بوعلي،دار الحوار،سورية ،ط2، 2001، ص 07.

أو أشكالا محدّدة بشكل نهائيٍ، فنحن لا نكون في اتجاه بنيويّ مُعطى أمام الأعمال الّتي تتطلّب أن يُعاد فيها التّفكير وأنْ تُعاش من جديد، ولكّن أمام أعمال مفتوحة يقوم العازف بتأديتها في الوقت الذّي يقومُ فيه بدور الوساطة"[1].

وعليه فالأثر الفنيُّ ليس بنية ثابتة أو عناصرَ تجمع بينها علاقات داخل النّسق، وكلّ عنصر خارج البنية لا قيمة له، بل هو أثرٌ مفتوحٌ لأنّ العازف بمثابة وسيط بين المؤلِّف والأصوات، وهو يمتلكُ أحاسيس متميّزة كونُه ذاتا مؤوّلة وهي تتعلّق باللُّغة والتَّوصيف السِّيميائيّ[2]،كما أنّ إدراك العازف للأصوات الموسيقيّة وإحساسه بها يختلف عن تأليفها ممّا يجعل العمل مفتوحا،"وهكذا يخلق المؤلّف شكلا مُكتملا بهدف تذوُّقه وفهمه مثلما أراد هو لكّن من جهة أخرى، فإنّ كلّ مستهلك وهو يتفاعل مع مجموع المثيرات، هو يحاول أنْ يرى ويفهم علاقاته، يمارس إحساسا شخصيّا وثقافة معيّنة وأذواقا واتجاهات وأحكاما قبليّة تُوجِّه متعته في إطار منظور خاص به"[3]، فيكون القارئ أمام أثر مفتوح يعتمد على ثقافته ومعرفتهِ والسّياق الممكن من الأثر الفنيّ ليتذوَّقه ويشعر بالمتعة وهو يتمتَّع بالحرّيّة في تلّقِيه.

ومن خلال النّماذج الموسيقيّة الّتي عرضها أمبرتو إيكو، يبدو أنّها ليست آثارا كاملة كما يتصوّر المؤلِّف بل هي آثار مفتوحة تحتاجُ إلى مؤوِّل أو قارئ لإتمامها وفق حرّيته، لأنّ شعرية الأثر المفتوح كما يقول بوسير وهو أحد المهتمّين بتأليف الأعمال الموسيقيَّة المنفتحَة "تحاول أنْ تعطي الأهميّة لأفعال الحريّة الواعيَّة عند المؤوِّل، وأنْ تجعل منه المركز الفعّال لشبكة لا تنتهي من العلاقات"[4]، ممّا يجعلُ من الانفتاح عاملا للإبداع الّذي يمارسه القارئ من خلال تفاعلهِ مع الأثر الفنّي والإمساك بدلالاته ومعانيه .

(1) المرجع السابق، ص07.

(2) ينظر: نصر الدّين بن غنيسة، في المثاقفة والنّسبية الثّقافية؛ قراءات سيميائية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ، الجزائر ،ط1، 2016،ص58.

(3)أمبرتو إيكو، الأثر المفتوح، ت عبد الرحمن بوعلي، ص08.

(4) المرجع نفسه، ص17.

فقضيّة الانفتاح"تقومُ بالأساس على قابلية التّأويل الّتي يكون عليها النّصّ أو انفتاحه على التّأويل"[1]، وذلك ما قصده إيكو عندما عرض مفهوم الانفتاح، وسيتجلّى تطورُّه مع المذهب الرُّومانسي وظهور المذهب الرّمزي، إذ يرُجع ذلك إلى ما قدّمه **مالارميه** عن مفهوم البياض واللّعب الطّباعي الخاصّ بالنّصّ الشّعريّ، ودعوتُه إلى تجنّب فرضِ التّأويل الوحيد على القارئ،كونه يتّسم بالغُموض وله إيحاءات متعدّدة تُثيره ليملأها، لذا يكون الأثر مفتوحا دون قصد على التّفاعل الحرّ للقارئ ويستدعي مُشاركته العاطفيَّة والتخيّليَّة ليصل إلى مقصديته.

فهو يشكّل بؤرة استفزاز له تجعله يعدّد قراءاته، فالأثر الفنّي المفتوح هو الأثر الّذي ينفتحُ على تأويلات بطرائقَ مختلفة، من دون أن تتأثَّر خصوصيتُه الّتي يمكن أن تُختزل، ويتطلّب إعادة التّفكير وأنْ يُعاش من جديد[2]. وقد مثّل أمبرتو إيكو لذلك بأمثلة كثيرة مثل الموسيقى، الرسم ، فن الباروك والهندسة المعمارية الّتي تنفتحُ على تأويلات لا نهائية، ولا تتوقّف على معنى واحد ممّا يجعلها متجدَّدة وقابلةً للقراءة.

وفي المقابل يدعو أمبرتو إيكو إلى ضرورة فهم ظاهرة الانفتاح النّصّي، فلا يجب أن يُفهَم فهما هُلاميّا يجعل التّأويل مفتوحا على مصراعيه لا تضبطه حدود ما[3]، وعليه حاول أمبرتو إيكو في نظريته أنْ يجعل للنصِّ مفتاحا ندركُ به مقاصده، وقد أقحم ذات القارئ لفكّ مغالقه ونسيجه انطلاقا من ثقافته وخلفياته الموسوعيّة.

ثالثا– القارئ :

أدرج أمبرتو إيكو في سيميائيته النّصيّة بعض الاستراتيجيّات الّتي تُتيح لنا تأويل النّصّ ومعرفة معانيه المختزنة ومن بينها ، مقولة القارئ الّتي تمّ إقصاؤها في المقاربات النّسقيّة ذات التّحليل المحايث

(1)أمبرتوإيكو، القارئ في الحكاية؛التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائية، ت انطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط1، 1996،ص09.

(2) ينظر: عزيز حسين علي الموسوي، النصّ المفتوح في النقد العربي، الدار المنهجية، عمان، الأردن، ط1 ، ص148.

(3) ينظر : وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل؛ قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النّقدي، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، ص129.

المقتصرة على قراءة النّظام اللّغوي الدّاخلي للنصّ لفهمه وتأويله، في حين يربط أمبرتو إيكو تأويل النّصّ بالقارئ الّذي يطرح جملة من التّخمينات للوُصول إلى دلالاته النّصيّة.

يبدو أنّ أمبرتو إيكو تنبّأ بدور القارئ في تأويل النُّصوص انطلاقا من مؤلفه الأثر المفتوح، ثمّ عرض نماذج فنيَّة مفتوحةً تحتاج إلى قارئ يجب أنْ يؤوّلها و يُعيد بنائها.

ويكشف أمبرتو إيكو عن فاعليَّة القارئ في تلقّي النّصّ الأدبيّ في مؤلفه "القارئ في الحكاية" ،فهو مُدرك بأنّه أهمل المرسَل إليه في عملية تأويل النّصّ، مُسايرا السِّيميائيّات البنويّة لألجيرداس غريماس الّتي عالجت النّصّ تحليلا موضُوعاتيا انطلاقا من بنيته السّطحية (الدّال) ، إضافة إلى خُطاطة التّواصل الّتي وضعها رومان جاكبسون المحدّدة لعناصر التّواصل (المرسِل ، المرسَل إليه، الرّسالة، السّياق)، مُبرزا دور القارئ، ولذا "فهو يُطالب النّاقد بدراسة كيفية قراءة النصّ، وكيف أنّ كلّ وصف لبنية ينبغي أنْ يكون وصف حركات القراءة الّتي تقتضيها، (...) لذا يتوجّب على سيميائية النّصّ أنْ تأخذها في الاعتبار"[1].

ينبغي أنْ يُسهم القارئ حسب أمبرتو إيكو في تحديد بُنى النّصوص مع تحديد استراتيجيات القراءة الّتي يتطلّبُها كلّ نصّ، وبالإمكان تفعيلُ مضمونه فلا يعدّ شبكة من العلاقات الدّاخليَّة الخاضعة لقوانين النّسق، وذلك بتعاضُد القارئ معه.

إنّ المؤَّلِف يُنتجُ نصّا وهو يدرك أنّه سيُقرأ ويؤوَّل من طرف القارئ الّذي يمتلك ترسانة لغويّة ونحويّة، تمكّنه من وُلوج عوالمه الدّلاليّة بكلِّ أشكاله ومُكوّناته ،فمن حقِّ القارئ اكتشاف مضامينه، فالغايةُ معرفةُ ما لا يقولُه النُّصّ[2] باعتباره فضاء مفتوحا ينفتِح على توقُّعات القارئ وعوالمه الممكنَة.

وقد أسهمت رؤية أمبرتو إيكو في ظُهور نظرية التلقّي في ألمانيا،كما أثّرت على التّيارات النّقدية المعاصرة الّتي بوأتْ القارئ مكانة هامة في فكّ شفرات النصّ الأدبيّ، وفي المقابل ينبغي على مؤلِّف النّصّ أنْ يتكهَّن فرضيات عن أهليّة قارئه لتلقّي ما يُبدعه وقد وصفها أمبرتو إيكو بالكِفايات

(1)أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت انطوان أبو زيد، ص10.

(2) ينظر: أمبرتو إيكو، آليات الكتابة السّردية، ت سعيد بنكراد، دار الحوار ،سوريا، ط1، 2009، ص10.

الّتي تُحدّد مقصديّة العبارات الّتي وظّفها المؤلف[1]، لذلك يستدعي قارئا نموذجيّا يمتلك الكفايات ذاتها لتفعيل نصّه،"ولأنّ النّصّ يحيا بقرائه لا بمخزونه الدّلالي، وعالمه أشملُ وأعمّ من قصد المؤلِّف"[2]، وإنْ كان يُودع نصّه قصديّة فلا يتوجَّب على القارئ أنْ يتبيّنها باعتبار النصّ خزّانا لسيرُورات دلاليّة لا مُتناهية، غير أنّ أمبرتو إيكو جعل للمؤلِّف إمكانيّة تحيين دلالة النّصّ، مُستحضرا قصديتَه إنْ كان على قيد الحياة، رغم تعدُّد تأويلات القرّاء لنصّه رغبة منه في إيجاد الاختلافات بين قصديته وقصدية النّص[3] الّتي يحدّدها القارئ مُسبقا.

ويعتبر أمبرتو إيكو أنّ مسألة المؤلِّف تجتلي وعيه ومدى إدراكه لتأويلات يفترضُها القارئ، والمؤلِّف لا يعدّ كاتبا لنصِّه فقط بل هو قارئٌ أيضا له.

ينبغي على المؤلِّف أثناء كتابته للنّصّ أنْ يتوقّع استراتيجيّة تتمثّل في احتمالات القارئ النّموذجيّ إذ يشبِّهه أمبرتو إيكو بالمحارب الّذي يتكهّن بالخُطط الحربيّة الّتي تُساور الخصم.

يسعى المؤلِّف باحثا عن قارئ نموذجيٍّ لنصّه، ولكّن لا يتأتّى الوُصول إلى بنائه إلاّ إذا توفّر على وسائط كفيلة بأنْ تحدّد معالمه من خلال تأثيره في النّصّ كاللُّغة والموسوعة والتُراث الأسلوبيّ والمعجميّ[4]، وعليه فالنّصّ يحيا بوجود القارئ النّموذجي الّذي يُسهم في تأويله وتوليد دلالاته، ممّا جعل أمبرتو إيكو يتحدّث عن كسل النّصّ وطلبه لتعاضد القارئ النّموذجيّ[5]، فهذا يعني أنّ النّصّ يتضمَّن فجوات وفراغات، فلا يُفصح المؤلِّف عن كلّ شيء وجعل أمبرتو إيكو لقارئه وظيفة تعاضدية[6] لأنه يحين معنى النص الأدبي بتوظيف خبراته الموسوعية .

ويعدّ النّصّ مفتوحا على قراءات ممكنة وغير ممكنَة، ولذلك يقولُ أمبرتو إيكو :"أليستْ هذه نُصوصا مفتوحة إزاءَ ألف قراءة مُمكنة، وقد توفَّرت كلُّها على مُتعة لا مُتناهية؟ وهل تتمنَّع؟ (...) من

(1) ينظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية ، ت انطوان أبو زيد ، ص68.

(2)سعيد بنكراد، بين اللّفظ والصورة، تعدّدية الحقائق وفرجة الممكن، المركز الثّقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب، ص23.

(3) ينظر: أمبرتو إيكو، التّأويل والتّأويل المفرط، ت ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2009، ص92-93.

(4) ينظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت أنطوان أبو زيد، ص68.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص69.

(6) وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي،ص 92.

المصادرة على قارئ نموذجيّ، أوْ أنّها تُصادر على وجود قارئ من طبيعة مُختلفة؟"[1]، وعليه فإنَّ فعل القراءة مفتوحٌ على توقُّعات القارئ النّموذجيّ الّذي أقرّه أمبرتوإيكو، إمّا أنْ يحقّق النّصّ مُتعَة حسب رولان بارث (متعة النّصّ) فهذا يُعدّ استعمالا لأنّه يُثير خيال القَارئ في حين نُلفي نصوصا تحتاج إلى قارئ نموذجيّ يؤَوّلها، ويحاولُ بناء قصديتِها وفق قواعد التّأويل.

وبالتّالي"التّأويل يشكِّل علاقةً جدليةً بين استراتيجيّة المؤلِّف واستجابة القارئ"[2] فلا يمكن التّغاضي عن محورية القارئ في عمليّة تأويل النّصّ عند أمبرتو إيكو فهو طاقة فعّالة تحرّكه، وتكشف عن المكوّنات الدّلاليّة في ثنايا بنياته الأساسيّة المكوِّنة له.

نجد أنّ مفهوم القارئ يتعدّدُ من نظرية لأخرى فقد أطلق عليه إيزر في نظريته جمالية التّلقّي القارئ الضّمني "الّذي استنتجه بعد صياغته لأشكال كثيرة من القُراء وصولا إلى قمة الهرم الّتي يُمثّلها، ويَقصِد به مُجسِّد الاستعدادات المسبقة الضّروريّة بالنسبة للعمل الأدبيّ لكي يُمارس تأثيره(...)، وهي استعدادات مُسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجيّ وتجريبيّ بل من طرف النّصّ ذاته، فالقارئ الضِّمني كمفهوم له جُذور متأصِّلة في بنية النّصّ" [3]،حيث أنّه موجود مُسبقا ضمن النّصّ، يفترضُه المؤلِّف إذْ يفهمُه ويُشيّد معناه، انطلاقا من أفكار مُسبقة وخبرة قرائيّة واستعدادات فكريّة، لذلك افترض إيزر وجود فراغات فيه يقوم بملئها، وهنا يكون التّغيير حيث تتعدَّد التّأويلات و يرى بأنّه لا وجود لقارئ حقيقي، ونجد أمبرتو إيكو يتّفق مع إيزر في الالتزام ببنية النّصّ وعدم الإخلال بها في انفتاح المتلقّي على الأثر[4] أو النّصّ الأدبيّ، ممّا جعل أمبرتو إيكو يُدرج ضمن حيثيات التّأويل الموسوعة الّتي يعود إليها القارئ للكشف عن معنى النّصّ المفتوح.

إنّ القارئ النّموذجيّ استراتيجيّة نصيّة بإمكانها الإحالة على مضمون النّصّ الكامن وهي من شُروط النّجاح لتأويله، فهو لا يتضمّن معنى ولا معان، ولا يشتمل على دلالة كليّة أو

(1) أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت أنطوان أبو زيد، ص70.

(2)أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت أنطوان أبو زيد، ص73.

(3) فولفغانغ إيزر، فعل القراءة؛ نظرية جمالية التّجاوب في الأدب، ت حميد لحمداني،منشورات مكتبة المناهل، ص30.

(4) ينظر: سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط1، 2015 ص140.

جُزئيّة، بل القارئُ وحده يمتلكُ القدرة على تحيين الدّلالة بفعل التّأويل أو باختيار السّياق المناسب[1]، لذا فالقراءات تتعدّد وتتوالد المعاني انطلاقا من العلاقة القائمة بين النّصّ والقارئ.

ويعتقدُ أمبرتو إيكو أنّ النّصّ الأدبيّ يُكتَب إلى قارئ نموذجيّ مُزدوج "باعتبار وجود قارئ نموذجيّ من مستوى أوّل، يبحثُ عن مضمون النَّصّ وأحداثِه وعن نهايته ولكّن هناك قارئٌ نموذجيٌّ من مستوى ثان أَطلق عليه القارئ السِّيميائي أو الجمالي"[2] الّذي يريد اكتشاف طبيعة بناء المؤلّف النّموذجيّ لنصّه وكيفية صياغته له،كما يقدّم قراءات متعدّدة ليصِل إلى قصديّة المؤلّف.

لقد عُنِي أمبرتو إيكو بالإبانَة عن دور القَارئ النّموذجيّ الّذي يستنطق النَّصّ ويفكُّ شفراته، وأكّد على تفاعُله مع المؤلِّف النَّموذجيِّ وهو يشكِّل استراتيجيّة نصيّة من خلال فعل التّلفُّظ، "آخذا أمبرتو إيكو دور القارئ الّذي يعثُر على نصٍّ في زجاجَة، وهذا ما يحدثُ للشّعر والرّواية والنّقد الخالِص، فالنَّصّ يُنتَج لمجموعة من القُراء وليس لقارئ بعينه، ويعْرف المؤلِّف أنّه لن يتمّ تأويل وتفسير النّصّ وفق رغباته، ولكّن حسب استراتيجية معقَّدة من التَّفاعُلات"[3]، إذْ ينطلق القَارئ من النّصّ مُعتمِدا على مرجعياتِه الفكريّة والمعرفيّة واللّغوية لولُوج بنيتِه اللّسانيّة والجماليّة المعقّدة، ويُشير أمبرتو إيكو إلى استعانة القَارئ النَّموذجيّ بالقُدرات اللّسانيّة بوصفِها مَورُوثا اجتماعيّا بالإضافة إلى الموسُوعة، وما تتضمّنُه من استعمالات درجَ عليها في مجتمعِه.

يدرك أمبرتو إيكو أنّ المؤلِّف يكتبُ وهو يفترض مُسْبقا وجود قارئ نموذجيّ، فقد أعاد الاعتبار للمؤلِّف الّذي أقصتهُ النّظرية البنوية بإعلان موته – رولان بارث – لكّن الاهتمام بالمؤلِّف ليس من مُنطلَق سيكولُوجيّ أو اجتماعيّ بل من منطلَق دلاليّ والمقاصد المتضمّنة في نصّه.

---

(1) ينظر : السّيميوزيس والقراءة والتّأويل، سعيد بنكراد ،مجلة علامات، ع10، 1998، ص11.

(2)أمبرتو إيكو، آليات الكتابة السّردية، ت سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2009 ص140.

(3) « (..)une interaction aussi complexe entre ma connaissance et la connaissance que j'attribue à l'auteur inconnu ne me conduit pas à spéculer sur les intentions de l'auteur,mais sur l'intentions de texte,ou sur l'intention de cet Auteur Modèle que je suis en mesure de reconnaître en termes de stratégie textuelle » Umberto Eco, Interprétation et surinterprétation , T. jean Fierté, France, 2ème , ed 2001, p63 .

ويقترح أمبرتو إيكو أنّه يمكن الاستفادة من المؤلِّف الّذي لا يزال على قيد الحياة لمعرفة قصديتِه من النّصّ، والتّفاوت بينَه وبين قصديّة القارئ، ولكّن يجب أنْ تنشأ علاقةٌ بين العوامل الثلاثة وهي المؤلِّف، النّصّ، القارئ، لأنّ هناك حوار ينشَأ بين المؤلِّف والقارئ النمّوذجيّ أساسُه "الكتابة الّتي تعني بناء قارئ نموذجيّ من خلال النّصّ"[1] ، أيْ يبني المؤلِّف النّموذجيّ في مخيلته وهو يصوغ نصّه صورة لقارئه النّموذجيّ قبل فعل القراءة، فيتخيّل عالما يجمعه به، ويبثّ نصّه مقاصد يسعى لإيصالها.

فيقول إيكو "نحن نفكّر في قارئ ما أثناء الكتابة، تماما كما هو حال الرّسام الّذي يفكِّر في المشاهد أثناءَ رسمه للوحة، فبعد لطخة من لطخات الفرشاة يتراجعُ إلى الخلف... ليدرس الوَقْع"[2] ، وهذا يُحيل على الفضاء الّذي يبنيه المؤلِّف وهو يفترِض أفق القَارئ متَلقي النّصّ أثناء كتابته.

ولكّن يجهلُ القارئ أحيانا مؤلِّف النّصّ وزمن تأليفِه – حسب أمبرتو إيكو – ممّا يجعله يقدّم فرضيات وتخمينات حول مقاصد النّصّ الّتي أضمرها المؤلِّف النَّموذجيّ، بل اقترح أحدُ تلامذة أمبرتو إيكو توسّط عُنصر ثالث بين المؤلِّف الفعليّ والمؤلِّف النّموذجيّ وأسماه المؤلِّف الاستهلالي (Liminal)، وهو الكاتب الموجود في العتبة الّتي تفصل بين قصديّة الكائن البشري والقصديّة اللّسانيّة المتضمّنة في الاستراتيجيّة النصّية[3]، إذْ يُبدع المؤلّف النّموذجيّ نصّا يستثير القارئ ليبحث في بنية النّصّ الخطيّة وعوالمه الدّلاليّة وما هو كائن وراءه، وذلك ينشّط مسار التّأويل عند القارئ رغم أنّه يرى هيمنة قصدية النصّ على قصدية المؤلّف"[4]، حيث لا يمكن تحديد قصديّة المؤلِّف النّموذجيّ بدّقة متناهية، فيما تتعدّد تأويلات القرّاء وتتبايَنُ مقاصد النّصّ.

ويقدّم أمبرتو إيكو نموذجا عن روايته (**اسم الوردة**) لما اختار العنوان بالصُّدفة، "وإثر تردّد بين خيارات عدّة لأنّ الوردة رمزيا مُثقلَة بالدّلالات(...) لقد تمّ تضليلُ القارئ لذلك لا يستطيع أنْ

(1) أمبرتو إيكو، آليات الكتابة السردية، ت سعيد بنكراد، ص51.

(2) المرجع نفسه، ص50.

(3) « L'un de mes étudiants ,Mauro Ferraresi ,a suggéré que entre l'auteur empirique et l'auteur modèle , il doit y avoir une troisième figure ,passablement fantomatique ,qu'il a baptisé l'auteur liminal ». Umberto Eco, Interprétation et surinterprétation , p63 :ينظر

(4)أمبرتو إيكو، آليات الكتابة السردية، ص152.

يختار تَأويلا(...) فلا شيء يُطمئِن الرّوائيّ أكثر من أنْ يكتشف القراءات الّتي لم يفكّر فيها(...)" [1]، فيتضِّح أنّ المؤلّف النّموذجيّ لا يُصرّح بقصديّة نصّه وهي غير ظاهرة في نسيجه، بينما القارئ النّموذجيّ يكشفُ ما هو مُضمر في ثنايَاه.

وعليه نستنتِجُ أنّ أمبرتو إيكو يُولي أهميّة عُظمى لاستراتيجيتين نصّيتين فاعلتين في الكّشف عن قصديّة النّصّ هما القارئ النّموذجيّ الّذي توقّعه المؤلِّف النّموذجيّ في نصِّه المفتوح، ولكّن لا يمكن اختزال مكانة القَارئ النّموذجيّ الّذي يمنح النّصّ مقاصدَ لانهائيّة.

المبحث الثّاني : مُصطلحات السّيميائيات النّصّية عند أمبرتو إيكو

صاغ أمبرتو إيكو بعض المحدّدات المركزيّة لسيميائيته النّصّية من أجل قراءة وتحليل النّصوص، والبحث عمّ تختزنُه من دلالات، إضافة إلى وُجود القارئ النّموذجيّ الّذي افترضه أمبرتو إيكو، وهو بحاجة إلى ما يؤهّله لممارسة فعل القِراءة وإدراك واقع النّصّ، ولن يتأتّى ذلك إلاّ بما يمتلكُ من خبرات ومعارف أسماها أمبرتو إيكو الموسوعة .

أولا– الموسوعة : "تعدُّ مسلّمة سيميائية أيْ؛ فرضيّة ابستمولوجيّة يجبُ أنْ تستثِير الاكتشافات والتّمثُلات الجزئيّة والمحليّة للكون الموسوعيّ"[2]، وبواسطتها يحاول القارئ التّأمل في مجموعة المعارف الثّقافيّة والمعاني المتراكمَة المشتركَة، والّتي تشكِّل ذاكرة المجتَمع لإيجاد معنى النّصّ ، فهي تضمُّ مخلّفات الثّقافة وتراكُماتها المنتميَة إلى الإرث المعرفيّ الجماعي، فلا فرق بين المعرفة اللّسانية ومعرفة العالم، بل الأمر"يتعلّق بمعرفة ثقافيّة يتمّ داخلَها شرحُ كلّ واقعة استنادا إلى الوقائع الموسوعيَّة"[3]، وهذا يجعل القارئ يستحضِر الرّصيد اللّغوي والثّقافيّ في سياق اجتماعيّ محدّد حتّى يواجه التّجلّي الخطّي للنّصّ ويُحيّن دلالاته ومقاصده.

ولكّن قد لا يلجأ القارئ إلى كفاياته الموسوعيّة في قراءة النّصّ لأنّ معانيه مُباشرة وتُفهَم من خلال قواعد اللّغة الّتي كُتب بها النّصّ، لذا يستعِين القَارئ بالقاموس الأساس"وهو معجم على هيئة

(1)أمبرتو إيكو، اعترافات روائي، ت سعيد بنكراد، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص62.

(2)أمبرتو إيكو، العلامة؛ تحليل المفهوم وتاريخه، ت سعيد بنكراد، ص164.

(3) المرجع نفسه، ص164.

قاموس يكشف عن هوّية دلالات الكلمات والعبارات المقصُودة"[1]، فالقاموسُ يضمّ بين ثناياه الدّلالات المعجميّة منعزلة عن السِّياقات الّتي ترِد فيها، وعليه يَفهم القارئ المعنى نظرا لإدراكه المعنى المعجميّ النّاتج عن إلمامِه ومعرفته باللّغة، إذْ يختارُ الدّلالة الّتي تناسب مقام النّصّ، لكّن قد يُوسَم بالقُصور لأنَّه يختصّ بألفاظ معجميّة محدّدة، دُون أنْ يتمثّل كلّ المعارف الخاصّة بالعالم الّتي قد توّفرها الموسوعة وغير المتوفِّرة في القاموس لمحدوديته، وتسجِّل جوليا كريستفا في هذا الطَّرح "أنّ المعنى هو واقعة تُبنى ضمن الثّقافة وليس رصيدا مُودعا في ذاكرات المعاجم" [2].

إنّ الموسوعة تُرشد القارئ إلى البحث في العادات والأعراف والسّيناريوهات المودعة فيها ليكشف عن المضمر والمبهَم في النّصّ، ويقصِد أمبرتو إيكو بالسّيناريوهات"ضُروبا من الحركات والسُلوكات محدَّدة بصفة مُسبقَة الّتي ألفناها في مواقف نحياها باستمرار بحكم العادة، تختزنها الذّاكرة وأضاف إليها السّيناريوهات التّناصيّة"[3]، وبإمكان الموسوعة أنْ توّفر للقارئ استعمالات استعاريّة أومجازيَّة وسيناريُوهات بلاغيَّة أسْلوبيّة خاضعة للمَقام، تَتَوارى في الذّاكرة الجَماعيّة، وهذا يعني أنّها تضمُّ تمثُّلاتنا الرّمزية للواقع، وليس بالإمكان تصنيف تأويلاتها اللاّمتناهية، وقد تتضمّن تأويلات متناقضة أيضا، تخوّل للقارئ إيجاد تأويل مُوافق للنّصّ الأدبيّ.

يُضيف أمبرتو إيكو أنّ النّشاط النّصيّ الّذي يقُوم به القارئُ "قد يقودُه إلى التّغيير في محتوى الموسوعَة إمّا بالتّصرف في متناقِضاتها أوْ إدخال ضُروب جديدة عليها"[4]، ممَّا يجعل الموسوعة أكثرَ اتّساعا تمنحُ القارئ اختيارات دلاليّة مختلفة،فهي حصيلة ثقافية تعبر عن النحن الجماعية[5] ويحتفظ بها القارئ ليستغلها ميستنتِجا أثناء قراءة النّصّ سياقا ممكِنا لتخميناته الّتي افترضها في بداية تأويله للنصّ

.

(1) أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت انطوان أبو زيد، ص97.

(2) السّيميائيات؛ النشأة والموضوع، سعيد بنكراد ، عالم الفكر ، ع 3 ،2007 ، ص35.

(3)أمبرتو إيكو، السّيميائية وفلسفة اللّغة، ت أحمد الصمعي ،لبنان، بيروت ،ط1، 2005.

(4) المرجع نفسه، ص189.

5( ) ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى؛دراسات في الأنساق الثقافية، الرباط،2015،ص73

لا يشترطُ أمبرتو إيكو في سيميائيته النّصّية أنْ يحوزَ القارئ على موسوعة ضخمة من المعارف والسّيناريوهات والاستعمالات الاستعاريّة والمجازيّة، بل يكتفي بالموارد الضّئيلَة الّتي يمتلكُها حتّى تكون مُنطلقا للفهم والقراءة، إذ يقولُ أمبرتو إيكو:"ليس القارئُ مضطّرا لمعرفة الموسوعَة في كلّيتِها بل يكفيه ذلك الجُزء من الموسوعَة الّذي يلزمهُ لفهم ذلك النّصّ"[1] ، ولكّن ما يهمّ أمبرتو إيكو ليس كميّة المعارف والمعلومَات الّتي تتوفّر عليها الموسُوعة بل السّياقات النّصّية الممكنَة، لأنّه لا يمكنُ عزل المدلول النّصّي عن سياقِه الّذي ورد فيه مقارنةً بالمدلُولات المعجميَّة، فإنّ التَّوالُد الدّلاليّ ليس عفويا، بل محكُوم بقواعد ومُضْمرات وأعراف واستعمالات مخصوصَة، هي العناصر التَّداوليّة الّتي تفصِل المبنيّ في النّصّ عن المعطى الدّلاليّ الخام[2].

لذا يستوجب على القارئ تجنيد هذه المعطيات الّتي تسخرّها الموسوعةُ في إطار ثقافيّ محدّد، إذْ "لا تصنّفُ المعرفة الموسوعيّة ضمن حدُودها كلّ المعارف الخاصّة بفرد مَعزول إنّها تشتَمل فقط على تلك الّتي تُدرجها الثّقافة ضمن الإرث المعرفيّ الجماعيّ"[3]، فارتباطُ معرفة الفرد المعزُول لا علاقة لها بما خلّفتْهُ الممارسَات الثّقافيّة لدى الجماعة يقول أمبرتو إيكو:"فارتباط القطار في ذهني بجدّتي، فهذا أمرٌ لا علاقة له بالمعارِف العامّة الّتي يتداولُها النّاسُ حول القطار، فللقطار ذاكرتُه الخاصَّة هي كلّ ما يمكنُ أنْ يحيلَ عليه السّفر والمسافرون، والشّباك والتّذكرَة والقاطرَة والمقصُورة والمراقبُ (...) أمّا إحالة القِطار على جدّتي فهذا أمرٌ لا يُشكّل سوى جزء منْ ذكرياتي أنا يوم ركبتُ القطار لأوّل مرّة"[4]، فهذا لا علاقة له بما أطلَق عليه أمبرتو إيكو السّيناريوهات الّتي تعوَّد عليها الإنسانُ، وإنّما هو من الذّكريات غير المتواتِرة.

(1)أمبرتو إيكو، السّيميائية وفلسفة اللّغة، ت أحمد الصمعي، ص190.

(2) ينظر: سعيد بنكراد، النصّ والعوالم الممكنة بين اللّفظ والصورة ،ص18.

(3)أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت انطوان أبو زيد، ص104.

(4) المرجع نفسه، ص120.

تشكّلُ الموسوعة نسقا ثقافيّا اجتماعيّا للقارئ النّموذجيّ وليست مجرد نسق لساني يستقِي منه لإيجاد قصديّة النّصّ، "فهي المخزونُ الضّمنيُّ الّذي يفترضُه النَّصّ قبليًّا، والّذي يُعصرِنُه القارئُ"[1]، فلا يكتفي النّصّ بمعرفة القارئ المختزنة في الذّاكرة الفرديّة، وإنّما يجدّد مضمون الموسوعة بالبحث عن معان ومواقف وقيّم سُلوكيّة جديدة يفرزها الواقع، وتتراكَم في الذّاكرة الجماعية للمُجتمع الواحد.

ثانيا– المدار :

تُتيح الموسوعة للقارئ النّموذجيّ ممكنات نصِّيّة لا مُتناهية لتأويل النّصّ الأدبيّ، لكّن يفترض النّصّ انتقاء إمكانيّة محدّدة، إذ يرى أمبرتو إيكو أنّه "يجب على عالِم العلامات الجادّ أنْ يستأصل التَّأويلات الفاسدة حتَّى يؤسِّس مبادئ التّأويلات الّتي تتَّبَع لإنتاجية العلامة النّاجحة"[2] الّتي تسمح لنا بالعثور على مقاصد النّصّ المفترضة، فقد اقترح أمبرتو إيكو لضبط هذه الدّلالات والمقاصِد المدَار أو الطُوبيك (Topique)، وتتجلّى وظيفته في الحدّ من تدفُّق التّأويلات، فهو ينظِّم السّيرورة السّميوزيسية،كما يُوظَّف لتوجيه مَسار التّفعيلات الّتي يقتَضيها النّصّ[3]، حيث يعمد القارئُ إلى موسوعته لتأويل النّصّ، فيلجَأ إلى المدار باعتباره يتوسّط النَّصّ والقارئ لتوجيه فعل القِراءة.

يحاول أمبرتو إيكو تحديد مفهوم المدار ،فيقول :"(...) والواقع أنّه ما كانت لتكون ثمَّة أيّة صعوبة في استخدام كلمتَيْ المدار والمدارة (Topique) والتِّيمة (Thème) لولا أنّ كلمة تيمة أوْ مَوضُوعة تُوشك أنْ تتّخذ معاني أخرى .." [4]، لكّن أمبرتو إيكو يفضِّلُ مصطلح المدار (Topique) باعتباره أداة تداوليّة، " أمّا التّيمةُ فهي تعبّر عن بنيّة دلاليّة وقد اتّخذت مفاهيم متعدّدة بينما يتجسّدُ المدار عند أمبرتو إيكو كأداةٍ ما وراء نصّيّة وترسيمة افتراضيَّة يقترحُها القارئ، فتكُون الحكاية جزءا من مضمون النّصِّ"[5]، فالقارئ يعتمد على

(1)فيرناند هالين، فرانك شوبر فيجن وآخرون، بحوث القراءة والتلقّي، ت محمد خير البقاعي، مركز الإنماء، حلب ،ط1، 1990،ص51.

(2)بول كويلي، ليتساجانز، علم العلامات، ت جمال حضري، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 168.

(3) ينظر : أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت انطوان أبو زيد، ص114.

(4) المرجع نفسه، ص113.

(5) أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت انطوان أبو زيد، ص113.

فرضيات تنتظِم وفقَها العناصرُ النّصّية لتشكيل الدّلالة وهو ما يعني أنّ النصّ احتمالٌ دلاليٌّ فقط [1]، وذلك لاتساع محمول الموسوعة الّتي تضُمُّ السّيناريوهات والمعارف الّتي تُوَظَّف لتأويل النَّصّ.

في حين وظَّف أمبرتو إيكو المدار ليحصِر به شساعة التّداخل الموسوعيّ [2]، وسيتِّم اختزال محتواها بتعيين المدار الّذي"يعني تقديم فرضيّة حول انتظَام مُعيَّن يعتري المسلك النَّصّي على أنّ هذا النّموذج من الانتظام هو ما يصنع حدودا لتماسُك نصٍّ وشرطا لقيامِه"[3]، فالمدار يحقِّق تماسك النَّصّ ويكشِفُ عن قصديتِه، فلا ينبغي أنْ يُحمِّل القارئ النّصّ ما لا يحتَمِل، بل ينتقِي إجابةً عن سؤال يصُوغه عن مضمونه.

وأحيانا يُدرك مدار النّصّ بصورة جاهزة من خلال العنَاوين والكلمات المفاتِيح، وتساعدُ هذه الآليّة في كلّ مستويات القراءة على الفَهم، وتشكّل آلية من آليات الاختزال[4]،والحدّ من إمكانيات المؤوَّلات عن طريق اختيار المدار، وأطلق على هذه الظّاهرة التّخدير[5].

يميّز أمبرتو إيكو آلية المدار (Topique) ومقولة التّشاكل أو النّظير (Isotopie) عند غريماس، فيقول: "هما تصوُّران يبدو أنّهما مترابطان من حيثُ اصطلاحُهما ترابطا صائبا، ويشير إلى وجود حالات يتبدّى فيها المدارُ والنّظير متطابقينِ، في حين يكون المدَار ظاهرةً تداوليّة، ويكون النّظير ظاهرةَ دلاليّة محضة"[6]، لأنّ المدار وليدُ القارئ من خلال السُّؤال الّذي يُطرح بهدف إيجاد المعنى المضمَر. أمّا التّشاكل (النّظير) هو ما يحقّق انسجام النّصّ دلاليّا وفق وحدة عضويّة، "وهو مجموعة السّيمات في جملة أو خطاب، والّذي يضمن تجانس أحدهما، فيتحدّد على أنّه خطَّة مشتركة يجعل تماسَك النَّصّ ممكنا لاستمراريَة بعض الخصائص الدُّنيا الّتي بإمكانها التَّجدُّد على طول سلسلة الجُملة

(1) ينظر: لحسن بوتكلاي، تدريس النصّ الأدبي من البنية إلى التّفاعل، أفريقيا الشّرق، المغرب، 2011، ص82.

(2) ينظر: عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النصّ الرّوائي؛نحو تصوّر سيميائي، الدار العربية للعلوم، المغرب، ط1 ، 2008، ص190-191.

(3) أمبرتوإيكو، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائية، ت انطوان أبوزيد، ص115- 116.

(4) ينظر: عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النصّ الرّوائي؛ نحو تصور سيميائي، ص134-135.

(5) ينظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائية، ت انطوان أبو زيد،ص 119-120 .

(6) المرجع نفسه، ص 120.

ممّا يؤدّي إلى إنتاج تشاكل"[1]، فنستنتجُ أنّ التّشاكل (التّناظر)*ذو طبيعة دلاليّة وأداة البحث عن المعنى من خلال سيمات(Sèmes) متكرّرة في النصّ.

أمّا المدار أو الطُوبيك هو أداة يطوّعها القارئ لفتح حوارٍ مع النّصِّ عن طريق الاقتراحات الّتي يقدِّمها لبناء معناه.

إنّ المدار آلية من آليات قراءة النّصّ الّتي تسمحُ للقارئ بطرح فرضيّة لمعرفة دلالة النَّصّ، وليتمّ تحيينُها، فهو مشروع تأويل نهائيّ ومحدود حيثُ ينطلق القارئ من فرضيات نابعة من خصائصَ نصّيَّة محدّدة تؤدِّي إلى توجيه الفهم قصد التّأويل،"ويعتقد غادامير أنّ الفهم الواعي والمنهجي لا يقتصرُ على وضع توقُّعات، بقدر ما يجعل من الافتراضَات المسبقَة سبيلا نحو ضبط الموضُوعات العلميّة"[2].

إذ يحاول القارئ أنْ يفعّل توقعُّاته الأوليّة وفق ما يقتضيه النَّصّ، وبما أنّ المدار ذو طبيعة تداوليّة فهو يندرجُ في باب الاستدلال أو ما يدعُوه شارل سندرس بورس "قياس احتمالي (Abduction)"[3]، وهو عبارة عن تخمين يضعه القارئ لتأويل معنى النّصّ، لذا تعيين المدار يعني التّقدّم بفرضيّة حول انتظار معيّن يعتري المسلك النّصي .

ويتّضح تأثّر أمبرتو إيكو بتوجُّه شارل سندرس بورس البراغماتيّ بتوظيفه آلية تصبُو إلى معرفة ما يؤُول إليه النَّصّ من خلال استنتاج فرضيّة تتناسب مع مسار التّأويل، لذا يُعَدُّ المدار أداة لتقلِيص كثافَة المعارف الّتي توفّرُها الموسوعةُ للقارئ فهو فرضية تُعِينُ القارئ للولوج إلى معنى النّصّ وحصره ضمن سلسلة المعارف الموسوعيّة .

ثالثا– العوالم المُمكنة :

إنّ قراءة النصّ الأدبيّ تتطلّب تعاضدا بين القارئ النّموذجيّ والنصّ نفسه، حيث يقدّم القارئ النّموذجيّ مجموعة من التوقّعات والفرضيات لتأويل النصّ انطلاقا من بنياته الخطابيّة، ولتيسير

---

(1) Group D’entervenes, Analyse Sémiotique Des Texte (Introduction – Théorie – Pratique) , France,1979, p123.

*التشاكل: وظف سعيد بنكراد مصطلح التناظر عند إيكو كترجمة ل (Isotopie) ،أمّا عند غريماس فتُرجم إلى التشاكل.

(2)سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، ص153.

(3)أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النُّصوص الحكائية، ت انطوان أبو زيد، ص115.

عملية القراءة استعار أمبرتو إيكو من منطق الجهات مفهوما اصطلح عليه العوالم الممكنة وعرّفه بقوله :"إنّ عالما مُمكنا هو بناءٌ ثقافيٌّ "[1]، وقبل أنْ يوضِّح الهدف من استعماله لهذا المفهوم، أشار إلى قابلية استعارته من ميدان منطق الجهات إلى ميدان السّيميائيات النّصيّة بإعطائه صبغة جديدة، لأنّه لم يأخذ المفهوم كما ورد في منطق الجهات حتّى تستفيد منه السّيميائية النصيّة.

وإنْ كان للمصطلح إيحاء مختلف لدى واضعيه، لأنّهم أرادوا بواسطته معالجة بعض المشاكل المتعلّقة بالقصديّة اِنطلاقا من منظورات ماصدقية ،لكّن أمبرتو إيكو أراد بهذا المفهوم أنْ يوظّفه القارئ لتمثيل النصّ بنويا عن طريق الإمكانات المتوقّعة والتّخمينات، وإنْ كانت العوالم الممكنة تهتمّ بالزّمر (Les ensembles) في منطق الجهات ولا تهتمّ بالأفراد[2] .

أمّا السّيميائيات النصيّة تعدّ العالم الممكن عالما مؤثّثا من أفراد وخصائص يتميّزون بها، وهنا يتجلّى الاختلاف المفهومي، ليكشف أمبرتو إيكو أنّ المناطقة في استعمالهم لهذا المفهوم هو بدوره مستعار من الأدب القائم على التّخييل [3].

إنّ أمبرتو إيكو حين استعار المصطلح أراد أن يُخرج مفهومه من المجال المنغلِق إلى عالم مُنفتح على أنساق متعدِّدة وهو السّيميائيات النّصيّة، ليحقّق العالم الممكن الّذي افترضه تقابلا بين العالم التّخييلي والعالم الواقعي أو الإحالي في النّصوص السّردية، ويُتيح للقارئ بناء أفق توقّعات يتصوّرها من خلال البنية السّردية للنصّ (عملية الاستباق)، مستغلّا طاقاته التّوقعيّة المضمرة كاشفا عنها.

وقد تحتمل إحدى هذه التّوقعات التّطابق مع ما يقتضيه النصّ أو عدم التّطابق ؛ أيْ أنْ يكون التوقّع محتملا ومُمكنا أو يتمّ دحضه، لأنّه لا يتناسب مع السّياق بالإضافة إلى جوهر النصّ"فهو لا يعبر عن الحقيقة وحدها، وإنّما يعبّر عن الاحتمال بل الممكن والمستحيل"[4]، ويدلّ ذلك على الارتباط بين العالم الممكن والعالم التّخييلي والعالم الواقعي، ويُلاحظ

(1) المرجع السابق، ص 170.

(2) وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل؛ قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النّقدي، ص215.

(3) المرجع نفسه، ص 164.

(2) محمد مفتاح، المفاهيم معالم؛ نحو تأويل واقعي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2010، ص32.

أمبرتوإيكو أنّ بناء التوقّعات ضروريّ في مسار قراءة النّص مهما كانت درجة التوقّع قويّة أو ضعيفة، وكلاهما يقتضيه النصّ .

وتعدّ التوقّعات لدى أمبرتو إيكو "مجموعة من القضايا، حيث تكون كلُّ قضية إمَّا (م) أو لا (م) ، ومنه فإنّ العالم يتكوّن من مجموع أفراد ذات خاصيّات، وبما أنّ بعض الخاصيّات أو المحمولات قد تكون أفعالا، فإنّ عالما مُمكنا قد يُرى بوصفه سياقا من الأحداث "[1].

يؤكِّد إيكو أنَّ العالم الممكن هو افتراض يقدِّمه القارئ وليس بالعالم الواقعي المحض ولا التّخييلي المطلق، وهو مؤثّث يتحرّك فيه الأفراد، بالإضافة إلى الخاصيّات الّتي تميِّزهم ، وقد تكون ثابتة أو متغيّرة حسب السّياقات الواردة فيها .

تؤدّي هذه العوالم الممكنة إلى نشوء حوار بين أفق القارئ النّموذجي وأفق النصّ وهي حصيلة لمعطيات نصيّة يصوغها وإمكانيات يتمتّع بها القارئ النّموذجي، وقد حدّد أمبرتوإيكو مرتكزات نظرية العوالم الممكنة المتمثِّلة في :

– "يتجسّد العالم الممكن السّردي بواسطة سلسلة من التّعبيرات اللّسانية يؤوِّلها القُراء كمرجع إلى حالة من الأشياء ممكنة ،بحيث إذا كان (أ) صحيحا أو واقعيا فإنّ لا (أ) يعدُّ إمّا وهما أو خطأ .

– تتكوّن حالة الأشياء من أفراد حاملين لخصائص معينة .

– تسير هذه الخصائص بواسطة قوانين محدّدة، فيُمكن لبعض الخصائص أن تتحدّد علاقاتها التّبادلية وفق صيغ التّناقض ،كما يمكن لخاصية مُعطاة س استلزام خاصية أخرى ص مثلا.

– يمكن أنْ يطرأ تغيير على الأفراد، مثل حصول أو تضييع لبعض الخصائص"[2]، وممّا يُلاحظ أنّ تلك المرتكزات خاضعة للتغيّر، باعتبار العالم الممكن مجرد توقّع يصوغه القارئ النّموذجيّ يُحتمل أنْ يتضاعف عدد الشخصيات وخصائصهم المميّزة لهم،كما قد يتناقص .

يتطلّب تشكيل العالم الممكن لدى أمبرتو إيكو وجود عالم مرجعي أو واقعي يكون بمثابة معيار للتحقّق من العالم الممكن السّردي، وقد اصطلح عليه بالبناء الثّقافي الّذي يشكّل انعكاسا للوقائع

(1). Umberto Eco, Les limites de l’interprétation ,p213- p214

(2)أمبرتوإيكو، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائية ، ت انطوان أبو زيد، ص 213.

والتّجارب الإنسانية (الأفراد، الخاصيات ،الأحداث)، هنا يتدخّل القارئ النّموذجي لبناء عالم ممكن انطلاقا ممّا يوفّره النصّ (شبكة العلاقات اللّسانية)، وحتّى يظهر كفاءته يستدعي المعارف الموسوعيّة المستمدّة من الواقع الثّقافي .

وسبق أن ألحّ عليها أمبرتو إيكو في عملية التّأويل، لهذا "يرى أنّ العالم الممكن يتراكب مع العالم الواقعي القائم في موسوعة القارئ "[1]، ومن هذا المنطلق يبدو أنّ العالم الممكن يستقي من العالم الواقعي أو المرجعي وليس انعكاسا له، فاللّغة تتّخذ من العالم الواقعي رافدا لها فتأخذ جزءا منه، ليُحيّن القارئ كفاءته الموسوعيّة كي يقترح توقّعاته الممكنة.

يتجلّى خلال بناء العالم الممكن تفاعلا بينه بوصفه بناءً ثقافيّا ، وبين الموسوعة بوصفها ذخيرة من المعارف والسّيناريوات والعادت الاجتماعيّة والثّقافية، فلا يتحدّد العالم الممكن في النصّ كبنية لسانيّة يقول أمبرتو إيكو:"لا يُمكن لأيّ عالم مُمكن لكونه بناءً ثقافيّا أنْ يُتعرَّف عليه في التّجليات الخطيّة البادية من النصّ، لأنّ النصّ الّذي يتطرّق لهذه الحالة الّتي تنتاب تحوّل الأحداث لا يعدّ سوى استراتيجية لسانية تروُم توليد تأويلات يقوم بها القارئ النّموذجي، تمثّل هذه التّأويلات عالما مُمكنا يرتسم في كنف التّفاعل التّعاضدي بين التّعاضد الحاصل بين النصّ والقارئ النّموذجيّ"[2] .

ويُحيل أمبرتو إيكو على أنّ القارئ يعمد إلى تنمية وتطوير الأحداث في النصّ السّردي وفق ما توفّره الموسوعة، وهي عبارة عن تأويلات يقدّمها القارئ تشكّل معالما للعالم الممكن المحتمل الّذي يوافق مسار النصّ السّردي، ويستطيع اللّجوء في خضمّ توقّعاته إلى سيناريوات أو تناصات لاتنتمي إلى النصّ يسمّيها أمبرتوإيكو"النّزهات الاستدلاليّة"[3] ، رغم أنّ النصّ أحيانا قد يحدُّ من توقّعات

(1) المرجع نفسه، ص 171.

(2) « Un monde possible ne peut être identifier à la manifestation linéaire du texte qui le décrit cet état ou cours d'évènements est une stratégie linguistique destinée à déclencher une interprétation de la part du lecture modèle.Cette interprétation représente le monde possible dessiné au cours de l'interaction coopérative entre le texte et le lecteur modèle .» Umberto Eco, Les limites de l'interprétation , p214 .

(3)، أمبرتوإيكو، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائية،ت أنطوان أبو زيد، ص153.

القارئ بالنّظر لطبيعة ذلك النصّ (المفتوح أو المغلق)، ويعكس ذلك تأثيرا على كثافة التّعاضد بين النصّ والقارئ الّذي يحاول محاكاة العالم الواقعي لبناء عالم ممكن مُفترَض يرتبط بسياق النصّ.

وضع أمبرتو إيكو تلك الآلية لتنشيط الممارسة القرائية والتأويليّة لدى القارئ النّموذجي، حتّى يستطيع عن طريقها ترهين النصّ وإخضاعه لتأويلات مفترضة يتفاعل فيها الواقع والعالم التّخييلي والعالم الثّقافي (الكفاءة الموسوعية)، فلا يهدف أمبرتو إيكو إلى تشويه النصّ أو الخروج عن عالمه الواقعي، بل يطمح إلى تحقيق الاقتصاد في تأويله مُقصيا التّأويل المضاعف[1].

إنّ توجيه مسار التّأويل يقوم على إنشاء علاقات بين عوالم مختلفة، لأنّه يتمّ استعارة الأفراد وخاصياتهم من عالم الكاتب أو عالم القارئ أو عالم شخصية من شخصيات النصّ المسرود أيْ؛ تكون علاقة بين عوالم ممكنة نصيّة وأخرى تأويلية [2].

تمكّن أمبرتوإيكو في سيميائيته النّصيّة تسخير آليات مُتباينة وتفعيلها إجرائيا، من بينها مفهوم العوالم الممكنة بعدما أعاد صياغته وتوجيهه في تحيين معاني النصّ، وأثبت أنّه فعّال في عملية التّلقي خاصة التّأويل المحدود والمختزل من خلال إشراك الكفاءة الموسوعيّة للقارئ النّموذجيّ.

المبحث الثالث: النَّصّ والتّأويل عند أمبرتوإيكو

عالج أمبرتو إيكو بدءا من كتابه الأثرُ المفتوح مفهوم التّأويل الّذي يتأتّى من انفتاح النّصوص، وسعى لتطوير هذا المفهوم المرتبط بفلسفة الهيرمينوطيقا الّتي "تُعنى بدراسة عمليات الفهم، وبخاصة فيما يتعلّق بتأويل النُّصوص"[3] ، إذْ ارتبطت بفهم النّصوص الدّينيَّة المقدّسة وتفسيرها ولم تقتصر عليها فقط، وإنّما اهتمت بالنّصوص بمختلف أنواعها ويبحث التّأويل في اللّغة لاستقصاء ما خَفِي منها، وقد يشوبُها النّقص أو تنزاحُ عن المألوف، لذلك يسعى التّأويل إلى تجليَة الكامن وراءها، ونُلفي

(1) ينظر: سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، ص 156.

(2) ينظر: وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل ؛قراءة في مشروع أمبرتوإيكو النّقدي، ص220.

(3)عادل مصطفى، فهم الفهم ؛مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التّأويل من أفلاطون إلى غادمير، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص12.

النّصَّ الّذي أنصفتهُ الهيرمينوطيقا هو النّصّ الموجّه إلى القارئ المتلّقي المستقبِل أو المرسَل إليه[1]، وتقوم على الفهم انطلاقا من ثلاثة عناصر أساسية في عملية الفهم والتّأويل؛ هي المؤلِّف، النصّ والقارئ.

يدلّ مفهوم الانفتاح الّذي أشار إليه أمبرتو إيكو على التّأويل، لأنّ "مفهوم الانفتاح له علاقة بالمؤوِّل الّذي يستهلك النّصّ"[2]، وقد ربط أمبرتو إيكو الانفتاح بالتّأويل انطلاقا من العمل الّذي سيقوم به القارئ من النّص الأدبيّ بوصفه مؤوِّلا يتذوّق ويتمتّع به إذا رجع إلى ثقافته ومعارفه ممّا يجعلُه يستحسن النَّصّ، ويَقرِن أمبرتو إيكو استحسان العمل الفنّي بالتّأويلات الّتي يمنحها القارئ له ويعيد إحياءَه، فتأويله يكون بالكشف عن دلالاته عندئذ يتمّ تلقّي النّصّ من جديد دُون التّأثير على بنيتِه وكيانه اللّسانيّ.

إنّ المفهوم الّذي جاء به أمبرتو إيكو (الأثر المفتوح) سيجرِّد الدّراسات النّقديَّة من المناهج الّتي أَلِفتها كالتّفسير الأحادي والضّيق، حيث تمكّن أمبرتو إيكو من استنطاق النّصوص ومختلف الأعمال الفنيّة ليفتَحها على التَّأويل، ليُصبح الانفتاح لبنةً أساسيَّة للخوض فيما هو كامن في النّصِّ، وبالتّالي هو مبدأ للإبداع.

ويرى أمبرتو إيكو أنّ دراسة الأثر المفتوح لا تُعنى بالبحث عن القيّم الجماليَّة بلْ بمعرفة المشرُوع الّذي يكتنِفُ عمليّة تمفصل المعنى عن طريق سيرورة التّأويل[3]، ومن خلال مؤلَّفه عمد أمبرتو إيكو إلى تأسيس نظرية في التَّأويل تبحثُ عن فهم النَّصّ والانتقال من معنى آخر، ولا يتوقَّف عند معنى واحد "ويدعو إلى تجنُّب فرْض التّأويل الوحيد على القارئ؛ لأنّ الفضاء الأبيض واللّعب الطّباعيّ والتّنظيم الخاص للنّصّ الشّعريّ كلُّها تشترك في خلق هالة من الغُموض حول الكلمة وفي ملئها بالايحاءات المختلفة"[4].

(1) ينظر: سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، ص104.

(2)أمبرتو إيكو، الأثر المفتوح، ت عبد الرحمن بوعلي ، ص08.

(3) ينظر : وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النّقدي، ص24.

(4)أمبرتو إيكو، الأثر المفتوح، ت عبد الرحمن بوعلي ، ص22.

إذْ نجد أنواعا من النّصوص – حسب إيكو – بحاجة إلى تأويلات وقراءات متعددّة تهدفُ إلى ملأ الفراعات أو إزاحة الإبهامِ نظرا لمِا تحويه الألفاظُ من معان موحيّة ليتجسّد تفاعُل القارئ في فكّ خبايا الأثر(العمل الأدبيّ).

شقّ أمبرتو إيكو طريقه لإيجاد كيفيّة يتمُّ بها فهم النُّصوص والبحث عن خصائص بنويّة تنظِّم العمليَّة التَّأويليَّة أو تقومُ بضبطها، ثمَّ عمَد إلى معالجة النَّشاط التّعاضُديّ الّذي يعمل على حثّ المرسَل إليه على أنْ يستمدَّ من النَّصّ ما لا يقولهُ، بلْ ما يُصادر عليه مُسبقا، وما يعِدُ به، ويتضمّنه أو يُضمرُه[1] فالمؤوِّل يبحث فيما وراء النّصّ من معان ومقاصدَ كامنة فيه، واعتمادا على السّياقات الثّقافيَّة المصاحبة لعملية القراءة باعتبارها ممارسة ديناميّة.

لقد اِنساق أمبرتو إيكو إلى الكشف عن نظرية التّأويل وحيويته انطلاقا من كتابه "القارئ في الحكاية" نتيجة سُوء فهم النّصوص، وهي عبارة عن شَفرات ورموز تحتاج إلى فهم وتفسير، وعُرف ببُعده التّداوليّ في معالجة النّصوص ،وعُني باستعمالات المجتمع لها،كما أنّه اهتمّ بظاهرة الحكائيّة في النّصوص السَّردية الّتي تتطلّبُ تدخّل قارئ نموذجيٍّ، يقول أمبرتو إيكو: "إنّ غاية هذا الكتاب أنْ تعالج ظاهرة الحكائيَّة المعبَّر عنها لفظيا باعتبارها موضِع تأويل من قِبل قارئ مُعاضد"[2]، فهو لا يهدف إلى تتبُّع الآثار والقيّم الجمالية المتوارية في النَّصّ بلْ يحاول تجاوُز النَّصّ إلى العُمق بحثا عن جمالية تأويلاته وكيفية تلقِّيه، وفهم سيرورتِه المعقّدَة.

يفترض النّصّ الأدبيّ التّأويل عن طريق المعطيات النّصيّة والقارئ النّموذجيّ،"فهو حاجة داخليّة منبعِثة من الوقائع ذاتِها، وكلّ مدلول يتمّ انتقاؤُه ليس سوى شحنة انفعاليّة يمكنُ استبدالها بشحنة أخرى ستأتي بها سيرورات تأويليّة أخرى"[3] لتُثير بنية النَّصّ، ومكوناته مجموعة من الإحالات الّتي توّلِّد دلالات غير مُتناهية.

(1) ينظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ت انطوان أبو زيد، ص07.

(2) المرجع نفسه، ص09.

(3) التّأويل بين الكشف والتعدّد ولا نهائية الدّلالات، سعيد بنكراد، مجلة علامات، ع25، ص14.

انشغل أمبرتو إيكو بتطوير نظريته في التّأويل خلال مساره النّقدي، وركّز على معطياته التّطبيقيّة، وبيَّن نمطَيْن للتّأويل ذاكرا مرجعياته الفلسفيّة والمعرفيّة.

1) التّأويل اللاّمُتناهي (المُضاعف) :

يؤوّل النصّ ضمن سيرورات دلاليّة ممكنة وضمن سياقات يحدّدها العالم الإنسانيّ فقد توصَّل أمبرتو إيكو إلى فساد التّأويل اللاّنهائي لأنّه أدّى إلى تدمير المبادئ الّتي قامت عليها العقلانية الغربيَّة المتمثّلة في مبدأ الهويّة، ومبدأ عدم التّناقض ومبدأ الثّالث المرفوع[1] فأغرق بعض المؤوّلين في تأويل النّصوص وأصبحت مفتوحة على دلالات وتأويلات عبثيّة ويعدّ هذا التّأويل في نظر أمبرتو إيكو "مُنحرفا"[2]، لأنّه ينأى عن استراتجيّة النّصّ ومقصديّته بل قد يدمّره.

وأرجع أمبرتو إيكو هذا النّموذج التّأويليّ إلى تيارين فكريْن هما الهُرمسيّة والغُنوصية ، "فالهُرمسيّة تقوم على فكرة السّر وتمجّدُه، فكلّ كلمة أو جملة ليست سوى سرّ يُحيل على سرّ آخر"[3]، وذلك يجعل التّأويل غير محدود ومنفتحا على عدد لامُتناه من الدّلالات، وبالتّالي يخرج عن قواعده، وكان هُرمس يرمز إلى التّعدّد، والتّأويل شكل من الأشكال الهُرمسية، فيقول أمبرتو إيكو :"إنّ عالم القرن الثّاني بمثابة مرتَع لجملة من الأجناس، واللّغات مُلتقى الشُّعوب والأفكار حيث تنسجم كلُّ الآلهة (...) ، وكان لها معنى عميق عند كلّ شعب، فلم يعُدْ هناك فرقٌ بين إزيس واستارتي". [4]

ويعود الانسجام بين الآلهة إلى تجاوُز المعنى الأُحادي السّائد في الفكر العقلي اللاّهوتي إلى اللاّنهائي، وتسعى الهُرمسية إلى البحث عن الحقيقة الغائبة مُتجاوزَة سطح النّصِّ، فإذا كانت اللّغة في الفكر الهُرمسيّ غامضَةً لكونها تتضمّن الرّموز والاستعارات والمجاز، فإنّها تجعلُ مَهمَّة البحث عن معنى نهائي غير مُتاحة ممّا يؤدّي إلى تعدُّد المعاني[5].

---

(1) ينظر : أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكية،ت سعيد بنكراد، ص29.

(2) وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل؛ قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النّقدي، ص199.

(3) أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ص26.

(4) المرجع نفسه، ص26-27، وينظر:.Umberto Eco, les limites de l’interprétation, P53

(5) ينظر: أمبرتوإيكو، التّأويل والتّأويل المفرط، ت ناصر الحلواني، ص41.

لقد خضع العالم الإغريقيُّ لسيطرة الأُوبيرُون أيْ؛ اللاّنهائي بينما تأسَّست الفلسفة الأفلاطُونيّة والأرسطيّة على الواحد أيْ المدلول الواحد، لأنّها كانت تهدفُ إلى توحيد الحقيقَة تمرُّدا على المرحلة اللاّهُوتيّة[1]، وعليه فأمبرتو إيكو لا يعدّ اللاّنهائيّ وليد العصر الحديث بلْ يعود بجُذوره في الفكر الإغريقيّ، ويُبيّن أمبرتو إيكو"مُعاناة الفلاسفة اليونانيين في بنائهم لصرامة وحقيقة يجتثونها من براثِن التّعدّد والانسلاخ، حيثُ انطلق الاستدلالُ السُوفسطائي من مقدّمات كاذبة ليصل إلى نتائجَ شكليّة تتناقض مع الواقع العام، تُخالف مبدأ عدم التّناقض الّذي لزمه المنطق الأرسطي وتتناقض مع تصوُّر أفلاطون في أنّ نظام المعرفة يتكوّن من المعقول الحقيقي الّذي يعبِّر عن الأصل المقابل للمحسُوس الزّائف"[2].

إنّ الهرمسيّة تُلغي وحدانية الحقيقة الّتي فرضها المنطقُ الأرسطيّ ، وجعلها مبدأً مُطلقا بل أصبحت زئبقيّة ليس بالإمكان العُثور عليها.

الغُنوصيّة :

الغُنوصيّة هي نموذجٌ فلسفيٌّ من التّفكير انحرف عن معيار العقلانيّة الإغريقيّة اللاّتينيّة ، وستكون ناقصة إذا لم تأخُذ بالحُسبان ظاهرة أخرى الّتي ستتشكّل بدورها في الفترة التّاريخيّة نفسها[3].

ويهدِف ذلك إلى"كشف باطنيّ يسمح بالوُلوج إلى معرفة الأشياء الرّبانيّة المحتجزة في عالم الأسرار، ويُمكن العثُور على الفكر الغُنوصي في الهُرمسيّة الهِلنيسيَّة وفي يهودية فيلون الإسكندري والقبلانيّة، وفي مسيحيّة القُرون الأولى واسماعيلي الإسلام، وقد ورد أنّ مذهب الغُنوصيين مذهب الاصطفائية أو الانتقائيّة"[4]، لذا فالبحث عن الحقيقة غير ممكن إذ"اختبر رجل القرن الثّاني الوعي

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص118.

(2) سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، ص166.

(3) Umberto Eco, Les Limites de l’interprétation , traduire Myriem Bouyaher, édition grasset et fasquelle , 1992, P58.

(4)سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، ص167-168.

العصبيّ لدوره في العالم اللاّمفهوم فوجد أنّ الحقيقة هي السرُّ، فلا يوجد شكٌّ في الرّموز والألغاز الّتي لا تقول الحقيقة المطلقة، بل تنقُل السرّ إلى مكان آخر"[1].

إنّ هذا النّموذج من التّفكير يجعل التّأويل صعبا لأنّ الحقيقة هي سرّ قد تكون موجودة ولكّنها ليست نهائيّة، وقد تكون منعدمة بوصفها سرّا وهذا يحيل على عالم يتنازعُه الخطأ، أو هو ثمرة الخطأ، ويُعبّر عن هذه الحالة النّفسيّة ثقافيّا "بالغُنوصيّة الّتي هي المعرفة الحقيقيّة للوُجود، ويدلّ على المعرفة الحدسية أيْ؛ أنّ هُناك هبة إلهيّة يحتمي بها كُلُّ شخصٍ"[2]، سعيا لمعرفة الحقيقة المفقُودة في هذا العالم أو هي المعرفةُ المباشرة الّتي يمنحُها الإلهُ للإنسان.

يجد الغُنوصي نفسه في العالم"بوصفه ضحيّة لجسده(...) أُلقي في هذا العالم الّذي يجب أنْ يكون حُرّا فيه، فوُجوده هو شرّ، وهذا معروف كثيرا، فهو يشعر بالحرمان ويَفهَم هذا الهذيان وله رغبةٌ في الانتقام"[3]، ويرى إيكو بأنّ الهُرمسيّة لوحدها ليست قادرة على التّفسير والفهم، وإنّما أصبحت فاعلة بفضل الغُنوصيّة الّتي دعمتها وقوَّتْ رؤيتَها.

قد اتّسمت الغُنوصيّة النّصيّة المعاصرة بتسامحها،"فبإمكان أيٍّ كان أنْ يكون كلّيا شَرط أنْ تكون لديه الرّغبة في أنْ يَحُلّ قصديّة القارئ محلّ قصديّة الكاتب الّتي تستعصي على الضّبط، لحظتها سيصلُ إلى الحقيقة"[4]، فلا يُشترط أنْ تبحث عن قصد المؤلِّف في نصّه بل يحتاج إلى قارئ يتقفّى دلالة النّصِّ، ويُخرجهُ من الدّلالة الأحاديّة إلى دلالاته المتناهيّة.

ولا يمكِنُ "أن تكون الغُنوصيّة كالمسيحيّة دينا للعبيد بل للأُمراء، فالغُنُوصيّ ليس مُرتاحا في العالم الّذي يشعر أنّه غريب فيه، فهو يتصوّر ازدراء الاستقراطي للجماهير الّذي يلومُه لعدم إدراكه

---

(1) Umberto Eco, Les Limites de l’interprétation, p58.

(2)أمبرتوإيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكية، ت سعيد بنكراد، ص38.

(3) «Le gnostique s’estime exilé dans le monde ,victime de son propre corps,véritable tombe et prison.il est jeté en ce monde dont il doit se libérer .Exister est un mal.Or ,c’est bien connu,plus on se sent frustré, plus on est saisi d’un délire de toute puissance et de désirs de revanche. », Umberto Eco, Les Limites de l’interprétation, P59 .

(4) أمبرتوإيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد، ص41.

سلبيّة العالم، وينتظر حدثا نهائيّا منْ شأنه إثارة الاضطرابات"[1]، ويعتقد أنّ الشرّ ليس خطأ من الإنسان ولكنّه نتيجة لمؤامرة إلهية[2]، فأصبح لهذا الفكر نظرة تشاؤميّة من العالم الّذي يسوده الانغلاق واللاّفهم.

ويُضيف أمبرتو إيكو قائلا : "لقد كانت الهُرمسيَّة مثلُها في ذلك مثل الغُنوصيّة تبحث عن حقيقة لا تعرف عنها أيَّ شيء، وكلُّ ما تملك للوصول إلى ذلك هو الكُتب، حتّى ولو تناقضَت هذه الكُتب فيما بينها، وهذا ممكنٌ لأنّ اللّغة لا تشتمِل إلاّ على المجازات فهي تُبدي عكس ما تُخفي، فبقدر ما تكُون غامضةً ومتعدّدَة، بقدر ما تكون غنيَّة بالرّمُوز والاستِعارَات"[3].

إنّ الهُرمسيّة والغُنوصيّة تشتركان في كونهما سرّيتين وتؤُولان إلى المتاهة والغُموض، لذلك فالفهم يحتاجُ دائما إلى تأويل ما تتضمّنه اللُّغة من إيحاءات ودَلالات، حتّى وإنْ كان المعنى الحقيقيّ مبثوثا في الكتب المتضاربة (المتناقضة)، وهذا يدلّ على نهائية التّأويل أو ما يُعرف بالمتاهة والانزلاقات الدّلاليّة اللانهائيّة، وقد يصعب الوُصول إلى مقصديّة النَّصّ أو مقصديّة المؤلِّف الّتي أقرَّها أمبرتو إيكو.

إنّ الغنوصيّ سعى إلى البحث في ماهية السِّرِّ وكلّما اعتقد أنّه وصل إلى الحقيقة وكشف السِّرّ ،فإنّه يتراءى له سرّ آخر، حيثُ يحرِّك السِّرّ التَّأويل الغُنوصيّ ويفعّله من جديد، والأمر كذلك بالنسبة للنّصّ الأدبيّ.

أصبحت السّيميائيات حسب أمبرتو إيكو بؤرة لتأويل النَّصّ، وتعدَّدت أنماطُه ، كالتَّأويل اللاَّنهائيّ الّذي جاء به جاك دريدا، أمّا التّأويل الثّاني والنّهائيّ يعود إلى أمبرتو إيكو فهو لم يحدّد قواعد وقوانين له في بداية تبنّيه لهذه الظَّاهرة، ونتيجة اللّغط الحاصل في النّظرية التّأويليّة حاول وَضْع حُدود وقوانين ومرجعيات تحكُمُه، ويتّبعُها القارئ للوصول إلى معنى النَّصّ ضمن تعدُّد الدّلالات.

---

(1) Emberto Eco, Les Limites de l’interprétation, P59.

(2) Idem,p55.

(3)أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد، ص14-15.

رفض أمبرتو إيكو التّأويل اللاّنهائيّ الّذي يجعلُ النّصّ منفتِحا على دلالات لانهائيّة ممّا قد يُفقِدُه جوهرهُ، ويعود ذلك إلى توظيف جاك دريدا للسِّميوزيس البُورسيّة الّتي فهِمها بشكل مُنفتح.إنَّ التّأويل اللاّنهائي أو المضاعف مُرتبط بالهرْمسيّة والغُنوصيّة الّتي ترجع إلى المرحلة الإغريقيّة، لكّن ما بعد هذه المرحلة عمد أمبرتوإيكو إلى ممارسة التّشكيك، لأنَّ النّصّ أصبح مَرتعا لسلسلة من القراءات المتشكِّكة الّتي تؤدّي إلى تعدُّد الدّلالات، وبالتّالي يدخل التّأويل متاهات بإمكانها أنْ تُدرجَه ضِمن كلّ السّيرورات الدّلالية الممكنة، وضِمنَ كلّ السّياقات الّتي يُتيحها الكونُ الإنسانيُّ باعتباره يشكّلٌ كلاًّ مُتَّصلا لا تحتويه الفواصل والحُدود[1]، ولكّن هذا التّأويل لا يحدّد قصدية النّصّ بقدر ما يولِّد إحالات لا مُتناهية لا تقف عند النّصّ ونسيجِه، وهو عبارة عن نسيج مُعقَّد.

فهؤلاء يجدُون لذَّة في تراكم دلالات النّصِّ، ويعتقد أمبرتو إيكو"أنّ التَّأويل اللاَّنهائيّ يقضي على المبادئ الّتي قامت علها العقلانيّة الغربيّة، رغم أنّ الإحالات الممكنة تؤدّي إلى إنتاج مدلُولات عبثيّة"[2]، ونُلفي أنّ متاهة التّأويل المضاعف تعُود إلى التّاريخ الفلسَفيّ والهيرمينوطيقا الّتي تُعدّ من المرجعيات الأساسيّة عند أمبرتو إيكو في صياغة تصوُّره للتّأويل، وقد وجد جاك دريدا ضالته في تأسيسه لنظريتة التّفكيكيّة.

إنّ مفهوم اللاَّمتُناهي "يفصل الشّيء عن أصله ويفصل النصّ عن لغته ويفصِل الذّات عن موضوعها"[3] ،حيثُ يجعل القارئَ تائها ضمن سيرورات دلاليّة لامُتناهيّة الّتي بإمكانه تجنّبها، وبعيدا عن المقصود في النّصّ فقد يكسر خطابيتَه وشكلهُ اللّغويّ، ممّا يجعل الذّات لا ترى إلاّ ما توّد رؤيته فيه، لذا يقول أمبرتوإيكو "إنّ القول بأنّ التّأويل هو نتاجُ سلسلة من الأسنُن المتنوِّعة والمستقلّة لا يُعطي الذَّات المتلقيّة الحقّ في استعمال النّصوص في جميع الاتّجاهات تحقيقا لأغراض تخرج عن طبيعَة التّأويل ذاته وقواعده"[4]، فالقارئ عليه أنْ يؤوِّل النّصّ وفق المعطيات النّصّية الّتي تُتاح له وهذا لا يَعني التّلاعُب بدلالاته وعدم التّقيُّد بقواعده وحدوده.

(1) ينظر : المرجع السّابق، ص11-12.

(2) ينظر: أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد ، ص14.

(3)أمبرتوإيكو، الأثر المفتوح، ت عبد الرحمن بوعلي، ص16.

(4) المرجع نفسه، ص16.

2) التّأويل المتناهي عند أمبرتو إيكو :

تابع أمبرتو إيكو عمله لتطوير نظرية التّأويل وأحدث نقلة نوعية في ماهية التّأويل اللّامتناهي أو المضاعف الّذي اعتمدَه جاك دريدا لتتبُّع معاني النّصّ، وقد ساعد ذلك أمبرتو إيكو على إعادة النّظر في هذا المشروع مُنتقِدا جاك دريدا الّذي أساء فهم السّيميوزيس البُورسيّة اللاّمتناهية، باعتبار أنّ شارل سندرس بورس أسّس سيميائيته على مبدأ يتمثّلُ في كون العلامة شيئا يُحيل على شيء آخر .

إنّ العلامة تتحدّد من الأمثُول الّذي يرتبط بموضوع، وهو يُحيل على مؤوَّل يصبحُ بدوره علامة تُحيل على مؤوَّل (وبذلك تتّسع إحالات العلامة)آخر، ولعلّ ما تُثيره هذه المؤوّلات هو قدرة الأمثول على التّمثُّل والتّأويل، والخاصيّة الرئيسة للأُمثُول هي أنْ يكون ذاته وشيئا آخر في ذات الوقت[1].

وبذلك تتّسع إحالات العلامة ولكّن إذا كان التّأويل قائما على السّيميوزيس اللاّمتناهية سيجعلها قريبة من المؤوّل النّهائيّ المنطقيّ[2] الّذي وضعه شارل سندرس بورس، ممّا يجعلُ رؤية جاك دريدا ناقصة، لأنّ شارل سندرس بورس لما أدرج المؤوَّل النّهائيّ الّذي يُنتَقى من مؤوَّلات متعدِّدة فقد جعل التّأويل محدُودا .

ممّا يُؤاخذ عليه جاك دريدا أنّه "أقام نظريته على مبدأ الشَّكِّ في كلِّ شيء خاصة القراءة الموثُوقة للنّصِّ"[3]، إضافة إلى التّشكيك في كلّ ما يخصّ العلامة والنّص والمؤلِّف والقارئ والتّفسير كُلّها عوامل تشكّل عمليّة تلقّي النّص، لذلك سعتْ لإيجاد بديلٍ لفهم النّصوص وفق مبدأ السّيميُوزيس الّذي يتجلّى في تصوّره لمفهوم النّص"باعتباره آلة تُنتج سلسلة من الإحالات اللاّمتناهيّة.فتأويل النّصّ مرتبط بسيرورة دلاليّة هي أصلُ السّيميوزيس الّذي يُدرَج ضمْن

(1)أمبرتوإيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد ، ص 127.

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 120.

(3) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدّبة من البنويّة إلى التّفكيك، ،عالم المعرفة ، 1978، ص260.

اللاّمتناهي"[1] أيْ؛ ضمن عملية تأويليّة كما يفترض بورس وهي ليست محدّدة بنهاية ولعلّ ما ذكره شارل سندرس بُورس دَفَعَ الكثير من النّقاد والمؤوّلين إلى الاعتقاد بانعدام حدود للتّأويل .

إنّ السّيميوزيس في جوهرها "سيرورةٌ لامتناهيّة ومع ذلك فإنّها تُعدّ في الممارسة سيرورة محدودَة ونهائيّة"[2]، إلاّ أنّ جاك دريدا حاول أنْ يُؤسِّس لإجراء يُلغي المدلول النّهائي للنّصّ بل أراد الوُصول للمدلولات الكامنة في النّصّ، إذْ تُعطى له الحريّة لإجلائها،"والنّصُّ – حسب جاك دريدا – يُعاني غياب ذات الكتابة ومنْ الشّيء المحال عليه أو من المرجِع"[3] ، ويعتقد أنّ الكتابة أسبقُ من اللّفظ وإنّما تقومُ بتمثيله، ولا يَقصد بالغياب النّفي المطلق بل يقصِد الأحاديّة لأنّ اللّغة لها إمكانيّة الإحالة والتّدليل، ولا تكتفي بالمعنى الأوليّ المتفرّد، كما يرى جاك دريدا أنّ الكتابة لا تقولُ الحقيقة المطلقة، لذا فهي تتملّص من المعنى الوحيد وتُؤوَّل وفق سياقات متعدّدة .

فإذا كانت العلامة "هي كلّ ما يحدّد شيئا آخر وهو مؤوّلها ليُحيل على شيء هو بذاته يُحيل على موضوعه، ليصبح المؤوَّل بدوره علامة وهكذا في تتابُع لا نهائيّ"[4]، وانطلاقا من تحديد مفهوم العلامة الّذي يتأسّس على اللاّنهائي فقد أدرك جاك دريدا أنّ النّصّ محكوم بمبدأ اللاّمُتناهي، وتشكّل السّيميوزيس موضوعا حيّا للسّيميائيات وتُسهم في تجدّد التّأويل وتنامي حركيتِه عبر تفاعل القارئ مع النّصّ، وإنْ كان أمبرتو إيكو في دراسته للآثار المفتوحة يهدِف إلى إبراز الأبعاد الجمالية لها مُبيّنا أهميّة السّيميوزيس البورسية اللاّمتناهية، فإنّه أدرك بعدها خطورة ذلك نظرا للانفلات التّأويليّ ومتاهته.

فالدّلالة "تنبعثُ من فعل العلامة كَسيرُورة بلا رادع ولا ضفاف ولا حُدود"[5]، فالقارئ لا يلتزم بقصديّة المؤلِّف المتضمَّنة في النّصّ وإنّما يُخضِع لغة النّصّ إلى لُعبة لامتناهية من الدّوال باعتباره

(1)أمبرتوإيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد ، ص 124.

(2)سعيد بنكراد، السّيميائيات والتّأويل؛ مدخل لسيميائيات شارل سندرس بورس، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2005،ص 150.

(3) Umberto eco, Les limites de l'interprétation ,p373.

(4) « Un signe est tout ce qui détermine quelque chose d'autre (son interprétant) à renvoyer à un objet auquel lui –même renvoie (son objet) de la même manière ,l'interprétant devenant à son tour un signe et ainsi de suite ad infnitum. », Charle .S.peirce , Ecrit sur le signe ,p126 .

(5)أمبرتوإيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد، ص 125.

مجموعة من العلامات،"فهو لا يرتبط بمدلول متفرّد أو مُتعال، ولا يرتبط الدّال بشكل مبُاشر بمدلول يعمل النّصّ على تأجليه (...)فكلّ دالّ يرتبط بدالّ آخر بحيث أنَّ لاشيء هناك سوى السّلسلة الدّالة المحكومةُ بمبدأ اللّامتناهي"[1] .

وقد عمل جاك دريدا على تفكيك النّصّ وتأويلهِ والبحث عن سلسلة الدّلالات المختزنة في عمقه لإعادة بنائه، وإنْ كان التّأويل مُصاحبا للإنسان منذ وجوده لفهم هذا العالم، بلْ يساعد النّشاطُ التّأويليُّ على بعث حياة النّصّ الّتي يتمّ تثبيتُها في نواة دلاليّة خفيّة لا يمكن إدراكُ سرّها إلّا من خلال التّأويل، ليتسلّل المؤوِّل إلى النّصِّ للإمساك بما يُسمِّيه شلايرماخر الشّكل الدّاخليّ الّذي ينطلق منه للإبداع .

لقد حاد جاك دريدا عن المألوف باتّخاذه للسّيميوزيس البورسية مُنطلقا للتّأويل، ومارس عليه ضغوطا لا حدود لها، في حين وضحّ شارل سندرس بورس أنّ سيرورة السّيميوزيس تنتهي بوجود مؤوَّل منطقيّ نهائيّ رغم ضخامة المؤوِّلات[2]، وقد أغرق جاك دريدا بتأويلاتِه النّصيّة (الإفراط في التّأويل حسب إيكو) " ممّا يُؤدّي إلى تدمير قراءته حتّى وإنْ كان الواقع كيانا متُّصلا وغارقا في اللّاتحديد، ولهذا يمثّل مبدأ الامتداد ما يسمِّيه شارل سندرس بورس بالهشاشة ذات البُعد الموضوعي"[3]؛ لأنّ النّص منفتحٌ على سيرورة السّيميوزيس وكلّ مدلول يُحيل على مدلول آخر، ويشكِّلُ مبدأ الهَشاشة بؤرة لتعدُّد التّأويل .

ومن جهة أخرى انتقد ريتشارد رورتي التّفكيكيّة إلى جانب أمبرتوإيكو، إذْ عاب رُورتي على أحد التّفكيكيين وهو "بول ديمان " رفْضَه التّخليّ عن فكرة أنّ البنيات متضمَّنة في النّصِّ، وتفرضُ نفسها على القارئ ليحدِّد ما هو كائن في النّصّ، إضافة إلى ادعائه وجود بنيات نصيّة تمكِّن المرء من اكتشاف كيفيّة عمل النّصوص[4].

(1) ينظر: سعيد بنكراد، استراتيجيات التّأويل، ص12.

(2) ينظر : أمبرتوإيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ت سعيد بنكراد ،ص 271.

(3)أمبرتوإيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ت سعيد بنكراد ، ص 130.

(4) التّأويل والتّأويل المفرط، أمبرتو إيكو،ت ناصر الحلواني، ص 150.

ويتساءل رورتي عن إمكانيّة تأويل النّصّ وفق رغبات القارئ الّذي يكشِف عن معاني مخبوءة فيه، أمّا جوناثان كللر فقد دافع عن التّأويل المضاعف، وإنْ كان عمليّة عقلية مُلازمة للإنسان في وجوده، ويُبيّن أنّ التّأويلات المفرِطة أو المضاعفِة لها تأثيرٌ أكبر من التّأويلات المعتدلة لفاعليّتها في كشف الرّوابط أو التّضمينات الّتي لم تُلاحظْ وهو متأكّد في قرارة نفسه أنّ أمبرتو إيكو مُقتنع بالتّأويل المفرط، ولولا تأثُّره به ما أبدع تلك السِّمات والهواجس التّأويليّة الّتي أضفت الحيويّة على رواياته [1].

وقد بيّن إيكو الفرق بين التّأويل المفرط والتّأويل المقنَّن من خلال نماذج قدّمها مثل كتابات " روستيّ عن دانتي " الّتي تندرِج ضمن التّأويل المسرف أو المفرط، وما أسماه أمبرتو إيكو تأويلا مُفرطا إنّما هو ممارسة الاستفهام عن طريق طَرح أسئلة حول النّصِّ، ونجد " واين بوت " في كتاب (الفهم النّقدي) بدلا من التّأويل والتّأويل المفرط يُقابل بين الفهم وإفراط الفَهم، فيمثّل للفهم بالتّأويل عند إيكو الّذي يستدعي القارئ النّموذجيّ، وإنْ كان يقصِد بالفهم اِكتشاف إجابات للأسئلة الّتي يطرحها النّصّ ويلِّح عليها، أمّا إفراط الفهم فيتألّف من أسئلة مُتتالية لا يطرحها النّصّ على القارئ النّموذجي، ويفترض جوناثان كللر تسمية بديلة لممارسة الإفراط في التأويل[2] المتمثلّة في الإفراط في الفهم لما لهذه التّسمية من دور وأهمية[3] .

يحتلّ التّأويل المفرط مركزا هاما عند جوناثان كللر لاستخراج دلالات النّص، وإنْ كان التّأويل في العُموم ليس عمليّة عشوائية، وإنّما يتضمّن سلسلة معقدّة من الإجراءات الّتي حددّها أمبرتو إيكو شرط أنْ لا تتعدّد التّأويلات إلى درجة الإفراط، بل دعا إلى التّأويل المعتدل الّذي يحتكم إلى حدود وقوانين تنظِّمه، ولكّن جوناثان كللر يؤيّد التّأويل المضاعف ويدافع عنه بحجّة أنّ النّصَّ متسِّع ليجُول فيه القارئ مُحيّنا دلالاته ، ويعتبر أمبرتو إيكو قد ضل نتيجة اهتمامه بالحدود أو التُخوم الّتي يتَّبعها القارئ في عملية التّأويل.

(1) ينظر : المرجع السابق، ص139.

(2) القارئ في النصّ؛ مقالات في الجمهور والتأويل، سوزان روبين، انجي كروسجان، ت حسن ناظم، علي حاكم صالح ، ص83.

(3) ينظر : المرجع نفسه، 140- 145.

وعليه فإنّ المعنى عند التّفكيكيّة يحدّدهُ السّياق رغم أنّهُ متعدّد الإمكانات ممّا ينجمُ عنه تعدّد في المعاني أو التّأويلات[1]، وهذا يحول دُون وضع حُلول له كما يعتقد أمبرتو إيكو، ممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ أمبرتو إيكو حاول تَقنين عمليّة التّأويل من خلال تأطير هذه العمليّة بمعطيات النّصّ .

أولا–قواعد التّأويل المحدود:

إنّ قراءة النصّ الأدبيّ منفتحة على معان متعدِّدة قاد أمبرتو إيكو إلى اختزال مفهوم التَّأويل الّذي تحوَّل في المسارات السّيميائية والتَّفكيكيَّة إلى تأويل لا مُتناه يفقد فيه النّصُّ قيمته، لذا أخضع أمبرتو إيكو التَّأويل لتعدُّديّة محدودة ترجِع إلى مجموعة من القواعد "يُسمّيها معايير الاقتصاد (Critères d'économie)"[2]تتمثّل في الاقتصاد التّشاكلي، مقصدية النصّ، مقصديّة الكاتب وتأويلاته،"إذ يؤوّل المؤوِّل النصّ بطرق مختلفة، لكّن بإخضاعه لقواعده المحدّدة وليس إلى اللانهائية"[3]، ومن هنا يؤكّد أمبرتو إيكو على ضرورة تقنين التّأويل وجعله مختزلا عن طريق الحدود المنصُوص عليها .

الاقتصاد التّشاكلي :

إنّ التّشاكل مفهوم يندرج في إطار السّيميائية السّردية بل هو آلية اعتمدها ألجيرداس جوليان غريماس كمفهوم إجرائي في دلالته البنيوية، إذ تشكل البنية العميقة للنصّ مسارا لبروز تشاكلات دلالية وأخرى سيميائيّة، فالتّشاكل "هو مجموعة متكرّرة من المقولات الدّلاليّة (كلاسيمية) تجعل قراءة موّحدة للحكاية ممكنة، مثلما تنتج عن قراءات جزئية للملفوظات وعن حلّ ملابساتها موجّهة بالبحث عن قراءة واحدة "[4]، ويُسهم هذا التّكرار في تحديد معنى النصّ المطابق له، لذلك اقترح أمبرتو إيكو أنْ يتأسّس التّأويل على مبدأ الاقتصاد في التّشاكلات المنتَجة من القارئ والمتطابقة مع

(1) ينظر : أمبرتو إيكو، التّأويل والتّأويل المفرط، ت ناصر الحلواني، ص 150-151.

2(Umberto Eco, Les limites de L'interprétation, p123)

3(Ibidem.)

4(« Par isotopie nous entendons un ensemble redondant de catégories sémantiques qui rend possible la lecture uniforme du récit ,telle qu'elle résulte des lectures partielles des énoncés et de la résolution de leurs ambiguïtés qui est guidée par la recherche de la lecture unique. » ,A. J. Greimas, Du sens ;essais sémiotiques , P188.)

نسق النصّ، وليُثبت نجاعة هذا المبدأ أو القانون استعان بقراءة هارتمان الّذي قام بتحليل أبيات من شعر وردزورث (WORDSWORTH) حيث لم يستدع تشاكلات لا نهائية قد تؤدّي إلى انحراف مسار التّأويل، وألفى أنّ القارئ الحساس يعثر عليها لكونها متضمّنة في النصّ فيعمد إلى إثارتها .

واستنتج هارتمان سلسلة من الحوافز المأتميّة المقدمة من خلال البنية السّطحية لشعر وردزورث ، فإنّ التّشاكلات الّتي حدّدها تنتمي إلى حقل دلاليّ واحد وتتناسب مع معالم النَّصّ [1].

يهدف إيكو إلى إثارة تشاكلات مقتصَدة دون الإخلال بالجانب الدلاليّ للنصّ ، ويوضّح أنّ تعدُّد اللّيكسيمات يُثير تشاكلات دلاليّة مختلفة، لكّن يفترض أمبرتو إيكو وجود دليل تخمينيّ يقتصِد التّشاكلات الدّلاليَّة الّتي تحيل إليها اللّيكسيمات ويسمّيه "الرِّهان التَّأويليُّ ، ويجب أنْ يكون احتماليا فهو رِهان على الأحمر أو الأسود"[2] ، ويشترط عدم المغالاة في توليد التّشاكلات الدّلالية، والأمر ينطبق كذلك على الاستعارة حتّى تُقرأ قراءة اقتصاديّة، وينبغي توفّر سمات دلاليّة مشتركة بين المستعار والمستعارِ لهُ حتّى يتحقَّق التّوافق[3].

إنّ دعوة أمبرتو إيكو بوجود تطابق بين المستعَار والمستعار لهُ كي لا يجعل النّصّ مُنفتحا دون رسم حدود له، ومنْ أجل تأطير الممارسة التّأويليّة فقد قرنَها بحدُود المدينة حيث "لا يُقام لها مَقام إذا ما حَظيتْ بحدود تحدُّها، وهذا ما يجعل من حضورها حضورا ذا قيمة، فالزّمن يحتكم إلى حدود مثلما يرى أمبرتو إيكو فما حدث مرّة لا يمكن محوُه إطلاقا"[4].

اِتّخذ أمبرتو إيكو من القراءة الاقتصادية للتّشاكلات قاعدة لضبط عملية التَّأويل، فلا يُغالي القارئ في توليدها ليَخرج عن النَّصّ وما يُحيل إليه، لذلك ينتقِد أمبرتوإيكو القارئ المثاليّ لجويس، لأنّه يُنتج قراءات لا نهائيّة دون أنْ يحدّد القراءة الممكنة للنّصِ، وهذا القارئ مُصاب بحالة من الأرق المثاليّ يسعى إلى تفكيك النَّصّ باستمرار[5] .

---

(1) Umberto Eco, Les limites de L'interprétation, p127 , p 128 .

(2) Ibidem.

(3) Ibidem.

(4) Umberto Eco, L' interprétation et surinterprétatoin, p26 .

(5) Idem, p129, p130.

إنّ التَّأويل المتناهي لدى أمبرتو إيكو يتحدّد بالقراءة الاقتصاديّة للتّشاكلات الدّلاليّة الّتي تجعل القراءة ممكنة، وعدم إقحام القارئ المثاليّ أو التَّفكيكيّ كي لا يكون النَّصّ عُرضة لتأويلات لا نهائيّة .

مقصديّة النصّ :

إنّ إبداع نصّ أدبيٍّ بوصفه نسقا لسانيّا ينتجُه الكاتب يحمل في طياته مقاصدَه، لكّن أمبرتو إيكو جعل مقصديّة النصّ آلية للتّأويل النّهائيّ وحدّا من حُدوده، لتتحيَّن مقصدية النّصّ بتدخّل القارئ النّموذجي الّذي افترضه أمبرتو إيكو، لأنّ قراءته تقتضِي تسخير كفاءة القارئ المتمثِّلة في المعارف اللُّغويّة والثَّقافيّة.

يحاول القارئ تفعيلها لمواجهة التّجليّ الخطّي اللّساني للنّصّ،"ولا تختصُ تلك المعارف اللّغويّة بمعرفة القواعد والتّراكيب النّحويّة الّتي تتحكَّم في بنائه بل يقصِد بها الموسوعة المتكوّنة من تطبيقات هذه اللُّغة، ومعرفة العادات الثّقافيّة الناتجة عنها"[1].

وتستوجب مقصديّة النّصّ بدورها تسخير القارئ والموسوعة بما تتضمَّنه من عادات وتقاليد المجتمع الواحد، وقدْ تضع للنصّ قيمة بردِّه إليها، لأنّها تمدُّه بمعانيه وللانتقال ممّا هو نفعيّ إلى ما يحقِّق المتعة أيْ؛ الانتقال من معنى لآخر،كما لايُغفل أمبرتو إيكو مقصديّة الكاتب مُقابل مقصديّة النّصّ، ويُدرك الكاتب أنّ نصّه يؤوَّل لكّن ليس حسب مقصدياته بلْ حسب استراتيجيّة معقَّدة من التّفاعلات بمشاركة القُراء.[2]

والقارئ ليس مُلزما بتتبُّع مقاصد الكاتب ويكفيه ثراء المعارف الموسوعيّة لبُلوغ مقصديَّة النّصّ، هذا لا يعني إقصاء مقصديّة الكاتب فقد تتوافق إحدى مقاصِد النّصّ الّتي يحيِّنها القارئ مع مقصديَّة الكاتب،ثمَّ إنَّ النَّصّ يفترض دلالات بينما يخدر أخرى تتيحها الوحدات النصية. [3]

---

(1) Umberto Eco, L' interprétation et surinterprétatoin ,p133.

(2) Ibidem.

(3) ينظر: سعيد بنكراد، بين اللّفظ والصّورة، تعدديّة الحقائق وفرجة الممكن، ص 3.25 (

تفرِض مقصديّة النّصّ الكفاية الموسوعيّة المختزنة في ذاكرة القارئ الّتي يتدَاولها وما توفِّره من سياقات مُمكنة لعمليّة التّأويل، وهي تُدمج النَّسق اللِّسانيّ مع النَّسق الثَّقافيّ للتجربة الإنسانيّة، وتصبح مقصديّة النّصّ رهينة استراتيجيتيْن نصيّتين هما المؤلِّف المبدِع لشبكة من العلاقات والقارئ النّموذجيّ، "وحينئذ تكون مقصديّة النّصّ ذات فائدة كبيرة في التَّأويل فمقاصد المؤلِّف ومقصديّة النصّ يتلقّاها القارئ عبر العلامات اللّغوية، فيَفهم ما تيسّر ثمّ يتأوَّل حسب العلاقات الّتي تكوَّنت لديه"[1]، وباستحضار أمبرتو إيكو لمفهوم القصديّة يصبح التّأويل محدُودا وتتطلّب حُضور فاعِليْ التلفُّظ (المؤلِّف، القارئ).

أضاف أمبرتوإيكو أنَّ القرّاء بعد تحديدهم لمقصديّة النَّصّ أيْ؛ التّأويلات الممكنة لنصّه، يحاولون معرفة مقاصد الكاتب إنْ كان على قيد الحياة لمعرفة مدى تطابق تأويلاته مع مقصديَّة الكاتب، بينما أمبرتو إيكو يرى أنَّ القارئ الحقيقيّ هو من لا يقبل أيّ تأويل، مقصديّة النّصّ رهينة بما يقرأهُ القارئ[2]، ويُحيل ذلك الأمر على هامشية مقصديّة الكاتب رغم أنَّها متضمَّنة في النَّصّ .

المعنى الحرفيّ :

يعتمد أمبرتو إيكو على تفعيل دور القارئ لإيجاد مقصديّة النَّصّ بوصفها سيرورة دلاليّة فيتعمّق في عوالمه، لكّنه يُصرحّ أنَّ إدراك المقصديّة يعتمد على آليات تتجاوز نسق النّصّ وبنيته المغلقة بتوظيف الموسوعة، وهذا لايعني أنَّ النُّصوص كلُّها بحاجة إلى تأويل فقد يكتفي بتحديد معناه الحرفيّ (الدرجة الصِّفر)، ويقرّ أمبرتو إيكو" بوجود معنى حرفيّ خاصّة ما تعلّق بالسّياقات التِّقنيّة والعلميّة، تدوِّنه المعاجم في البداية، ويُصرّح به عندما نطلُب معنى كلمة محدَّدة "[3].

(1)محمد بوعزة، استراتيجية التّأويل من النّصية إلى التّفكيكيّة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ،ط1، 2011، ص76.

«L'intention du texte est évidente et, si les mots ont une signification conventionnelle, le texte ne dit pas ce que ce lecteur ..croyait y avoir lu(…) », Umberto Eco, Les limites de L'interprétation ,p134,p 142 .)2(

Idem,p 77.)3(

كما يعتقد أنّ معنى الملفوظات في النّصّ يتحدّد باستخدامنا للقاموس باعتباره مُصنِّفا لمعانيها الحرفيّة، وعجلّ ذلك بظهور خلافات اِبستمولوجيّة حول إمكانية وجود معنى حرفيّ للّغة ووجود معنى مجازيّ، ويعدُّ أمبرتو إيكو المعنى الاستعاري أوْ الاستعارة ظاهرة تخصُّ المضمون والموسوعة.

ويتعلَّق تأويلها بقوانين تداوليّة تتمثَّل في قوانين اجتماعيّة وثقافيّة وهي تمرُّ عبر سيميائية الثّقافة، أمّا بول ريكور فيعدُّها ذات معنى مزدوج، وهي إحدى الصُّور البلاغيّة، ووجودُها يفترِض وجود التّأويل الّذي يستلزم التَّأويل الحرفيّ للاستعارة [1]، ليتبيَّن أنَّ بول ريكور يدعَم رؤية أمبرتو إيكو في إقراره بأهميّة المعنى الحرفيّ في التّأويل، ويدُّل ذلك على أنَّه النواة الأولى لانبثاق تأويلات جديدة، ولا ينُكر أمبرتو إيكو المعنى الحرفيّ الّذي يعتمدهُ القارئ مُنطلقا لبناء معان متعدّدة للنّصّ، وتلك النَّواة الدّلاليّة "هي بمثابة معيار لما يُسمَّى في البلاغة بالدّلالة التّعيينيّة المباشرة الّتي تدلّ على المعنى السّابق على ابتداع الصُّورة البلاغيّة "[2]، ويظلّ المعنى الحرفيّ هو المعنى الصّريح للُّغة والانتقال منه يؤدّي إلى إنتاج المعنى التَّخييليّ أوْ المجازيّ، بالانحراف عن المعنى الحرفيّ.

أقام أمبرتو إيكو تأويله المحدود على المعنى الحرفيّ، لأنّه يُعِين القارئ النَّموذجيّ في البحث عن تأويلات ممكنة للنّصّ تفترض تلك التّأويلات أنْ تكون محدُودة وفق سياقات متعدّدةٍ .

(1) ينظر : بول ريكور، نظرية التّأويل؛ الخطاب وفائض المعنى، ت سعيد الغانمي، المركز الثّقافي العربي ، المغرب ،ص90-91.
(2)محمد بوعزة، استراتيجية التّأويل من النّصية إلى التفّكيكية، ص78.

الفصل الثالث: إسهامات فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو في السّيميائيات النّصيّة

– دراسة مُقارنة –

- **المبحث الأول :انفتاح النصّ بين التّأويل الدّلالي والتّأويل السيميائي**
- **المبحث الثاني : تعالق مفهوم القارئ ما بين أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي**
- **المبحث الثالث : الموسوعة – المدار والسّياق**

قدّم فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو جهودا معتبرة في مجال السّيميائيات النصّية، فكلاهُما انطلق من النصّ وجعله محورا للدّراسة والتّحليل ويعدُّ بالنسبة لهما علامة كبرى وقد أخرجاه من التّحليل التّقليدي المقيّد لمفهومه، فالنصُّ خاضع لعمليتي التّوليد والتّأويل[1] لدى أمبرتو إيكو وكذلك فرانسوا راستي الّذي تتبَّع دلالات النصّ، ولم يكن هدفه تشكيل منهج يُعتمَد في التّحليل، كما هو الشّأن في السّيميائيات السّردية لدى ألجيرداس جوليان غريماس، إنّما حرص فرانسوا راستي على تحديد مفهوم الدّلالة التّأويليّة انطلاقا من النصّ وربط إشكاليته بالدِّلالة.

ويرى أنّ التعمّق في التّمييز بين العلامات والنّصوص"يجعل العلامة مجرَّدَة من المعنى إذا كانت معزولة عن سياقها، والنّصوص ليس لها دلالة"[2]، وهذا يُبيّن مساعي فرانسوا راستي في طرحه للمعنى النّصّي، واهتمامه بالنّموذج التّأويلي الّذي اقترحه انطلاقا من دراساته اللّسانية – الدّلالة التّأويليّة– وفي المقابل اشتغل أمبرتو إيكو على نموذج تأويلي مُغاير لما جاء به فرانسوا راستي وهو التّأويل السّيميائي، إذ يُحيل النّموذجان التّأويليان للباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي على اختلاف مُنطلقاتهما النّظرية إلى سعيهما للانتقال من البعد الدلالي إلى التداولي للنص.

يُمكن القول أنّ إسهامات الباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي متعدّدة لإقامة سيميائيات موضوعها النصّ الأدبيّ بوصفه علامة، ويستند فهمه على حقائق موضوعيّة وأخرى ذاتية، ومادام

(1) ينظر : لصحف حياة، أصول الخطاب النّقدي الغربي والعربي؛ دراسة تأويليّة تفكيكيّة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان،ط1، 2018، ص137.

(2) Samir Badir, Jean Marie klinKenberg, Figures de la figure Sémantique et rhétorique général ,pulin université, p82.

النّصّ محور الدّراسة في السّيميائيات النصّية، فإنّنا سنعالج أهمّ الإشكاليات الّتي جسّدها الباحثان، مع محاولة تبيان مواطن التّشابه والاختلاف في بحوثهما المتعلّقة بالتّأسيس للسّيميائيات النّصيّة، وذلك بالمقارنة بين المفاهيم وكذا المصطلحات الّتي وُظِّفت في مؤلفات الباحثيْن.

فقد رصدنا بداية أهمَّ مفهوم صاغه المؤلفان مفهوم انفتاح النّصّ بين تأويليْن مُتباينين؛ التّأويل الدّلالي والتّأويل السّيمائي، وقد حاولنا قدر الإمكان إيجاد العلاقة بين القارئ النّموذجي والتّشاكل في التّلقي التّأويلي لدى الباحثيْن، كما وضع الباحثان مفاهيم ومصطلحات مفتاحية أخرى لها مكانتُها في دراسة النّصّ الأدبيّ سيميائيّا وهو ما نحاول تقصّيه في هذا الفصل التّطبيقيّ من خلال إيجاد مواطن الالتقاء والاختلاف فيما أورداه من مصطلحات لعلّ أبرزها: الموسوعة، المدار، والسِّياق.

المبحث الأول : انفتاح النّصّ بين التّأويل الدّلالي والتّأويل السّيميائيّ

إنّ الباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي قاربا النّصّ السّردي والشِّعري وفق النّظرية السّيميائية، لكّن جعلا له مفهوما جديدا انفتح على شروط تتعلّق أساسا بما هو داخل النصّوأخرى بما هو خارج عنه.

إنّ دلالة النصّ أو معناه ليس رهين نسيجه اللّغوي بل مُرتبط بعوامل تداولية؛ أيْ بشروط خارجة عن علاقاته الدّاخلية، لذلك فهو مُنفتح وقابل للتّأويل، فسيميائيات النّصّ تتعامل مع النصّ بوصفه فضاء وهو غير محدّد، فيرى محمد الماكري "أنّ المعروض (الكتاب) ليس نصّا فقط، بل هو إلى جانب النصّ فضاء صُوريّ شكليٌّ لا يخلو من الدّلالة"[1]، فكلُّ مظاهر النصّ من حجم

(1)محمد الماكري، الشّكل والخطاب(مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثّقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط1، 1991، ص06.

وعُنوان وصُور وألوان ونوعية الخطّ تُشكِّل فضاء النّصّ، والنصُّ عند الباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي غير محدّد لأنّه ينفتح على الممارسة التّأويليّة، وهو مجموع من الأسنن المتعدّدة.

يتخذُّ النصّ مفهوما مُتمايزا عند الباحثيْن، فإذا كان النصّ عند فرانسوا راستي نسيجا لسانيا يقوم على مبدأ الموضوعية[1]، ويفترض النصّ قراءات متعدّدة ليست محصورة في قراءة وحيدة، وهو نتاج التّجارب والممارسات الاجتماعيّة يستحضرها المؤلِّف أثناء كتابته وإبداعه، فهو يعكس بيئته الّتي ينتمي إليها، والظّروف التّاريخية والثّقافيّة والاجتماعيّة وتشكِّل هذه الأخيرة السّياق الّذي يسمح بإنتاجه، وقد ركزّ عليه فرانسوا راستي في إيجاد دلالة النصّ.

إنّ البحث عن الدّلالة يقتضي البحث في النصّ وخارجه، لذا جعل أمبرتو إيكو النصّ آلة معطّلة تتضمَّن فراغات، يتدخَّل القارئ لملئها، ويتجلَّى من خلال مفهوم النصّ لدى الباحثيْن أنّهما يشتركان في كونه نسيجا لسانيا، فهُما يتَّفقان على انفتاحه انطلاقا من كونه بحاجة إلى قراءة وتأويل "فالنصُّ لا يُعبّر عن الحقيقة وحدها، وإنّما يمكن أنْ يُعبِّر عن الاحتمال والممكن والمستحيل (...) ، وبهذه النّظرة التّركيبة نتجنّب الرؤية التّقليديّة للنصّ باعتبار أُحادية معناه وشفافيته وحقيقتة وصدقه"[2]، ومادام النصّ مفتوحا فهو يحتمل معان متعدّدة قد تكون مُحتملة أو مُمكنة، لأنّ البحث عن المعنى الحقيقي غير موجود مُسبقا بل تفرضه ممارسة التّأويل، ويُشير الباحث **سعيد يقطين** إلى خاصية الانفتاح الّتي يتميَّز بها النصُّ من النّاحية الكتابية والدّلاليّة، كما ينفتح على القراءة

(1) ينظر : ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، النّظريات اللّسانية الكبرى؛ من النّحو المقارن إلى الذّرائعيّة، ، ت محمد الرّاضي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت،ط1، 2012، ص344.

(2)محمد مفتاح، المفاهيم معالم، ص 32.

والتَّأويل[1]، حيث ينفتح النصّ على دلالات متعدّدة هذا ما نُلفيه عند أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي بإخضاعه للقراءة، فقد انطلقا من مرجعيّة الفلسفة الهيرمينوطيقيّة الّتي تهدف إلى تأويل النّصوص وفكّ عوالمها.

غير أنّ أمبرتو إيكو قبل أنْ يستخدم مصطلح النّصّ فإنّه اختار في بداية مشروعه التَّأويليّ مصطلح المؤلَّف المفتوح ثُمّ الأثر المفتوح، ليعوِّض هذين المصطلحين بمصطلح شامل هو النصُّ، وقد استقر فرانسوا راستي على هذا المصطلح في دلالته التّأويليّة.

ورغم ذلك فإنّ أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي يعترفان بانفتاح النصّ على شروط تداوليّة تمثّلت في القارئ والموسوعة والسّياق، فقد استطاعا أنْ يُحرّرا النصّ من التّحليل المحايث الّذي أتى به روّاد السّيميائية السّردية حيثُ جمعوا بين التّحليل البنيوي والتّحليل الدّلالي، وحتّى الدّراسات اللّسانية والبنيوية في عزلها للنصّ عن القارئ أو المؤوِّل، إذ يُعرَف النصّ "بوحدته كما يُعرَف بالانفتاح"[2]، وهذا لا يعني أنّ الباحثيْن لم يعتمدا على تلك الأسُس والمنطلقات في الدّراسات اللّسانية والبنويّة، بل فتحا عالم النصّ على تأويلات القارئ والسّياقات الخارجيّة.

نخلُص إلى القول أنّ مصطلح الانفتاح المعتمد لدى أمبرتو إيكو في مؤلفه الأثر المفتوح يدلُّ على قناعته بتعدّد دلالاته المختزنة في نسيجه اللّغوي والسّيرورة الدّلالية الخاضع لها، أمّا فرانسوا راستي لم يُوظِّف المصطلح بصريح العبارة، بل اهتمَّ بالسّياق المصاحب للنصّ محاولا قدر الإمكان الابتعاد

(1) ينظر : سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي؛ النصّ والسّياق، المراكز الثّقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2001، ص06.

(2)باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ت عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص355.

عن الموضوعية، فهو يُشير ضمنيا على انفتاح النصّ وفق الشُّروط المذكورة ؛ وهي القارئ والموسوعة والسّياق (المحيط).

أولا– التّأويل الدّلالي والتّأويل السّيميائي :

لقد فسحت السِّيميائيات النّصيّة المجال أمام تغيير مفهوم النّصّ، كما أسهمت في ظهور آليات جديدة لقراءته، ويؤدي الحديث عن مصطلح انفتاح النصّ الأدبي لدى أمبرتو إيكو استدعاء فعل قراءة النصّ، والكشف عن أسراره والبحث عن مقصديته وتسمّى هذه الظّاهرة بالتّأويل السّيميائي، وإنْ كان هذا المصطلح ظهر قبل أمبرتو إيكو وارتبط بالتّفكير الإغريقي.

يقوم مفهوم التَّأويل (Interprétation) عند أمبرتو إيكو على فاعلية القارئ وقد ارتبط – أيضا– بالتّفكير الهيرمينوطيقيّ القائم على عملتي الفهم والتّفسير للنُّصوص الدِّينيّة المقدّسة، أمّا في التّفكير اللّساني الرّاهن يهتمُّ بفهم كلِّ النّصوص، لكّن أمبرتو إيكو"يُعيد التّأويل إلى التُّراث الإغريقي المتمثّل في فكرة الهُرموسية"[1] القائمة على فكرة اللاّنهائي والتعدُّد.

لذا "فإنّ التّأويل في الهرموسية ليس تحريرا للنصّ من قيود المعنى الحرفيّ والدَّفع به إلى تسليم دلالات لا تكترِث كثيرا لمقاصده، بل يقوم بردِّه إلى ذاكرته الكُبرى، كما يمكن أنْ تتحقَّق في السِّياقات المنتقاة أو القابلة للانتقاء فقط".[2]

(1) فيصل الأحمر، معجم السّيميائيات، دار الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2010، ص189.

(2)سعيد بنكراد، سيرورات التّأويل من الهرموسيّة إلى السّيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2012 ، ص34.

يبحث أمبرتو إيكو عن المعنى الظّاهر الّذي يُحيل إليه النّصّ، وإنّما يتفحَّص الدِّلالات الكامنة في طبقاته وفق ما توفّره السّياقات لينتقي القارئ ما يناسب منها، وهنا تتضّح ميزة اللاّمحدود والتّعدُّد، بالإضافة إلى ارتباط التّأويل بفكرة الغُنوصيّة الّتي تسعى للكشف عن الحقيقة بوصفها سرّا، وهو يعتقد أنّه كلما وصل إلى الحقيقة فإنّها تعدّ سرّا آخر يحتاج إلى التّأويل، وإنْ كان مصطلحا الهرمسية والغُنوصية يؤدّيان إلى المتاهة والغُموض ،كما يمكن أنْ يشتركا مع التَّأويل في جعل النصّ عالما مفتوحا يؤوِّله القارئ، وينُتج دلالات متعدِّدة، لأنَّ اللّغة لا تقرُّ بالدّلالة الوحيدة. (1)

إنّ السّيرورة الدّلالية تتطوّر وتستمرُّ مع تعدّد قراءات المؤوّل، والسّياقات الّتي تُتيحها للنصّ، فينتقل من إحالة دلاليّة إلى أخرى، أمّا التّأويل الّذي صاغه أمبرتو إيكو في الدّراسات السّيميائية الحديثة يختلف لأنّه كان مرُتبطا بالنُّصوص الدينيّة المقدَّسة سابقا، ثمّ شمل جميع النّصوص بأنواعها المختلفة.

ربط أمبرتو إيكو التّأويل في السّيميائيات النّصيَّة بثلاثة أقطاب محورية هي المؤلِّف ، النصُّ والقارئ، ولإيجاد مقصديّة النصّ، فقد انتقل في دراساته من المؤلِّف إلى القارئ، فقد أولى هذا الأخير – القارئ– أهميّة بالغة في مسار التّأويل حيث يُصرّح"إنّ مجد القارئ يكمن في اكتشافه أنّه بإمكان النّصوص أنْ تقول كلّ شيء باستثناء ما يوّد الكاتب التّدليل عليه (...)، إنّ القارئ الحقيقي هو الّذي يفهم أنّ سرّ النصّ يكمن في عدمه".(2)

(1) ينظر : فيصل الأحمر، معجم السّيميائيات ، ص189.
(2) المرجع السابق، ص189.

فالقارئ يبحث في عوالم النصّ من خلال ما يحمله من مقاصد ودلالات لامتناهية دون أنْ يُولي مقصديّة المؤلِّف أهميّة كبيرة، ومهما اعتقد القارئ أنّه توصَّل إلى تأويل النصّ وكشف معناه الحقيقيّ، فذلك يعني أنّه لا يزال بحاجة إلى سيرورة تأويليّة يفجرّ من خلالها دلالاته الممكنة والمحتملة.

وفي المقابل نجد أنَّ التّأويل الدّلالي (Sémantique Interprétative) لدى فرانسوا راستي قد ربطه بالدّلالة في النصّ، خاصة بعدما رصد لنا أنَّ له علاقات مختلفة مع حقول معرفيّة شتّى، مُدركا أنّ الاشتغال بالمبحث الدّلالي بحاجة إلى دراسة وبحث مُتواصل، فهو لم يحظ بجهود الباحثين الألسنيين مقارنة بالتّركيب والصّوتيات والمعجميّة.

رغم أنّ ألجيرداس جوليان غريماس أسهم بأبحاثه السّيميائية في إيجاد دلالة النصّ، لأنّ المستوى الدّلالي لم يشهد الإثراء والتّأصيل في الدّراسات اللّسانية، حيث قام بتحليل البنية العميقة والسّطحية للنصّ السّردي،"ويعدّ المعنى حاصل علاقات تتحقّق داخل النّسق وحاصل الاستبدالات الممكنة لهذه العلاقات". (1)

إنّ معنى النصّ يتبَلور من خلال المحور التَّوليدي أو المسار التَّوليدي الّذي هو عبارة عن سيرورة تنتَقل من البنية المجرّدة إلى البنية المحسوسة (المربع السّميائي، البرامج العاملية والفواعل...) ، لتتجسَّد الدّلالة عبر هذه السّيرورة، وبذلك حاول فرانسوا راستي إيجاد منهجية تخرج النصّ من عزلته

(1)سعيد بنكراد، سيرورات التّأويل من الهرموسيّة إلى السّيميائيات، ص364.

(المحايثة) إلى عالم الانفتاح وتتبُّع دلالاته، لكّنه أضفى على دراسته السّيميائية بُعدا ذاتيا، مُنتقدا المحور التّوليدي المعتمد في سيميائية غريماس السّردية.

يتضِّح لنا أنّ الباحثين أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي قد اتّخذا النصّ بؤرة للتّأويل السيميائي أو الدّلالي، ويمكن القول أنّهما لم يُعيّنا مركز النصّ، فالمعنى لا يختص بداخل النصّ بمفرده ولا بخارجه، وهذا يدّل على أنّهما يشتغلان على نسق النصّ وسياقه، وأساس التّأويل عندهما هو القارئ بوصفه متلقّي النصّ والمحدِّد للمكونات الدِّلالية والمؤسّس لمقصديته، وقد اعتمدا في السّيميائيات النّصيَّة على بعض المفاهيم والآليات المستقاة من اللّسانيات أبرزها: التّشاكل، الاتّساق، الانسجام، والسِّياق.

كما أنّ الدّلالة في نموذج التَّأويل الدّلالي لها علاقة بعلُوم معرفيّة متنوعة كالبلاغة والهيرمينوطيقا والفيلولوجيا، حيث تساعد مختلف الظَّواهر المرتبطة بالنَّصّ على تأويل المعنى ، ويرى فرانسوا راستي أنّ النصّ لا يقدِّم لنا مُعطيات جاهزة تمكِّن من تحديد المعنى بل يجب على القارئ إثارة معطيات أخرى لها القدرة على تحديد المعنى خارجة عن النصّ، وهذا ما يتطلّبه التَّأويل السِّيميائي عند أمبرتو إيكو، فهو لا يعتمد على مُعطيات خارجة عن النصّ فقط كالموسوعة والعوالم الممكنة.

نستنتجُ ممّا تقدّم أنَّ الباحثيْن فرانسوا راستي وإمبرتو إيكو يلتقيان في اهتمامهما بالمعنى المتضمَّن في النصّ غير أنّهما يختلفان في الآلية، فأمبرتو إيكو يرى أنَّ القارئ هو الذي يفعّل المعنى ، فأسّس مفهوم التّأويل على دور القارئ، فهو يُقدِّم تخمينات حول مقصدية النّصّ عن طريق الموسوعة، أمّا فرانسوا راستي يعتمد على التّشاكل المتضمّن في ثنايا النصّ أيْ يبدأ من نسقه ومدى

تحقيقه الانسجام والاتّساق النّصيَيْن، ثمّ ينتقل إلى السّياق اللِّساني الّذي ورد فيه النصّ، ثمَّ السّياق غير اللّساني، وهنا يحتاج القارئ إلى الموسوعة الثّقافيّة ليؤوّل معنى النصّ.

وفي هذا الطَّرح يؤكّد كل من ألجيرداس جوليان غريماس وجوزيف كورتاس"أنَّ مَهمَّة الدّلالة التَّأويليّة هي تطوير القواعد الّتي تُعيّن تأويلا دلاليا للبُنى العميقة ذات الطّابع النّحوي"[1] ، والهدف الّذي تصبو إليه الدّلالة التّأويليّة يتمثَّل في تأويل النصّ، وإيجاد تأويل لمعطياته ومنح المستوى التّركيبي (النّحوي) أهمية في عملية التّأويل، ذلك بوصفه العتبة الأولى في ممارسة التّأويل الدّلالي، لذا انطلق فرانسوا راستي من شكل المحتوى، وبحث في الوحدات اللّسانية والعلاقات الصّرفية والتّركيبية لتحديد البُنى الدّلاليّة.

أمّا التّأويل المتعدِّد للنصّ فإنّ كليهما يُثير هذه الإشكالية وهما يعتقدان أنّ التّأويل لا ينبغي أنْ يخرج عن الموضوعيّة، فلا يتمّ تأويل المعنى النّصّي إلى معان لا نهائية، وقد رفض أمبرتو إيكو إدخال النصّ في متاهة التَّأويل اللاَّنهائي حتَّى لا يفقد خُصوصيته، أمّا فرانسوا راستي ربط معنى النصّ بالقيود أو المعطيات المتضمَّنة فيه، ومدى مطابقتها أو معارضتها للقراءات الّتي يقدّمها القارئ.

يتّضح أنّ فرانسوا راستي يُلمِّح إلى التَّأويل المتعدّد بدراسة المكونات الدّلالية كالتّشاكل على المستوى الاستبدالي والاستعانة بالسّياق اللّساني وغير اللّساني لقراءة النصّ وتأويله واستخراج معانيه، فالقارئ يؤوِّل النّصّ وفق سياق غير لساني معيّن ممّا يجعل المعاني تتعدّدُ.

(1) A.J.Greimas, J.Courtés, Sémiotique, Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, p193.

وقد استهلّ مفهوم الدّلالة التّأويلية بكيفيَّة تمثيل النصّ لمجموعة من المعاني، فإذا تتبَّعْنا مفهوم التَّأويل عند الباحثيْن وكيفية تطبيقهما للتّأويل النصّي، فإنَّنا نجد أنّ أمبرتو إيكو صاغ مصطلح التَّأويل الّذي يقتضي تعدُّد معاني النصّ ولا نهائيتها، ويُسميه التّأويل اللاّنهائي (المعنى المؤجل)، ثمّ أعاد النظر في هذا المصطلح نتيجة الدّراسات التّفكيكيَّة الّتي أساءت استعمال المفهوم، حيث يستنطق المؤوِّل النصّ ليكشف دلالاته.

وهذا النّمط من التَّأويل لا تحدُّه قيود ولا يستندُ على ضوابط، ثمّ استدرك بمفهوم آخر وهو التّأويل النّهائي(المحدود) الّذي يخضع لقوانين وقواعد تُخلِّص النّصّ من العبثيّة و اللاّنهائي.

انطلق فرانسوا راستي في تأويله الدّلالي من التّأويل الدّاخلي، حيث يعتمد القارئ على نسق النصّ، فهو يتضمّن مكوّنات دلاليّة ويَقصدُ بها السِّيمات الملازمة والمجاليّة، إذ تنتظم في سياق محدّد وتتدخّل بعض المعايير اللَّهجيّة الاجتماعية الدّاخلية وأخرى لهجيّة داخليّة، بالإضافة إلى المراحل التّي يقوم عليها التّأويل الدّاخلي.

كما يُتبع التّأويل الدّاخلي بتأويل خارجي عن طريق مجموعة من التّحوُّلات كالنّقل والاستبدال، ثمّ الحذف فالإدراج، ويستند – أيضا– على معايير لهجيّة اجتماعيّة خارجيّة ومعايير لهجية خارجيّة بعيدة عن نسق النّصّ؛ أيْ تتعلّق بالسّياق غير اللّساني، وقد بيّن فرانسوا راستي التّفاعل الموجود بين التّأويل الدّاخلي والخارجي رغم اختلاف العمليات الّتي يقومان عليها.

يهدف فرانسوا راستي من خلال هذا الطّرح إلى دراسة قواعد التّأويل وآلياته كما هو في التّأويل السّيميائي عند أمبرتو إيكو، حيث وضع جملة من القوانين والقواعد ليكُون التّأويل محدودا ويتمّ ضبط

السّيرورات الدّلالية، ومن المؤكَّد أنّ الباحثيْن لا يسعيان إلى تقديم منهج للتّحليل أو نظرية تُكسِب القارئ كفاءة التّأويل، وسجّل فرانسوا راستي تهاون المنظّرين في عملية التّأويل وعدم قدرتهم على تحديد قواعده وشُروطه.

إضافة إلى ما تقدّم نجد أنّ التّأويل الدّاخلي والخارجيّ بحاجة إلى توفُّر تعليمات داخليّة ، مُتضمَّنة في النصّ الأدبيّ تعمل على تحديد التّشاكلات من خلال الملفوظات النّصيّة وروابط التّشاكلات والسّيمات الملازمة والمجالية التّوليديّة والخُصوصية، وهو لم يُغفل دور المؤلف في عملية التّأويل الدّاخلي الفاعل في النصّ عن طريق توظيف لهجته الفرديّة والاجتماعيّة أيضا.

أمّا التّأويل الخارجيّ فإنّه يختصُّ بتعليمات خارجيّة لها دور في التّأويل الدّلالي للنصّ وجمع تلك التّعليمات في بعض المعايير كالاتّساق والانسجام والملاءمة، فيستوجب الاتّساق توفُّر مبدأ عدم التّناقض (absence de contradiction) بين السّيميمات في التّشاكل، بينما وظّف غريماس مبدأ التّناقض في المربّع السّيميائي المنطقي،"وهي علاقة تجمع بين مصطلحين للمقولة الخطيّة إثبات/نفي، والمسمّيات "علاقات" "مُصطلح "إثبات" "نفي" تُحيل على تصوُّرات غير محدّدة، وهذا التَّعريف المقترَح يتموضع في المستوى العميق والأكثر اعتباطية للملفوظ السّيميائي"[1].

وهذه العلاقات تضمَن توليد البنية الدّلاليّة المكوّنة للنصّ السّرديّ، وقد أفاد فرانسوا راستي ممّا أورده ألجيرداس جوليان غريماس حول التّأويل الدّلالي، لكّن خالفه في بعض الطّروحات

(1) A.J.Greimas, J.Courtés, Sémiotique ; Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, p193.

، فقد جعل راستي مبدأ عدم التّناقض مقابل مبدأ التّناقض، إذ جعل مبدأ عدم التّناقض بين السّيميمات لأنّها جزء من المكوّنات الدّلالية (التّشاكل).

نخلُص إلى القول أنّ الباحثيْن فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو قد ربطا التّأويل بمجموعة من الشُّروط والقواعد، فالتّأويل الدّلالي عند فرانسوا راستي يقوم على التّأويل الدّاخلي والخارجيّ، ممّا يؤدّي إلى إنتاج قراءتين مختلفين، إحداهما وصفيّة وأُخرى إنتاجيّة حسب طبيعة التّأويل، وفي المقابل يقوم التّأويل النّصّي عند أمبرتو إيكو على قراءة النصّ عن طريق التّشاكلات المتضمّنة في النصّ والمقصديّة والمعنى الحرفي، وذلك كله يشكّل قراءة تأويليَّة للنصّ لديهما، وإنْ كانت القواعد والآليات مُتباينة مع العلم أنّ المعنى ليس مُعطى جاهزا.

وما يميّزُ التَّأويل عند فرانسوا راستي أنّ التّأويل الخارجيّ يُوَلّد قراءة إنتاجيّة لا تكتفي بإيجاد المعنى بل تُسهم في إعادة كتابة النصّ، وقد يكتسب مصطلح الإنتاجيّة في هذا الطّرح عدَّة مفاهيم، فهي تُشير إلى "نتائج السَّيرُورة الإنتاجيّة أو السَّيرورة الّتي تُساهم في إنتاجيَّة الإنتاج"[1]، ويقصد بالإنتاج النّصّ الأدبيّ ،أمَّا الإنتاجيَّة فهي إعادة بناء النّصّ بعد تأويله والسَّيرورة دلالة على تعدُّد المعاني النّصيَّة، أمّا غريماس يعدُّ "الإنتاجيَّة إجراء سيميائيّا يقع زمن التلفّظ يؤدّي إلى تشكيل الملفوظ (الجملة والخطاب)" [2].

(1) Jean Dubois,Mathée Giacomo et autre, Dictionnaire linguistique, ,2002 ,P186.

(2) A.J. Greimas, J. Courtés, Sémiotique, Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, p294

يتّضحُ من خلال ما أورده ألجيرداس غريماس حول مفهوم الإنتاجيَّة بأنّه لا يتوافق مع مفهوم القراءة الإنتاجيّة عند فرانسوا راستي، إذ يُحيل جوليان غريماس بهذا المفهوم إلى سلسلة العلامات اللّسانية المكوِّنة للنصّ أو الخطاب الصّادر عن المرسِل أو المنتِج.

إنّ التَّأويل كممارسة في السّيميائيات النّصيّة يقوم على التَّناص أيضا، لأنّ العُثور على المعنى لا يقتصر على السيّمات الملازمة والمجاليّة أو القارئ.

ثانيا– النّزهات السّردية والتّناص:

اعتمد أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي في تأويل النصّ الأدبي على بعض الآليات بواسطتها يتمّ إيجاد المعنى، وذلك عن طريق النزهات السّردية ضمن ما يعرف بالعوالم الممكنة، والتّناص بوصفه عاملا إلى جانب السّياق الخارجي الّذي يقود إلى التّأويل الدّلالي، فرغم اختلاف المصطلحين إلاّ أنّهما يقودان إلى المعنى وينشّطان فعل القراءة.

ويمكن أنْ نجد ما هو مشترك بين هذين المصطلحين، فالنُزهات السّردية أو الاستدلالية الّتي يمرّ بها القارئ لبناء عالم ممكن ولجوؤه إلى الموسوعة ومجمل سيناريوهات أو التّناصات الخارجة عن النصّ ، تلتقي مع التّناص بوصفه آلية للتّأويل الخارجيّ افترضه فرانسوا راستي في سيميائية النصيّة، وهو ينقل فعل التّأويل من النصّ بوصفه شفرة لسانيّة إلى السّميائيات بوجه عام، لأنّ النصّ حسب فرانسوا راستي ينفتح على نصوص أخرى، فهو حصيلة تقاطع وتداخل نصوص جمّة من النّوع نفسه لذلك ربط تأويل النصّ بالمتن.

أمّا أمبرتو إيكو حين تحدّث عن النُزهات الاستدلاليّة، فقد أراد بالقارئ بناء فرضيات وتكهّنات تسمح بتتمة مسار الحكي داخل النصّ ولكّن في هذه الحالة يخرج عن النصّ لإيجاد منافذ يحاول تنشيط سيناريو مُتناص من مخزونه الثّقافي قد تنتمي إلى نصوص أخرى، فهو يحيِّن رهانا من الرّهانات المفترضة أو قياسا احتماليا[1]، وهنا نجد تداخلا بين المفهومين فكلاهما يخرج من بنية النصّ اللّسانية إلى خارج النصّ أيْ البحث عن سياقات تناسب النصّ، ليتمكّن القارئ من بناء العالم الممكن انطلاقا من النُزهات الاستدلالية.

أمّا فرانسوا راستي فقد اتخذ من التّناص آلية للتّأويل الخارجيّ لذلك فإنّ رولان بارث يعترف بدور التّناص في تشكيل النّصوص"مُعلنا أنّ التّناصيّة قدْرُ كلّ نصّ مهما كان جنسه لا تقتصر حتما على قضيّة المنبع أو التّأثير[2] ، فأيّ نصّ هو نتاج مجموعة من النّصوص لذا فإنّ غريماس وكورتيس يؤيّدان رؤية فرانسوا راستي، فالنصّ ليس حصيلة المبدع بل ينتُج من أعمال ونصوص أخرى. [3]

وإنْ كان بعض السّيميائيين سبقوا فرانسوا راستي إلى تحديد مفهوم التّناص، إذ جاء ميخائيل باختين بمصطلح الحوارية، فالنصّ يتحاور مع نصوص أخرى، وقد اعتمدت عليه جوليا كريستفا في صياغة مصطلح التّناص"معتبرة أنّ كلّ نصّ يتشكّل في صورة فسيفساء من الشّواهد، وأنّ كلّ نصّ

(1) ينظر : أمبرتوإيكو، القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النّصوص، ت انطوان أبو زيد، 154-155 .

(2) يوسف وغليسي، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ،الجزائر، ط1، 2009 ، ص390.

(3) ينظر A .J.Greimas ,J .Courtés, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du language ,hachette ,paris, 1993,p194.

هو تشرُّب لنصّ آخر و تحويل له" [1]، لكّن في سيميائيات النصّ أُعيد الاعتبار لهذا المفهوم لأنّه يتشكّل من ثقافات متعدّدة تحاول السّيميائيات النصيّة التّركيز على التّناص، فهو يؤثّر على النصيّة باعتبارها تأويلا داخليا.

كما أنّ التّناص يساعد إلى جانب السّياق على فهم النصّ وإعادته إلى متنه ليتمكّن من تحديد دلالته[2]، فالقارئ يعيد النصّ إلى سياقه (المحيط) وإلى مجموعة النّصوص الّتي تتقاطع معه.

المبحث الثّاني : تعالق مفهوم القارئ ما بين أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي

أفضت دراسة المصطلحات لدى كل من الباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي في السّيميائيات النصّية إلى وجود ارتباط بين مفهوم القارئ الّذي أدرجه الباحثان في قراءة النصّ، إذ لا يمكن قراءته في غياب القارئ بوصفه الكاشف عن تشاكلاته على مستوى التّعبير والمضمون، فإذا كان القارئ معْلما أساسيّا لتأويل النصّ وتحديد مقصديته، فإنّ التّشاكلات تضمن اتساق النصّ وانسجامه ليتمكّن القارئ من تجاوز حالات الغموض واللّبس.

دعا أمبرتو إيكو إلى إثارة دافعية القارئ وجعل النصّ مفتوحا على عوالم دلالية لا نهائية، غير أنّ المؤلف هو المسؤول عن تصوُّره للقارئ ويشترط امتلاكه لكفاءات قراءة النصّ وتأويله ، وهو الباني لقصديته، لذلك عدّ أمبرتو إيكو النصّ آلة كسولة يحتاج إلى عامل ديناميّ يحرّكه ويُحييه.

(1)محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديات، دار محمد علي للنشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2010 ، ص113.
(2) ينظر : فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ص124-125.

فقد جعل أمبرتو إيكو القارئ طرفا في عملية التّأويل النصّي إذ يقوم بسدّ تلك الفجوات والفراغات المتضمّنة في النّص، فهو ينفتح على التّوقعات الممكنة للقارئ بوصفة كائنا يفترضه المؤلّف مُسبقا، ليتكهّن معنى النصّ، رغم أنّ نظرية القراءة عرفت تعدّد أنماط المتلقّين، هذا ما أورده فولفغانغ إيزر في نظريته جمالية التلقّي، حيث تبنّى مفهوم القارئ الضّمني الموجود مُسبقا في عوالم النصّ، حيث وجد قبل ذلك مفهوم القارئ المعاصر والقارئ المثالي، والّذي يُقصد به النّاقد أو هو نسخة لكاتب النصّ ذاته، إذ باستطاعته التعرّف على معنى النصّ لإدراكه التّام لعلاماته وسَنَنه ، ويرُدُّ إيزر غموض هذين النّمطين إلى منح المتلقّي مكانة تفوق النصّ في حدّ ذاته، وإهمال ما يُحدثه من تأثير[1]، ثمّ أورد مفهوم القارئ الضّمني الّذي يملأ فجوات النصّ بتوظيف خبراته ورصيده الثّقافي ، ويُمكن أن يؤوّله وفق تأويلات متعدّدة، وبذلك تتقاطع رؤية إيزر مع إيكو.

كما أنّ فرانسوا راستي لم يخالف أمبرتو إيكو في إقراره بتفعيل دور القارئ، على الرغم من أنّه لم يتوسّع في هذا المفهوم أمبرتو إيكو، لكّن ضمنيا تحدث عن أهميته كاستراتيجية لقراءة النصّ ، حيث ربط بين القارئ كمؤوّل في التّأويلين الدّاخلي والخارجي إذْ يتلقّى النصّ باعتباره مجموعة من العلاقات اللّسانية وغير اللّسانية، فيعمَدُ إلى تفكيكها وتأويلها وفق متن النصّ والسّياق المحيط به، لأنّ معناها لا يتحدّدُ إلاّ بالعناصر المجاورة لبعضها البعض.

إنّ التشابه بين الباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي يظهر بشكل جليّ في طروحاتهما حول مفهوم القارئ، غير أنّ النَّقد الّذي قدّمه فرانسوا راستي لمفهوم القارئ النّموذجي يختلف عن المفهوم

(1) ينظر: وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل؛ قراءة في مشروع أمبرتو إيكو، ص90.

الّذي أورده أمبرتو إيكو بوصفه قارئا مجرّدا لا يمكن التّعويل عليه في عملية تأويل المعنى فقد يُصيب أوْ يخطئ.

يعتمد كلا الباحثيْن على القارئ لتفكيك علامات النصّ، فلا يتصوّر المؤلِّف نصّه في غياب القارئ، لأنّه يقدّم تخميناته وفرضياته للولوج إلى المستوى الدّلالي وكشف مكنوناته وتجاوز بنيته السّطحية وتحليل معطياته النّصية ومساءلتها، فقد أقام أمبرتو إيكو التّأويل السّيميائي على مفهوم القارئ الواعي بحيثيات النصّ، وما هو مسكوت عنهُ في ثناياه والإمساك بالمعنوي غير الجاهز المباشر عن طريق محدّدات تسهِّل عملية تأويل المعنى، أمَّا القارئ بالنسبة لفرانسوا راستي فإنّه يؤثِّر على دلالة النّصّ بوصفه عاملا مؤثرا يتحكّم في تحديد السّياق غير اللّساني المصاحب للنصّ ، وبالتّالي تعدُّد معاني النصّ وانفتاحه على تأويلات مختلفة، غير أنّه لم يهتم بدور المؤلّف الّذي أوْلاهُ مكانة أقلَّ من القارئ، لأنّه قد يُعِين على كشف المعنى عن طريق ما يوفِّره من شهادات ووثائق تصادق على ذلك المعنى أيْ؛ يعود القارئ للمؤلِّف مُبدع النصّ خاصة إذا كان حيّا وتمَّ تلقِّي نصّه، لأنّنا لا نُنكر العلاقة الموجودة مُسْبقا بين المؤلِّف و القارئ.

إنّ قراءة النصّ وتأويله عند الباحثيْن يمثِّل مرجعية فلسفيةً مشتركة بينهُما وهي الهيرمينوطيقا، فالنصُّ بحاجة إلى تدخُّل القارئ حتّى يفهمه ويفسِّره وفق تأويلات متعدِّدة فلا تُختزَل دلالة النصّ في معنى وحيد كما شهدته الهيرمينوطيقا سابقا في دراسة النُّصوص الدِّينية المقدّسة بل هو مُتحوِّل ومُتغيِّر حسب الظُّروف السائدة.

أولا– القارئ والموسُوعة :

إنّ الأدوات والمصطلحات الإجرائيّة المقترحة لدى الباحثيْن في دراسة النصّ سميائيا كشفت عن توافق بعضٍ منها، إذْ استعان الباحثان بمفهوميْ القارئ والموسوعة، وتظهر بشكل جليّ مواطن التّداخل بينهُما، حيث يؤوِّل القارئ النصّ الأدبيّ بالرّجوع إلى ما يملكه من معارف وخبرات ثقافيّة وتجارب يوظِّفها لبناء توقعات دلاليّة، وتلك المعارف هي حصيلة إفرازات المجتمع والممارسات الإنسانيّة المتراكمة المخزّنة في الذّاكرة، كما يُمكن تحديد تلك المعارف لتُساير المعيش اليومي لتكون أكثر تداولا، وهذه العناصر تعدُّ تداولية، لأنّها تسمح ببناء ما هو مُضمر بعيدا عن المعطى الدِّلالي الصّريح كونُها تُعنى باستعمالات مُتباينَة توفِّرها الموسوعة للقارئ.

فقد فصَل أمبرتو إيكو في معنى النصّ الّذي يتوقّعه القارئ النَّموذجي بالرُّكون إلى فضاء الموسوعة "باعتبارها قاموسا يضُمّ كلمات اللّغة لفهمها بطريقةٍ صحيحة، كما يوفِّر معلومات حول الأشياء الّتي تدلُّ عليها تلك الكلمات"[1]، وقد يتجاوز مفهوم الموسوعة القاموس لأنّها تشتمل على معارف جديدة، ومن جهة أخرى تعامل فرانسوا راستي مع مفهوم الموسوعة والقارئ، فقرَن الموسوعة بمستعملها (القارئ) لأنّ الإحالة على المعنى النصّي تستدعي توظيف القارئ لمعارفه وكفاءته الموسُوعية لصياغة سياق غير لساني، أو ما يُسميه فرانسوا راستي المحيط لتَمثُّل ذلك المعنى، ويُمثِّل القارئ لحظة تلقّي الرّسالة أو الخطاب ليدخُل في منافسة مع المرسِل ويُفسح المجال للاستعارات الّتي يُمكن أن تكون مُنحرفة"[2] ، فيعتمد على الموسوعة لكشف المعنى المتعلّق بتلك الاستعارات، وقد تأثّر فرانسوا راستي بطرح أمبرتو إيكو في تحديد مفهوم الموسوعة، فهي تمثِّل لديه الأعراف والممارسات الثّقافية لمجتمع ما الّتي تفترض إمكانية تعدّد نماذج الكفاءة التأويليّة للتكهُّن بدلالة النصّ، لكّنه يشترط تطابق المعارف والخبرات والرّصيد الثّقافي مع المعطيات النصّية (السّمات الملازمة والمجالية،

(1) jean dubois et autres , linguistique et sciences du langage, édition larouse, 2007, paris, P179.

(2) A.J Greimas, J .Courtés, Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p206.

السّمات التّوليدية والخُصوصية)، ممّا يجعل فعل القراءة أكثرَ إنتاجية كما يؤدّي إلى اتّساق النصّ، وهو يشدّد على أهمية إلمام القارئ بسيرة المؤلِّف والنصّ وجنسه والمجتمع ويتمّ ذلك على مستوى التّأويل الخارجي للنصّ، وهذا لا ينفي اهتمامه بدور اللّغة وما تقدّمه من معطيات تسمحُ للقارئ بممارسة التّأويل.

قد ميّز فرانسوا راستي في استخدام الموسوعة من طرف القارئ بين استراتيجيتيْن مُتباينتيْن هما السّرُّ والكذب، إذ يلجأ المؤلِّف إلى تضمين نصّه سيرتَه الذّاتية فمادام القارئ يجهل المؤلِّف فليس بإمكانه تأويل النصّ، في حين يوظِّف الكاتب معارف موسُوعيّة كاذبة تستدعي تنشيط ذاكرة القارئ أو مخزونه الموسوعي ليُحيل على معان متعدِّدة.

يتجلّى من خلال توسُّط القارئ بين النصّ والموسوعة من جهة، وبينه وبين معنى النصّ توافقا بين الباحثيْن فلا يؤوَّل ولا يتحيَّن معناهُ إلاّ بوجود مفهومي القارئ والموسوعة فلا يُقرأ النصّ في غياب القارئ الّذي يتوفّر على الموسوعة، ولا يُحيَّن إذا وُجد القارئ وأُهمِلت كفاءته وثقافته الموسُوعيّة.

ثانيا– العوالم المُمكنَة والتَّشاكُل :

إنّ المنهج المتّبع في التّعريف بجهود الباحثيْن أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي المقارِن استوجب البحث عن الرُؤى المتماثلة ومواطن الاختلاف المسجّلة في سيميائيتهما النّصيّة ، فرغم التّشابه بين مفهومي القارئ والموسوعة وتوظيفهما للمصطلحيْن، إلاّ أنّنا سجلنا اختلافا ينحصر في مفهوميْ العوالم الممكنة والتّشاكل لدى الباحثيْن، لكّن يبرز اتصال وثيق بين هذين المفهوميْن فهما يتأسَّسان على ركيزة أساسيّة في فعل التّأويل، تتمثّل في مفهوم القارئ بهدف تأويل النصّ والكشف عن دلالته الّذي يقودُنا إلى إيجاد هذا التّرابط وما يُحدثه القارئ كوسيط بين المفهوميْن للوصول إلى المعنى.

إنّ العالم الممكن الّذي استعاره أمبرتو إيكو من منطق الجِهات يُبنى عن طريق التّوقعات والفرضيات الّتي يصيغُها القارئ، إذ تعدُّ نظرية العوالم الممكنة منطقا حديثا اقترن بفلسفة اللّغة مع كل

من هيلري بيتنام (Hilary Putnam)، وسول كرايك (Saul Kripke) وتطوّرت مع المنطق الدّلالي من خلال طروحات روبرمارتين (Robert Martin) [1]، وقد اتضح لنا أنّ المصطلح ارتحل من فلسفة اللّغة إلى المنطق إلى الدِّلالة أيْ السّيميائيات النّصّية عند أمبرتو إيكو الّتي حاول فيها رؤية مدى تطابق هذا العالم الممكن مع العالم السّردي (التّخييلي والواقعي)، فالعالم الممكن يتشكّل من شخصيات لها خاصّياتها مع أنّها قابلة للتّغيُّر وفق سياقات مُعينة، وهذا العالم الممكن أو المفترض يدفع القارئ إلى بناء أفق توقُّع لمجابهة النصّ، حيث يمثِّل العالم الممكن"مجموعة من القضايا يمكن الوصول إليها في الحاضر أيْ؛ ما نعتقده مُمكنا (Monde Possible) ، أو بالرجوعّ إلى ماضي العالم غير الواقعي (Monde iréel) ، إذ تصلُح العوالم الممكنة لتصوُّرات مُختلفة، فيُمكن ملاحظة عالم مُمكن كمجموعة من الأحداث غير مشروطة وليست متناقضة، ويظهر العالم الفعّال كعالم مُمكن في هذه الحالة ضمن عوالم أخرى لا نهائية"[2]، فهو يجمع بين ماهو واقعي ومتخيَّل، ويصل بين الحاضر والماضي، إذ يشتمل على سلسلة من الأحداث المتعاقبة الّتي يقدِّمها القارئ لتأويل النصّ.

إنّ النصّ الأدبيّ يستمدُّ وجوده الحقيقي من تلك الفرضيات المضمرة الّتي يصُوغها القارئ للتّعبير عمّا في أعماق النصّ ليتمّ تأويله وفق تلك الرُّؤية، فالقارئ ينتقِي من الكون الدّلالي ما يساعده على بناء العالم الممكن ليضمّنها عالم الحكي، إذ تسمح مكونات وخصائص وكيانات العالم الممكن

(1) Franck Niveau, Dictionnaire des sciences du langage , Armand, colin, paris, 2011, P235.
(2) Idem, P235.

بتقديم ما هو خارق وتنأى عن المألوف لكّن يتقبّلها الفرد أو الجماعة، وإنّ ما نستقيه من العوالم الممكنة يكون بناء على مجموعة من التّصورات المسبقة وهو ما يُسميه أمبرتو إيكو "البنية الذّهنية"[1] ، حيث باستطاعتنا التعرّف على الإحالات المرجعية لهذا العالم الممكن، بالإضافة إلى تمثّل المرجعيات أو الذّاكرة الثّقافية للقارئ، لأنّ العالم الممكن ما هو إلاّ بناء ثقافيّ تبرز أهميته في المسار السّردي، إذ يواجِه القارئ ما تختزنه الثّقافة والتّقاليد والأعراف بوصفها حالات مُمكنة سواء أكانت إيجابية أو سلبية.

فإذا كنّا نسعى إلى كشف المعنى النّصّي وتأويله يجب إيجاد عالم مُمكن محتمَل لتجسيد عالم تخييلي يؤثثه القارئ "والممكن هو مجموع العوالم المتعاقبة من العالم الأول (ع) حيث لا تختلف عنه إلاّ من خلال جُملة أو مجموعة من الجُمل ثمّ البحث عنها، فكلّ رؤية مُمكنة لا تخرج عن الزّمن"[2]، ولذلك يُنشئ القارئ عالما مُمكنا باستعارته من الموسوعة بعض الكيانات والخصائص لمعرفة ما هو ممكن وواقع.

ثالثا– التّشاكل :

صاغّ أمبرتو إيكو مفهوم العالم الممكن حتّى يُحيِّن تلك التّوقعات والفرضيات لدى القارئ لتأويل النصّ الأدبيّ، كما أنّ فرانسوا راستي اتبع المسار نفسه في تأويل دلالة النصّ باعتماده على آلية نسقية تضمن قراءة موّحدة له، غير أنّ بناء هذه الآلية يستدعي حضور القارئ، وهي تتمثّل في التّشاكل (Isotopie).

(1)سعيد بنكراد، بين اللّفظ والصّورة؛ تعدّديّة الحقائق وفرجة الممكن، ص29.

(2) Franck Neveau, Dictionnaire des sciences du langage , p235.

يُعدّ التّشاكل لدى فرانسوا راستي متعدّدا فهو مُخالف للتّشاكل الأحادي الّذي يسمح بقراءة موحَّدة للنصّ والذي ورد عند جوليان غريماس، فمفهوم التّشاكل عند راستي واسع، فهو تكرار لوحدة لغوية كيفما كانت، لأنّه يتنوّع بين عناصر العلامة أيْ؛ يتشكّل على مستوى التّعبير والمضمون معا، وقد أطلق فرانسوا راستي التّشاكلات المتعّددة على مقطع لساني يتضمن تشاكلات كثيرة[1].

فقد يكون التّشاكل على مستوى التّعبير (صوتي، تركيبي، نبري، وإيقاعي)، وعلى مستوى المضمون ويسمّى المعنوي، ويُمكن أنْ يُبنى التّشاكل على مستوى الكلمة والجُملة والنصّ ككلّ "إذْ يندرج ضمن مُتتالية لغوية لبُعد أدنى أكبر من الجملة أو يساويها،كما يمكن أن يظهر على أيّ مستوى من مستويات النصّ ويمثِّل له على المستوى الصّوتي بتجانس الصَّوائت، الجناس الاستهلالي، القافية"[2] ، ليكشف ذلك عن الأهداف الّتي سعى فرانسوا راستي إلى تحقيقها في دلالته النّصيّة من خلال دلالة موحّدة تصل بين الكلمة والجملة والنصّ (التشاكل).

فالمعنى ليس جاهزا بل هو مسار يحدّده القارئ انطلاقا من النصّ بتعيين التّشاكلات وبالتّالي فإنّها تمنح أهمية للمعجم ولفعل التّأويل الّذي يقوم به القارئ، لأنّ فرانسوا راستي يبحث عن تشاكل الكلمات على مستوى المعجم، وقد يحتاج القارئ إلى بناء تشاكلات متعدّدة فرعية انطلاقا من تشاكل معيّن، ليتدخّل القارئ محاولا إيجاد تأويلات لتلك التّشاكلات المستنتَجة و إيجاد تعالقات بينها، حيث تتكوّن التّشاكلات من تكرار للسّيمات الّتي لها "وضعيات أساسيّة إمّا

(1) Idem, p206.

(2)يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، ص264.

التّحيين /الافتراض، مُلازمة/مجالية، توليديّة قربية، توليديّة متوسطة، توليديّة بعيدة/خُصوصيّة (...) تتحيّن السّيمات لتكوّن تشاكلا إمّا تشاكلا توليديّا متوسّطا أو توليديّا بعيدا أو خُصوصيّا".[1]

يؤدّي تنوّع هذه التّشاكلات إلى قراءة دلاليّة موحّدة للنصّ، ولم يكتف فرانسوا راستي بتلك التّشاكلات بل تحدّث عن التّشاكلات المتعدّدة والغامضة، لكّن قد تُصبح تلك السّيمات المتعدّدة أحاديّة الدّلالة من خلال علاقة التّشاكل، ويستدلّ فرانسوا راستي على دور التّشاكلات الغامضة من خلال دراسته لقصيدة ملارميه "التّحية"، إذ حاول الكشف عن المعاني المختلفة لكلمة التّحيّة "إنقاذ، التّفاؤل، الفداء"، ليُحيل على تلاعبات الشّاعر باللّغة، ويُبيّن انفتاح مفهوم التّشاكل لقراءة النصّ الأدبيّ.[2]

نُلفي ممّا تقدّم أنّ توجُّه فرانسوا راستي التّأويلي يتماثل مع توجّه أمبرتو إيكو في فتح دلالة النصّ على عناصر تداوليّة مثل القارئ والمتلقّي.

إنّ للتّشاكل دورا في التّجلّي الدّلالي للنصّ خاصة أنّه يتجاوز المعاني الظّاهرة إلى المعاني الموحيّة الّتي تكشف عن الجوانب الأنطولوجية والمعرفية والشّعورية للذّات، من خلال العالميْن التّخييلي والواقعي[3]، كما أنّه لا يختص بالمفردة وحدها بل يتعدّاه إلى التّركيب والنّصّ، بوصفه كونا دلاليا، وتجدر الإشارة إلى تركيز فرانسوا راستي على البُعد الاستبدالي في بناء التّشاكلات، ممّا يؤدّي إلى إنتاج معانٍ متعدّدة تجعل القارئ متردّدا في انتقاء واحدا منها، والاستعارة نموذج للتعدُّد الدّلالي، غير أنّ

(1) Louis Hébert, Dictionnaire Sémiotique générale ,p134.
(2) jean Dubois, Dictionnaire linguistique, louis guespin, p259.
(3) ينظر : محمد القاسمي، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، ص205.

التّرابط بين السّيمات في التّركيبيْن لهذا النّموذج يؤدّي إلى وجود سيم مشترك بينهما يسمح ببناء تشاكل يضمن قراءة دلاليّة موحّدة.

إنّ التّشاكل عند فرانسوا راستي يتوزّع على النصّ ككلّ، حيث يتجلّى المعنى على المستوى التّركيبي والاستبدالي، فهو يتكوّن من مجموعة السّيمات التّوليديّة والخُصوصيّة باعتبار السّيم أصغر وحدة دلاليّة تشكّله، وتلك السّيمات مُرتبطة بالحُقول الدّلالية الّتي يتكرّر فيها لإنشاء التّشاكلات ، إذ يتعيّن على القارئ تحديد الأقسام الدّلالية الدّنيا النّاتجة عن تكرار السّيمات التّوليديّة القريبة أو المتوسطة أو البعيدة لإبراز طبيعة التّشاكلات النّاتجة عنها.

يؤدّي تكرار السّيمات التّوليدية والخُصوصية إلى تعدّد معاني النصّ على المستوى الاستبدالي والمستوى التّركيبي (تكرار المعاني) لتحديد التّشاكلات التّوليدية والخصوصية ليتدخّل القارئ لانتقاء السّيمات البانية للتّشاكلات المختلفة، ويُسهم القارئ في بناء التّشاكل الدّلالي حتّى يُحيل على المعنى.

يمكن للتّشاكل أنْ يضيف سيمات مُتباينة في السّيميائيات النصية[1] بين سيمات مُلازمة وأخرى مجالية لها دور بالغ الأهمية في تحديد المحتوى الدّلالي، فإنّ القارئ يتعرّف على السّيمات الملازمة للكسيمات انطلاقا من كفاءته اللّغوية وممارساته الاجتماعية المخزّنة الكامنة في الذّاكرة ، فيعمد إلى استحضارها للوصول إلى المعنى، فلا يقتصر دوره على تحديد السّيمات الملازمة وسياقاتها بل يشتمل على إبراز السّيمات المجالية وتحيينها في إطار السّياق غير اللّساني (المحيط، التّناص)، حيث

(1) ينظر: louis hebert, Dictionnaire des sémiotique général , p134 .

تسمح تلك السّيمات المجالية بكشف الغموض الوارد في بعض النّصوص الأدبيّة لتصبح متعدّدة المعاني، فهي ترتبط باستعمالات المجتمع وبالذّاكرة الثّقافيّة والسّنن.

يستطيع القارئ عن طريق التّشاكل الدّلالي إيجاد تشاكلات أفقية ناتجة عن تكرار السّيم في التّركيب مُرتبطا بلكسيمات مختلفة لها صلة بالمعنى، أمّا التّشاكلات العموديّة فإنّها تفتح النصّ على معانٍ متعدّدة (الاستعارة).

نخلص إلى القول أنّ فرانسوا راستي بعد توسيعه لمفهوم التّشاكل ميّز بين نمطين من التّشاكلات على مستوى المضمون (الدّلالي) متمثّلة في التّشاكلات الأفقيّة والعموديّة، والّتي أوردها في قراءته لقصيدة ملارميه[1]، حيث أبان عن المفهوميْن، وهذه التّشاكلات الدّلالية تحدّد المعنى على مستوى المضمون.

لم يؤكّد فرانسوا راستي على التّشاكلات الدّلالية بل أعطى التّشاكل النّحوي أهميّة في تشكيل معنى النصّ، فلا يُمكن إنكاره باعتباره جزءا من التّشاكلات على مستوى التّعبير لأنّه يساعد على تأويل النصّ و التّعرف على معناه.

إذا تمكّن القارئ من تحديد التّشاكلات الدّلالية على مستوى المضمون والتّشاكلات الصّوتية والنّحويّة والنّبرية والإيقاعيّة على مستوى التّعبير فإنّه يؤوّل النصّ، وتحقّق تلك التّشاكلات اتساق وانسجام النصّ، فهما عاملان يدفعان بالقارئ إلى تأويل النصّ.

(1) Patrick charaudeau, Dominique maingueneau , Dictionnaire de danalyse du discours, p 333.

بالإضافة إلى أنّ مفهوم التّشاكل "هو مفهوم أساسي في دلالة النصّ، ويؤدّي دورا حاسما في إحداث الاتساق"[1]، لأنّ هناك علاقات تجمع بين البُنى اللّسانية، فهي مرتبطة فيما بينها واللاّحق له علاقة بما هو سابق إذ تحقّق وحدة دلاليّة، على عكس الانسجام النّصّي الّذي يحيل على وجود علاقات بين تلك البُنى اللّسانية والمحيط، ويتعلّق بالسّنن الثّقافيّة والاجتماعيّة، وهو الآخر ينتُج من خلال التّشاكل على المستوى الوظيفيّ[2].

أورد بعض الباحثين السّيميائيين ارتباط ظاهرة الاتّساق بالانسجام (أمثال جاك فونتاني) لأنّه في ظل غياب علامات تدلّ على الاتّساق على مستوى النصّ فإنّ هذا الطّرح يسرّع في ظهور اللانسجام النّصّي وقد يُعيق ذلك القارئ ويصدّه عن معرفة المعنى النصّي.

إنّ الاتّساق النّصّي "يضمن ظهور النصّ في شكل موحّد قد تمّ هيكلته انطلاقا من مجموعة وسائل تُوضع لوصل الجُمل داخليا وخارجيّا، أمّا الانسجام يدلّ على أولويات تداوليّة الّتي تضمن في المقطع النصّي أو الخطابي تأويله"[3].

ومهما تعمقنا في إبراز أهميّة التّشاكلات على مستوى التّعبير والمضمون، ومالها من دور في تحقيق الاتّساق والانسجام بوصفهما مقوّمين نصيّين فإنّ ذلك يؤكّد تبايُن وجهة نظر فرانسوا راستي باتخاذه آلية للإبانة عن المعنى وتأويل النصّ وضمان قراءة موحّدة له.

(1) ينظر : يوسف وغليسي، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، ص264.
(2) ينظر: Franck Neveu, Lexique les notions linguistiques, paris, 2009, p82.
(3) Franck Neveu , Dictionnaire des sciences du langage , p85.

لذلك يستند الانسجام على الاتّساق لكّنه يتجاوز العلاقات اللّغوية الخطيّة إلى مجموعة الخصائص الّتي تجعل الخطاب (أو النصّ) ملائما ومنظوراّ إليه باعتباره وحدة، ومؤديّا إلى عمل تواصليّ ناجح"[1] وبفضل السّياق اللّساني- رغم تباين واختلاف العوالم الممكنة والتّشاكل مفهوما ومصطلحا- نلمس تعالقا وثيقا بين القارئ وبين هذين المفهوميْن، فلا يُمكن افتراض عالم ممكن أو بناء تشاكل بوصفه آلية نسقية تحدّد المعنى على المستوى التّركيبي والاستبدالي في غياب القارئ المتلقّي للنصّ، كما يبقى مجهول الدّلالة والمقصديّة وذلك في غياب معطيات نصيّة يحيّنها القارئ (التّشاكلات، الاتّساق، الانسجام).

يسمح مفهوم العالم الممكن ومفهوم التّشاكل موازاة لعمل القارئ التّأويلي بفتح دلالة النصّ والانتقال من المعنى التّداولي الخاضع لاستعمالات اللّغة والمحيط والمجتمع، لأنّ تحيين عالم ممكن من العوالم المفترضة أو انتقاء تشاكل من التّشاكلات يتعلّق بسياق ما يحدِّده القارئ (اللّساني و المحيط معا) وفق خبراته ورصيده الثّقافي وبيئته الاجتماعيّة.

المبحث الثّالث : الموسوعة – المدار والسّياق :

1.الموسوعة :

من بين المفاهيم الّتي استعان بها الباحثان أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي مفهوم الموسوعة، وقد أشار إليه فرانسوا راستي في حديثه عن التّأويل الخارجي لأنّه يتأسّس عليها، وهذا لا يعني أنّ التّأويل الدّاخلي مستقلّ بمعرفة التّعليمات الدّاخلية، أمّا أمبرتو إيكو فقد وظّف هذا المفهوم في تأويل

(1)محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديات، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2010، ص41.

النّصوص سيميائيا، وألحّ على دورها في إيجاد معنى النصّ فالقارئ يستعين بالمعارف الموسوعيّة المكتسبة والمستحدثة.

تعدُّ الموسوعة محدّدا من محدِّدات السّيميائيات النّصيّة فهي المخزون الثّقافي والتّراكمات المعرفيّة الّتي خلّفها المجتمع، لذا ركّز أمبرتو إيكو على ما توفّره الموسوعة للقارئ النّموذجي لتحيين معنى النصّ، ونستنتج من خلال ما سبق أنّهما وظّفا المصطلح نفسه ، وألحّا على أهميته في التّأويل.

وفي المقابل ربط فرانسوا راستي مفهوم الموسوعة بالتّأويل الخارجي المتعلّق بالسّياق غير اللّساني (المحيط)، فهي تحدّد طبيعة السّياق المصاحب للنّصّ سواء كان اجتماعيّا أو ثقافيّا، لأنّ فرانسوا راستي لا يتّخذ من النّصّ كيانا لسانيا خالصا، فهو يجمع بين النَّسق اللِّساني والسّيميائيّ حتَّى يتمكَّن القارئ من تأويله وإيجاد معناه، لكّن قد نميِّزُ اختلافا طفيفا بين الباحثَين في طرحهما لفكرة القاموس الّذي قد يلجأ إليه القارئ دون الحاجة لاستخدام الموسوعة، فأمبرتو إيكو يؤيِّد هذا الطّرح في حالة وضوح المعاني.

وقد تكون دلالة الألفاظ والعبارات مألوفة ومُتداولة فيكتفي القارئ بالمعنى القاموسي وفي الوقت ذاته يفرِّق بين الموسوعة والمعجم، لكِّن فرانسوا راستي يعدُّ كلّ المعارف والكلمات المنتمية إلى المعجم فهي تنتمي إلى الموسوعة، وعليه الموسوعة أشمل من المعجم وتحتويه بشرط أن تحقّق هذه المعارف المعنى النصّي.

إنّ الموسوعة في نظر الباحثيْن تعدّ ميكانيزما أساسيا في القراءة الإنتاجيّة تجعل النصّ مفتوحا على التّأويل، وتحيين المعارف الموسوعة يتعلّق بالسّياق إذْ يستحضرها القارئ باعتبارها كفاءة تساعد على استخلاص مقصدية النصّ بتحيين مضمونها عن طريق عملية انتقاءها يناسب السّياق النصّي.

إنّ مصدر المعارف الموسوعة متطابق عند الباحثيْن، فهي حصيلة الذّاكرة الجماعية داخل المجتمع، وما تخلّفه الثّقافة، لكّن فرانسوا راستي إلى جانب هذه المعارف، أضاف معرفة القارئ بالمؤلف وعمله الأدبيّ (النصّ) وجنسه والمجتمع، وكذلك التّناص.

كما أنّ انفتاح التّأويل الخارجي على الموسوعة جعل قراءة النصّ منتجة، ويقود ذلك إلى ارتباط مفهوم الموسوعة المفعّل للتَّأويل الخارجي عند فرانسوا راستي بمفهوم الموسوعة كما صاغه أمبرتو إيكو.

نخلص إلى القول أنّ أمبرتو إيكو و فرانسوا راستي يُوردان مفهوم الموسوعة ضمن آليات ومفاهيم التّأويل النصّي، ويتبيَّن من خلال استعمال هذا المصطلح ومفهومه عند الباحثيْن أنّهما متوافقان نسبيا، لأنّ مفهوم الموسوعة يتعالق مع تصوّر أمبروتو إيكو في التّعاضد التّأويلي القائم بين النصّ والقارئ النّموذجي، ويشتغل التّأويل الخارجي عند فرانسوا راستي في وجود الموسوعة والتّناص.

يؤكّد الباحثان أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي أنّ الموسوعة تُتيح معانيَ متعدّدة للنّصّ ، لكّن ينتقي القارئ ما يتلائم مع دلالة النصّ، وينبغي الإشارة إلى أهمية الموسوعة كآلية من آليات التّأويل لدى أمبرتوإيكو، وكان يهدف إلى تحديد مقصديّة النصّ، وهذا ما تغاضى عنه فرانسوا راستي، وحاول تأويل النصّ باختراق النّسق الدّاخلي إلى دراسة ما هو خارج النصّ.

وأختزل في هذه الخطاطة الآليات التي اعتمدها الباحثان في تأويل النص دلاليا وسيميائيا ، وكما هو موضّح فإنّ الموسوعة آلية مشتركة بين النموذجين.

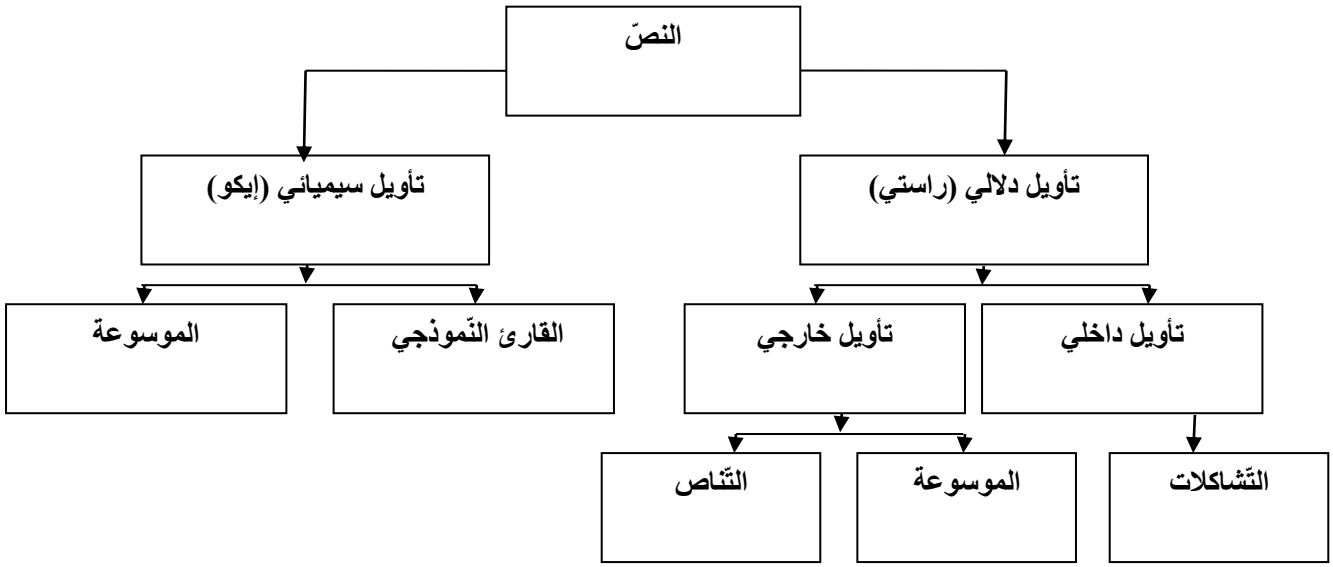

تفعيل الموسوعة بين التّأويل الدّلالي والتّأويل السّيميائي

2. المدار والسّياق:

اقتضت المقارنة بين جهود الباحثين أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي في دراستهما السّيميائية للنصوص الأدبيّة الجمع مصطلحي المدار والسّياق.

يشكل السّياق ميكانيزما ضروريا في السّيميائيات النّصية حيث تتطلّب عملية التّأويل معرفة السّياق الّذي ورد فيه النصّ، وتحيين المعارف الموسوعية غير المحدودة يتمُّ عن طريق انتقاء سياق ممكن يتماشى مع النّصّ.

فقد وظّف فرانسوا راستي هذا المفهوم في أبحاثه السّيميائية من خلال تحليلاته النّصية، ولا يقتصر السّياق على العلاقات القائمة بين الملفوظات داخل النصّ الأدبي، حيث تجاوز السّياق

اللّساني إلى السّياق غير اللّساني أو الخارجي، وهنا تتجلّى سمة الذّاتية وفي المقابل يتبادر إلى الذّهن تساؤل عن مدى اشتغال أمبرتو إيكو على هذا المفهوم أو ما يُقاربه في إطار السّيميائيات النّصيّة ، وإنْ كنّا أشرنا إلى دور السّياق في حديثه عن تحيين المعارف الموسوعيّة، وذلك يُحيل بطريقة ضمنيّة على أهميّة هذا المفهوم في تحديد مقصدية النصّ ومعناه.

ويمكن القول أنّ أمبرتو إيكو لم يطرح هذا المفهوم بمصطلح السّياق الوارد لدى فرنسوا راستي بل تحدّث عنه بمصطلح مُغاير، فالنّص لا معنى له في انعدام السّياق، لذلك أشار أمبرتو إيكو إلى ما يُعرف بالمدار أو الافتراض التّأويلي (Topique) ، وهو فرضيّة يقترحها القارئ تعمل على اختزال مجموعة الاحتمالات الّتي تقدِّمها الموسوعة، وبصيغة أخرى المدار هو تعيين لسياق مُفترض يتمُّ من خلاله تحديد دلالة النصّ ومقصديته دون إقصاء لفرضيات أخرى مع إمكانية تفعيلها، وذلك يؤكّد أنّ "المركز ليس في النّصّ كما اعتقدت البنيوية فهذا كيان أخرس، إنّه فعل القراءة"[1] ، فالنّصّ لا يمنح دلالة بل السّياق هو الّذي يسمح بتفعيل فعل القراءة وتنشيطه.

وهذا يجعل النصّ مقيَّدا بالسِّياقات الّتي تُحرّكه ويُخوّل لها إنتاج الدّلالات على مستوى الوحدات النّصيّة، لكّنها تفترضُ وعي القارئ في إطار ما يقدّمه النصّ، "لأنَّ السّياق يدلُّ ويبلِّغُ ، إنّه يقتضي ذاتا تنخرط في قول تنتقل من خلاله اللّغة من الممكن إلى حالات التّحقُّق، إنَّها مُخلّفات الذَّات في ملفوظها".[2]

(1) النصّ صناعة للمعنى سعيد بنكراد، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 11 أغسطس 2018 .Mominoun.com,article

(2) المرجع نفسه.

إنّ التّجربة النصيّة مفتوحة لكّن النصّ الأدبيّ يحتاج إلى تعيين دلالته عن طريق السِّياق سواء الدّاخلي أو الخارجي (اللّساني وغير اللّساني).

اهتمّ كِلا الباحثيْن بالسّياق في مجال السّيميائيات النّصيّة فنفترض في البداية وجود تقارب في هذا المفهوم، وإنْ كان المصطلح مختلفا وليس موحّدا بينهما (السّياق، المدار أو الافتراض التّأويلي)، وينبغي الإشارة إلى أنّ فرانسوا راستي لم يهتم بالسّياق اللّساني والدّاخلي للنصّ فحسب، بل عُنِي بالسِّياق غير اللّساني والخارجي وقد أطلق عليه مصطلح المحيط أيضا، فالسّياق غير اللِّساني يتطابق إلى حدّ ما مع مفهوم المدار عند أمبرتو إيكو وهما أداتان تداوليتان في حين يعدّ أمبرتو إيكو التّشاكل (Isotopie) عند غريماس ظاهرة دلاليّة محضة.

إنّ الفرضية التي يقدّمها القارئ حول النصّ هي وليدة المعطيات أو الخصائص اللّسانية ، المتضمّنة فيه، والمعارف الموسوعية، وقد أدرجه أمبرتو إيكو في باب الاستدلال (Abduction، وهو تخمين يقدّمه القارئ ؛أيْ السّيرورة الافتراضيّة، كما يعدّ أداة تداوليّة تختلف تماما عن آلية التّشاكل عند ألجيرداس غريماس بوصفه ظاهرة دلالية تحقّق انسجام النّصّ.

ويتطلّب بناء سياق للنصّ لأنّ "السّياق هو أحد العوامل الأساسيّة لأيِّ فعل (قولي) تواصليّ ، وهو ما تلمّح إليه الرّسالة"[1]، حيث يسمح السّياق بتحديد معنى النصّ، لذلك ألفينا أنّ مفهوم السّياق يتّسع عند فرانسوا راستي عن المفهوم الّذي طرحه أمبرتو إيكو، فقد أثرى طوبولوجيا المفهوم وقسَّمه إلى سياق لساني وسياق غير لساني، إذْ يرتبط السّياق اللّساني بالنصّ ونسقه

(1) جيرالد برنس، المصطلح السّردي، معجم المصطلحات، ت عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط1، 2003، ص53.

، وبالتّشاكلات ومجموعة السّيميمات، لكّن أمبرتو إيكو تجاوز مفهوم السّياق اللّساني الدّاخلي، وإنْ أقرَّ بوجوده عندما أشار إلى أهمية المدار وقرنه بمفهوم التّشاكل عن ألجيرداس غريماس، والمعنى عند أمبرتو إيكو لا يتحدّد داخل النّصّ ولا خارجه.

إنّ السّياق اللّساني عند فرانسوا راستي يتمثّل في العلاقات الّتي تجمع بين السّيميمات داخل النّصّ وتؤثّر فيه، حيث تكسب تلك العلاقات الّتي تجمع بين السّيميمات معنى ودلالة للنصّ.

انطلاقا من التّصوّر لمفهوم السّياق حددّ نوعين للسّياق اللّساني قد يؤثران على مجموع السّيميمات وهما؛ السّياق النشيط (Contexte actif) والسّياق السّلبي (Contexte Passif)، والفرق بينهما أنّ مجموع السّيميمات في السّياق النّشيط في علاقاتها تؤثّر على السّياق ليتحدّد المعنى، أمّا السّياق السّلبي فإنّه يؤثر على مجموع السّيميمات، لأنّ انتظامها واجتماعها يؤدي إلى حدوث تأثير مُتبادل وذلك ينتج معنى نظرا لوجود السّياق.

قد شدّد فرانسوا راستي على أهمية السّياق اللّساني في تحديد الدّلالة النّصيّة، واتّخذ منه آلية لمواجهة إشكالية الغُموض والالتباس الدّلالي، ولإثراء هذا المفهوم أضاف سياقين إلى جانب السياقين السّابقين إلاّ أنهما خاملين هُما "السّياق غير النّشيط (le contexte nom actif) الذي ليس له تأثير على الوحدة، والسّيّاق غير السّلبي (le contexte no passif) وهو الذي لا يؤثّر على وحدته" [1]، وعليه فإنّ السّياقين لا يؤثّران في ولا يُغيّران منه ممّا جعل فرانسوا راستي يعدّ السّياق هو

(1) louis hébert, Dictionnaire de sémiotique général , p93.

كلّ النّصّ وليس الكلّ في النصّ، واشتغاله بالسّياق جعله يهتمّ بالنّصوص الرقميّة ومجال الذّكاء الاصطناعي ليُبيّن دوره في الكشف عن الدّلالة.

فإذا كان المدار فرضيّة أوسياقا يبنيه القارئ لإيجاد المعنى، فإنّ السّياق اللّساني عند فرانسوا راستي هو مجموع العلاقات الّتي تربط بين السّيميمات على مستوى التّشاكلات، لكّن هذا قد يقتصر على نسق النصّ، أيْ البنية الدّاخلية، ويُمكن القول أنّ فرانسوا راستي لم يُعارض أستاذه ألجيرداس غريماس حول مفهوم السّياق بطرحه لمفهوم مُعادل له وهو السّيمات السّياقيّة (الكلاسيمات) الّتي لها دور في ضمّ اللّيكسيمات ودراستها، لأنّ معرفة معناها منوط بما يُحيط بها.

يؤكّد فرانسوا راستي على أهمية السّياق اللّساني (الدّاخلي) لأنّه مسؤول عن الكيفية الّتي يتكوّن بها المعنى و طريقة تشكّله ممّا يؤدّي إلى التّفاعل بين السّيميمات، وعليه يتحدّد المعنى، لذا شكّك فرانسوا راستي في مبدأ السّيميوزيس الّذي يوّلد معاني متعدّدة، لكّن تحيين السّياق اللّساني أو غير اللّساني يسمح بإنتاج المعنى والحدّ من انفلات المعاني والإخلال بها، لذلك يؤدّي السّياق اللّساني النصّ إلى التحكّم في المعنى وضبطه.

نستنتج أنّ السّياق اللّساني للنصّ هو المجال الّذي تتحدّد وفقه السّيمات المجالية لأنّها تكتسب المعنى داخله في نطاق التّشاكل، كما وضّح فرانسوا راستي فقد يلتبس مفهوم السّياق اللّساني عند الباحثين، لأنّ الصّعوبة تكمن في التّمييز بين ما هو من قبيل النصّ، وما هو خارجه "فهناك دارسون لا يقْصُرون مفهوم النصّ على الوحدات اللّغوية، بل يُدرجون فيه العناصر الّتي هي من قبيل الحركة الّتي تُصاحبها (الحركات، إيماءات الوجه...)، بل كذلك أفعال المتفاعلين أثناء تبادل الكلام،

لكّن في الواقع يخصّص مفهوم السّياق الدّاخلي الدّلالة على المحيط اللّغوي الصّرف"[1]، نجد أنّ مفهوم السّياق الدّاخلي المحدّد اللّغوي الصّرف يتوافق مع المفهوم الذي أقرّه فرانسوا راستي فلا يُقحم ما هو خارج اللّغة.

هكذا تتحدّد السّيميائية النصّيّة عند فرانسوا راستي، وعلاوة على السّياق اللّساني ذكر السّياق غير اللّساني على عكس ما قدّمه ألجيرداس جوليان غريماس الّذي عُني بنسق النصّ وداخله وما يحمله من التّشاكلات، فالمعنى عنده يقوم على حقائق موضوعيّة محتواة فيه، لذلك النصّ مكتف بذاته.

أمّا فرانسوا راستي جعل تأويل النصّ قائما على سياق غير لساني لوجود معطيات خارج النصّ لها القدرة على تحديد المعنى، فالنصّ على نسق لساني وآخر سيميائي، إذ تشكّل الأنساق السّيميائية فضاء السّياق غير اللّساني(المحيط) المتمثّلة في العناصر المصاحبة للنصّ كالإيماءات، الإشارات ، الصّور، الشّروح، والمضامين الاجتماعية ثمّ المعارف الموسوعيّة لدى القارئ والمرسِل معا.

ونظرا لانعدام تحديد واضح لمفهوم السّياق، "فغالبا ما نُلفي علماء اللّسان يستعملون مصطلح السّياق للدّلالة به على مجموع الظروف الّتي تصاحب ظهور الملفوظ، و بهذا المعنى لا يغدو السياق مكوّنا من علامات فحسب، لكنّه يشتمل مُختلف العناصر الّتي تُسهم في الفعل التّلفظي (المحيط

(1)دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، الجزائر العاصمة، ط1، 2008، ص35.

الفيزيائي، الظروف التّاريخيّة والاجتماعية، معارف ونفسيات المشاركين في عملية التّخاطب...)" [1]، وتلك العناصر حدّدها أيضا فرانسوا راستي في مفهوم للسّياق غير اللّساني.

وهنا نجد صلة بين هذا المفهوم وبين مفهوم المدار عند أمبرتو إيكو، إذ يقوم القارئ النّموذجي ببناء سياق يتلاءم مع النصّ لمعرفة المعنى في حدودها تسمح به الموسوعة، فهي توجّه المدار والافتراض التّأويلي والأمر نفسه يخصّ فرانسوا راستي جاعلا من السّياق غير اللّساني محرّكا ديناميكيّا للمعنى.

وتعدّ الموسوعة مخزونا يفعِّل السّياق غير اللّساني لدى فرانسوا راستي إلى جانب المضامين الاجتماعية للمُؤلِّف والمجتمع معًا.

يدلّ ذلك على أنّ أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي بطرحهما لهذين المفهومين يتجاوزان البعد الدّلالي للنصّ إلى البُعد التّداوُلي.

ولذلك يؤكّد أمبرتو إيكو في السّياق نفسه على أهميّة الموسُوعة في انتقاء السِّياق المناسب لأنّ تأويل النصّ"يستلزم من القارئ الرجوع بهذا النصّ إلى مرجعيته الثّقافيّة الّتي انطلق منها وتلك هي ماهية الكفاءة الموسوعيّة الّتي اشترطها أمبرتو إيكو في الممارسة الهيرمينوطيقية"[2] وهذا بعكس دور المرجعيات الثّقافيّة والفكرية والاجتماعية والتّاريخية في التّأويل النصّ.

(1) ماري نوال غاري بريو، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ت عبد القادر فهيم شيباني، منشورات الاختلاف الجزائر، الجزائر العاصمة، ط1، 2016، ص42-43.

(2) سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التأويل المضاعف، ص149.

ومادام الباحثان قد توصّلا إلى تأثير السّياق غير اللّساني والمدار على نسيج النصّ فإنّهما يؤدّيان إلى الكشف عن المعنى، فنستنتج أنّ فرانسوا راستي قد وسّع من ذاكرة النصّ باعتماده على حقائق موضوعية (السّياق اللّساني) وأخرى ذاتية (السّياق غير اللّساني والمحيط)، كما بيَّن فرانسوا راستي "أنّ وحدات السّياق الخارجي (مايُسمّيه المحيط) إمّا أنْ تكون وحدات سيميائيّة (إنتاجيّة، أدوات، أنساق سيميائيّة)، وإمّا أنْ تكون عُروض (مضامين الوعي، الصّورة الذّهنية)، بالإضافة إلى الوحدات الفيزيائية (المظهر الفيزيائي)"[1] وتسمح هذه العناصر بتحديد دلالة النصّ وبتحيين السّيمات الملازمة إلى جانب السّياق اللّساني.

يتّضح من خلال رؤيتي الباحثين أنّهما متوافقان في أداة تجسيد دلالة النصّ وتأويله (السّياق، المدار).

أمّا من حيث المصطلح فإنّنا نجد تضاربا، إذ عبّر فراسوا راستي عن المفهوم بمصطلح السّياق وقسّمه إلى نمطين مُتمايزين؛ سياق لساني، سياق غير لساني الّذي أُطلق عليه مصطلح المحيط وفيه تُحيَّن السّيمات الملازمة، في حين يتفرّع السّياق اللّساني إلى أربعة فروع أخرى تتمثل في السّياق النّشيط والسّياق السّلبي،ثم السياق غير النشيط والسياق غير السّلبي، ليتجلّى لنا الاختلاف بينه وبين أمبرتو إيكو الّذي وَسَم المفهوم بالمدار والافتراض التّأويلي.

إنّ تقارب المفهومين(المدار والسّياق)عند الباحثين يقتضي اقتراح فرضية قد تُقلّل الفوضى المصطلحية تتمثّل في وضع مُقابل لمصطلح المدار والافتراض التّأويلي وهو السّياق

(1) louis hébert, Dictionnaire de sémiotique général , p93.

أو المحيط، مادام أنّهما يؤوّلان النصّ في إطار الخلفية الثّقافيّة أو ما يُعرف بالموسوعة لدى القارئ، بالإضافة إلى تأثير العصر في تحديد المعنى، لأنّه يؤدّي إلى تغيير طبيعة التّلقي، فكلّ من التّأويل السّيميائي والتّأويل الدّلالي يقومان على السّياق والافتراض التّأويلي (المدار).

4.المقصديّة والتّخمين :

ألفى أمبرتو إيكو أنَّ النصّ الأدبي ينفتح على تأويلات متعدِّدة ، لكّن يختصُّ بمقصديته حتىَّ لا يكون عُرضة للتَّأويل اللاّنهائي إلَّا أنّ فرانسوا راستي لم تشغله مقصديّة النصّ خلاف بعض التّأويليين الّذين ميّزوا بين المعنى الأحادي والمعنى الدّينامي التّأويلي، فقد جعل للتّأويل بُعدا آخر عن طريق السّياق والتّناص.

إنّ مقصدية النصّ يعينها القارئ، فالمؤلّف يبثّها في النسق اللساني للنصّ لكنّه لا يصرّح بها ، لذلك اقترح أمبرتو إيكو مفهوم القارئ النّموذجي المتلقّي للنصّ للوصول إلى مقصديته ،كما يستدعي تنشيط المخزون الثّقافي أو الكفاية الموسوعيّة حتَّى يتمّ إدراكها، لذلك فإن هذا المفهوم عرف تطورا فقد انتقلت من المؤلف إلى المتلقي، ومن هنا تجاوزت نظرية القراءة المعاصرة مفهوم المقصديّة القديم حيث عالج بعضهم مقصدية النصّ لا المبدع، وبعضهم عُني بدور القارئ في تحديد دلالته.

وهناك من جعل المقصديّة نتيجة تفاعل بين المخزون الثَّقافي للقارئ وما يُتيحه النصُّ من إمكانيات[1]، فهو لا يقدِّم معنى جاهزا أصليا وهذا ما أحال عليه أمبرتو إيكو حيث ربط مقصدية

(1) ينظر: فيصل الأحمر، دائرة معارف حداثيّة ، دار الأوطان ، الجزائر، ط1، 2009،ص193.

النصّ باستراتيجيتين هما المبدع المؤلِّف للنصِّ والقارئ النّموذجي، وهو ما أكدّ عليه حتّى وإنْ كان المؤلِّف على قيد الحياة وصرَّح بمقصديته ، فهو يُراهن عليها انطلاقا من التّخمينات الّتي يقدِّمها القارئ.

أمّا فرانسوا راستي لا يُراعي مفهوم المقصديّة ، لأنَّ القصد مجرد تخمين واحتمال وفرضية يقدِّمها القارئ النّموذجي قد يؤثّر على الدِّلالة النصيّة ، عكس التّأويلي الدِّلالي القائم على نظامين هما التّأويل الدّاخلي والخارجي، إذْ تُسهم التّشاكلات على مستوى التّعبير والمحتوى والسِّياق (المحيط) والتّناص في تحديد المعنى النصّي، فالنصُّ يتحدّد معناه من خلال مكوّناته ومعطياته الدِّلالية وليس متعلِّقا بالقارئ وتخميناته وما يصوغُه من تأويلات.

خاتمة

خاتمة

خاتمة:

إنّ الإشكالية الّتي بُني عليها البحث اقتضت الاهتمام بالسّيميائيات النصيّة بوصفها سيرورة المعنى، لتنطلق من النصّ بوصفه كونا لغويا مشحونا بالدّلالات والإيحاءات ونظرا لتشابه الموضوع واختلاف المنطلقات، فإنّنا حاولنا الجمع بين باحثين سيميائين غربيين هما فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو ، ومن اللاّفت للانتباه أنّ أمبرتو إيكو أسبقُ تاريخيا من فرانسوا راستي في معالجة النصّ سيميائيا وإثارته لمفاهيم ومصطلحات أثْرَتْ النظريّة السّيميائية حتّى أنّها غيرّت بعض المقاربات الّتي كانت مرجعيات عالميّة لكّن تمّ التّراجع عنها .

حاولنا في هذا البحث التّركيز على ماهو جديد في سيميائيات النصّ لدى الباحثيْن فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو، وما توصّلا إليه من خلال جعل النصّ موضوعا للدّراسة، فقد حاولنا التّركيز على المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالسيميائية النصيّة الّتي طرحاها لبلوغ البُعد التّداولي، ومن خلال هذه الدّراسة المقارنة توصّلنا إلى تسجيل النّتائج التّالية:

- انطلق فرانسوا راستي في دراسته السّيميائية للنصّ من مفهوم جديد للنصّ، فلم يعد مجرّد نسيج لغويّ، بل هو ممارسة أنتجَها المجتمع وفق سياق معيَّن لإنتاج دلالة محدَّدة يتدخّل القارئ لتحديدها، أمّا أمبرتو إيكو فقد عدّه نسيجا من الفضاءات البيضاء يقوم القارئ بملئها .
- ركّز فرانسوا راستي على تأويل دلالة النّصوص نظرا لاهتماماته اللّسانية، فهو يرى أنّ اللسانيات لم تستجب لمظاهر النصّ وقد أغفلت دلالته، لذا عمد إلى الجمع بين النّظريات اللّسانية

والسّيميائيات وانطلق في دراسته لدّلالة النصّ من أبسط وأصغر مكوّناته من كلمات وجمل تشكّل فضاءه .

- ميّز فرانسوا راستي بين مفهوم الدِّلالة والمعنى ، إذ جعل للكلمة والنصّ دلالة والمعنى للجملة، وقد أورد أهمّ طروحاته في مدونته " الدّلالة التّأويلية "، وقد سجّل أنّ المحاولات السّابقة الّتي تتبع المعنى المقصود في النصّ –الدّلالة البنوية لغريماس– تظلّ قاصرة، غير كافية .
- يهدف فرانسوا راستي في دراسته السيميائية إلى فتح النص على دلالات مفتوحة متجاوزا غلواء النص في السيميائيات السردية لدى غريماس، ويلتقي في ذلك مع أمبرتو إيكوالذي جعل النص مفتوحا على التأويل وفق جملة من القوانين بعيدا عن التأويل اللامتناهي.
- اشتغل فرانسوا راستي على دلالة الكلمة ثم الجملة ثم النصّ، وفي دراسته لدلالة النصّ لم يقتصر على دراسة بنيته العميقة والمسار التّوليدي للوصول إلى المعنى مثلما اقترح جوليان غريماس بل أخضعه للسّياق (المحيط) ممّا يجعل المعنى متجدّدا، أما أمبرتو إيكو فانطلق في تأويله السيميائي من النص الذي يخضع لسيرورة دلالية يحددها القارئ النموذجي.
- إنّ دراسة معنى النصّ أو ما يُعرف بالتّلقي التّأويلي مُرتبط بمكونات النصّ مثل التّشاكل وما يحقِّقه من اتساق وانسجام على مستواه ، وعلى مستوى خارج النصّ كالسّياق والتّناص، وقد ألفينا أنّ التشاكل لدى أمبرتو إيكو من بين قواعد التأويل المحدود.
- قدّم فرانسوا راستي من خلال سيميائيته النصّية وبحثه في الدّلالة التّأويليّة مفاهيم من بينها: التّشاكل الّذي يخالف مفهوم جوليان غريماس، وأقحم المكوّنات التّداولية للنصّ مُقابل غياب البلاغة(الغربية) التي تجاوزتها لسانيات النصّ .

خاتمة

- استفاد كل من أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي من الهرمينوطيقا فهي تؤوّل النّصوص بالنّظر إلى السّياق والمتن والتّناص – حسب راستي–، وقد عدّ النصّ بأنّه حاصل أنساق سيميائية وأشكال ثقافيّة متعدِّدة يجب أنْ تؤوَّل لإنتاج معنى نصيّ ما.
- أعطى فرانسوا راستي للتّأويل الدّلالي أهمية خاصة في تكوين الدّلالة، ذلك لأنّ التَّأويل يُعنى بالكلمة وما تُحيل عليه من معان، كما أنَّ اللّسانيات ركّزت اهتمامها على الجمل، والبحث عن المعنى لذا جعل راستي للتّأويل موضوعا آخر هو النصّ، يجعل القارئ يبحث عن سيرورته الدِّلاليّة، وقد ربط دلالة النُّصوص بمكوناتها الدِّلالية الصُّغرى كالمورفيمات (السّيميمات) ، والسّيمات الملازمة والمجاليّة .
- إنّ موضوعيّة المعنى وتأويل النصّ عند فرانسوا راستي تتطلّب إعادة النصّ إلى سياقه وإلى مكوناته وعناصره التّداوليّة لضبط معناه، ولا تفترض الموضوعيّة توليد معاني متعدّدة، بل يقصد بها تفاعل القارئ مع النصّ والسِّياق وخبراته الثَّقافية والموسوعيّة، وقد اعتبرها قيودا ينقاد لها القارئ أثناء تلقِّي النصّ.
- يعَدّ فرانسوا راستي مفهوم التشاكل مُعطى دلاليا له دور في تأويل النصّ، وتحقيق اتّساقه وانسجامه، فإذا كان التّشاكل عند جوليان غريماس يحقّق قراءة موحدّة للنصّ ويخصُّ المضمون فقط، فإنّ فرانسوا راستي حاول توسيع مفهومه بوصفه تكرارا للوحدات اللّسانية ليشمل التّعبير والمضمون معا، فالتّشاكل متعدّد وليس أُحاديّا كما أورده غريماس والسّيم أصغر وحدة تكوِّنه.
- لقد حرّر أمبرتو إيكو النصّ في سيميائيته من القراءة الأحاديّة والانغلاق، وطرح مفهوم الأثر المفتوح ويُقصد به النصّ، فهو بناء مفتوح يستطيع القارئ اختراقه.

خاتمة

- ربط الباحثان التأويل ببعض الآليات التي تجاوزت التحليل المحايث للنص وعزله عن ظروف إنتاجه، فقد اهتمّ أمبرتو إيكو بالمؤوِّل أو القارئ النّموذجي الّذي يُنشىء علاقة تعاوُن أو تعاضُد بينه وبين النصّ والمؤلّف النّموذجي مُبدع النصّ، إذ لا وجود للمعنى الأحادي عند أمبرتوإيكو، ومن هنا جاءت فكرة انفتاح النصّ، وذلك لارتباطه بمرجعيات فلسفيّة مُتمثلة في الهرمينوطيقا والمتاهة الهرمُسية الدّالة على وجود عالم مُتناقض يشكِّله النصّ، بالإضافة إلى تأثُّره بمفهوم السّيميوزيس البُورسي، فالنصُّ لا يُحيل على معنى ثابت بل يتضمّن معان متعدِّدة ،وأورد فرانسوا راستي السياق لتأويل النص.
- تعامل أمبرتو إيكو مع النصِّ وحدَّد معناه من خلال التّأويلات التي يقدمها القارئ، غير أنّه سعى إلى تأطير التّأويل اللاّمحدود بجملة من القوانين والحدود كالموسوعة والتّشاكل والمعنى الحرفي للنصّ.
- قدَّم الباحثان فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو جُهودا في سيميائيات النصّ وفي تلقِّيه، فرغم تباين بعض المفاهيم والمصطلحات إلاّ أنَّنا سجلنا تشابُها في بعض المفاهيم أبرزُها: وحدة موضوع البحث السّيميائي المتمثِّل في النصّ فهو فضاء مفتوح يُحيل على معان متعدّدة،كما يحتاج لقارئ يؤوّله لاستخراج دلالته ومعناه، فقد اعتمد راستي على التّأويل الدِّلالي، أمّا إيكو اتبع التّأويل السّيميائي لدراسة تمفصُلات المعنى في النصّ.
- إنَّ تحيين المعنى لدى فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو في النصّ يرتبط بشروطه التّداولية، والتي تتمثَّل في: السّياق، التَّناص، العوالم الممكنة، والموسوعة .
- ارتبط مفهوم التَّأويل بالهرمينوطيقا لدى الباحثيْن، وإنْ كان أمبرتو إيكو متأثِّرا بفكرة الهرمسية القائمة على التعدُّد والغُنوصية الّتي تعدّ النصّ سرّا يجب كشف حقيقته .

خاتمة

- إنَّ المنتج الحقيقي للمعنى النصّي لدى الباحثيْن هو القارئ، لذلك يُقرُّ الباحثان بدوره في تأويل النصّ وإيجاد مقصديته، فهو الّذي يُثير مضامين النص لتشكيل المعنى.
- أثبت فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو أنّ موسوعة القارئ ومخزونه الثّقافي الاجتماعي هو بمثابة تخمينات يقدِّمها لتأويل النصّ وإبراز معانيه المضمرة .
- رفض أمبرتو إيكو فكرةَ لا نهائية المعنى النصّي، أمَّا فرانسوا راستي جعل المعنى خاضعا لمعطيات لُغوية نصيّة وأخرى سيميائية .
- إنّ تأويل النصّ يقوم على عوامل خارجة عنه مثل التّناص والنُّزهات السردية فهي فرضية من سيناريو مُتناص من المخزون الثَّقافي للقارئ، فكلاهما ينطلق من النّسق الوظيفي اللّساني للنصّ إلى ما هو خارج عنه (السّياق).
- يلتقي الباحثان في طروحاتهما السّيميائيّة حول النصّ بوصفه علامة أو فضاء علاماتيا قابلا للتّأويل، ومن خلال المصنّفات والأبحاث الّتي قدّمها الباحثان في سيميائيات النص، ورغم تبايُن الدّراسات السّيميائية النصيّة لدى الغرب، توصّلتُ إلى أنّ جهود فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو أسهمَت في إرساء بعض المفاهيم الإجرائيّة لتأويل دلالة النصّ والتّعامل معه بعيدا عن بعض المقاربات السّيميائية الّتي أعْلَت من سلطة النصّ، وأهملت ما يحيط بالنصّ من سياق وقارئ وتناص .
- كما سجلنا توافُقا بين رؤيتيْ الباحثيْن في تفعيلهما لدور القارئ، فهو استراتيجيّة لقراءة نصّ، فهو المؤوِّل عند إيكو والفاعل في التّأويل الدّاخلي والخارجيّ عند راستي ، وإنْ كان راستي

رافضا لمفهوم القارئ النّموذجي، لأنّ المعنى الّذي يتوصَّل إليه قد يحتمل الصَّواب أو الخطأ.

- يمكن القول أن السيميائيات النصية لدى فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو وجدت ضالتها لدى الباحثين العرب(سعيد بنكراد،محمد بورايو) من خلال تلك المصطلحات التي أسسا لها،لأنهما جعلا النص مفتوحا على دلالات مختلفة، فكل قراءة تحيل على قراءة أخرى

وفي الأخير نحمد الله تعالى على إتمام هذا البحث، فإنْ وُفِّقنا فمنَ الله، وإنْ أخطأنا فمن أنفُسنا.

ملحق

المصطلحات لفرانسوا راستي		
المصطلح بالعربية	**المصطلح بالفرنسية**	**مفهومه**
الاتّساق	Cohésion	هو ارتباط السيمات النصيّة عبر علاقات داخلية، وهذه السيمات تكون التشاكلات تضمن قراءة دلالية للنصّ.
استبداليّة	Paradigmatique	لا تأخذ الوحدة الدلالية قيمتها إلا إذا كانت قابلة للاستبدال مع وحدة دلالية أخرى.
الانسجام	Cohérence	هو وحدة لتتابع لساني يتحدّد من علاقاته مع محيطه الخارجي .
البعد	Dimension	هو قسم عام أعلى يتمفصل من خلال المعارضات بين العوالم الدلالية //إنساني// //حيواني//.
التركيبية	Syntagmatique	هي العلاقات النّحوية بين عناصر النصّ.
التّشاكل	l'isotopie	هو تكرار لوحدة لسانية ويختص بالتّعبير والمضمون ، حيث يتم إسقاط البعد الاستبدالي على البعد التّركيبي.
التّلقي التّأويلي	Interprétation	هو كيفية إنتاج المعنى المتضمن في النصّ ، ويعتمد فيه القارئ على الكليات الدلالية كالتشاكل والسّياق والتّناص وهو وصف البنى الدلالية في سياقها وهو يستفيد من الهرمينوطيقا والبلاغة .
التّناص	Intertextualité	هو تفاعل النّصوص ضمن نصّ واحد أو انفتاحه على النصوص الأخرى ، ويعدُّ تأويلا خارجيا يؤثّر على النصيّة .
التّيكسام	Taxème	هو القسم الأدنى أو السيميات غير المحددة مثل : السيجارة، غليون مقابل التيكسام التبغ .

الدّلالة التّأويلية	Sémantique Interprétative	نظرية وضعها فرانسوا راستي هدفها وصف المكونات الدّلالية للنصّ والسّياق والموسوعة وعلاقاته التّركيبيّة، وهو ما قدّمه في كتابه حمل هذا العنوان الدّلالة اللّفظية(Singnification) :يُقصد بها مدلول وحدة لغوية (الكلمة) أو ماتحيل إليه في السياق .
السّياق	Contexte	هو مجموع الوحدات التي يحين فيها السيمات اللازمة والمجالية ، وقد حدّد راستي نمطين من السّياق هما النشيط والجامد.
سيم توليدي	Séme génerique	هو وحدة استبدالية عميقة تولّد تشاكلا مرتبطا بالحقل الدّلالي.
سيم خصوصي	Séme Spécifique	هو وحدة دلاليّة يقوم بتعيين وظيفة الكلمات التي تنتمي إلى التاكسام.
السّيم	Séme	عنصر ينتمي إلى السيميم وهو أصغر وحدة دلالية مثل /قمة / في كلمة رأس.
السّيمات المجالية	Séme Afférent	هي علاقة متوازية بين سيمان ينتميان إلى تاكسيمات مختلفة ولا تتحيّن إلا ضمن السّياق مثل غير غازي سمة تميّز العصير عن باقي المشروبات الغازية.
السّيمات الملازمة	Séme Inhérent	هو سيم يتواتر في البنية الاجتماعية مثل الأسود للغراب ، أو الحزن .
السّيمام	Sémème	هو مدلول المورفيم (الكلمة).
المجال	Dommaine	هو قسم أكثر عمومية الذي ينتج تاكسيمات كثيرة ويرتبط بتجربة المجموعة .

المعنى	Sens	جسّده فرانسوا راستي في أقسام متباينة أولها المعنى الناجم عن الجملة والمعنى الإيحائي والمنطقي واللساني والنّفسي والمعرفي.
الموسوعة	Encyclopédie	هي المخزون الثقافي والأحكام الذاتية التي يحوزها القارئ يوظفها لإدراك معنى النص عند ممارسته للتأويل.
موضوعيّة المعنى	Objectivité du Sens	إنّ للنصّ معنى حقيقيا موضوعيّا بعيدا عن تأويل القارئ وعن أحكامه المسبقة، وما يمتلكه من موسوعة ثقافية تؤهّله لتحديد معناه الإيحائي أو المتعدّد.
النصّ	Texte	هو متوالية لسانية مُثبتَة تمّ إنتاجُها ضمن مُمارسة اجتماعية محدّدة ومثبّتة على عماد مُعيّن.
مصطلحات أمبرتو إيكو		
الانفتاح	Ouvert	صاغ إيكو مفهوم الانفتاح انطلاقا من نصوص متنوعة فمهما كانت طبيعة النص يمكن قراءته وتتبع معناه وله الحرية التامة في إتمامه كالموسيقى، ثم طور المفهوم ليصبح النص قابلا للتأويل وتعيين مقصديته.
التّأويل	L’interprétation	هو حصيلة التفاعل بين القارئ والنصّ ذلك بتدخل القارئ وإيجاد دلالته ومقاصده في ثنايا بنيته العميقة .
التّأويل اللاّمتناهي	Interprétation Ilimite	يُقصد به السّيرورة اللاّمتناهية لمعاني النصّ مما يؤدي إلى اختراق نسيجه وتدميره، وقد انتهجته المدرسة التّفكيكيّة بزعامة جاك دريدا، وهذا ما عابه أمبرتو إيكو .
التّأويل المحدود	Interprétation limite	صاغ أمبرتو إيكو هذا المفهوم رافضا التّأويل النّهائي لأنّه يدمّر

		النصّ ويفقده خصائصه، فقد لجأ إلى التّأويل النّهائي أو التّأويل المحدود باعتماده على جملة من القواعد منها الاقتصاد التّشاكلي، مقصدية النصّ، والمعنى الحرفي .
التّحيين	Actualisation	هو إيجاد دلالة للنص من طرف القارئ ، وقد تتأتى من خلال السياق الملائم والموسوعة الثقافية .
التّشاكل	Isotopie	يعدّه إيكو ظاهرة دلالية لكّن قد يتطابق مع المدار أحيانا، فالتّشاكل يحقّق انسجام النصّ، والمدار يحيّن المعنى، لكّنه جعله قانونا من قوانين التّأويل .
السّيناريوهات	Scénarios	ضروب من الحركات والسّلوكات تقع للإنسان في واقعه، وبحكم العادة يألفها بتفاصيلها ويتمّ تخزينها على مستوى الذّاكرة ويسترجعها القارئ في تأويله للنصّ.
العلامة	Signe	كيان يتشكل من مستويين أحدهما تقريري والآخر إيحائي تتوارد فيه إمكانات دلالية مختلفة.
العوالم الممكنة	Monde Possible	هي بناءات ثقافيّة تتعلق بالشّخصيات والخصائص والصفات الّتي تميزها يتوقعها القارئ النموذجي بهدف تأويل النص وتحديد معناه في وجود تأويلات متعدّدة .
الغُنوصية	Gnose	تُعدّ فلسفة قائمة على السرّ تهدف إلى كشف الحقيقة ولا يمكن الوصول إليها ، لذا تأثّر إيكو بهذه الفلسفة وعكسها على النصّ اللّساني وغير اللّساني.
الفكر الهرمسي	Pensée Hermétique	يقوم على مبدأ السرّ لذلك يُخفي النصّ حقيقة يبحث عنها

		القارئ بممارسة التّأويل، فالنصّ متعدّد المعاني.
القارئ	L’écteur	جعل إيكو للقارئ دورا من خلال مفهوم الانفتاح فهو يتفاعل مع النص الذي يؤوله انطلاقا من مرجعياته الموسوعية والثّقافية .
القارئ النّموذجي	Lecteur Typique	هو مؤوِّل النصّ الممتلك لكفايات تجعله يؤوِّل ويحدِّد مقصديته يتوقّعه المؤلِّف النَّموذجي يستدعي توفّره على بعض الوسائط لوُلُوج عالم النصّ كالموسوعة واللّغة .
القاموس	Dictionnaire	هو معجم يتضمن دلالات الكلمات منعزلة عن سياقها أو الوحدات المعجمية.
القصديّة	L’intensité	هو المعنى النصيّ المضمر في النصّ ويُتعرف عليه إذا كان مؤلِّفه حيا ، أو بممارسة فعل التّأويل والتعاضُد بين النصّ والقارئ حيث يسهم في تنويع مقاصده .
قياس احتمالي	Abduction	هو مصطلح لشارل سندرس بورس لكّن تأثر أمبرتو إيكو بهذا المفهوم جعله يدرج مصطلح المدار ينتمي إلى القياس الاحتمالي ويقصد به السّيرورة الافتراضية أيْ؛ التّخمين الخاضع لقوانين التأويل .
مؤلف النّموذجي	L’auteur Typique	مبدع النصّ يُودع قصديته ضمنيا ويتكهّن مُسبقا وجود قارئ يؤوّل نصّه، رغم أنَّه يستطيع تحيين دلالته إذا كان حيّا ويعدّ قارئا أيضا.
المدار	Topique	هو آلية لانتقاء دلالة نصيّة من بين الدّلالات الّتي يحيينها القارئ فيعدّ فرضية يقدمها القارئ لتحديد قصدية النصّ والتقليص من تدفق المعاني، وهذا يندرج ضمن التّأويل المحدود.

الموسوعة	Encyclopédie	مسلمة سيميائية تمثّل مجموعة من المعارف الثّقافية المتراكمة والمتجدِّدة المختزنة في ذاكرة المجتمع يفعّلها القارئ لتأويل النصّ.
النصّ	Texte	هو فضاء مفتوح يقوم القارئ بفك شفراته ،ويستنطق معانيه إذ يضمّ فجوات وفراغات يملؤها القارئ
هرمس	Hormos	"مثلث العظمة" كائن متقلب يمثل أبا للفنون يحمل تناقضات متعدّدة أشبه بالنصّ المتضمّن لمعان مختلفة ومن هنا صاغ إيكو مفهوم التّأويل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ **المصادر**:

- القرآن الكريم برواية ورش .

❖ **المعاجم والقواميس** :

- باتريك شارودو، دومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، ت عبد القادر المهيري ، حمادي صمود، عبد القادر المهيري، منشورات دار سيناتر ،تونس، 2008.
- جيرالد برنس، المصطلح السّردي، معجم المصطلحات، ت عابد خزندار ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
- دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف الجزائر، الجزائر العاصمة، ط1، 2008.
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار العلم، بيروت، لبنان، ج4.
- فيصل الأحمر، معجم السّيميائيات، دار الاختلاف، الجزائر،ط1، 2010.
- محمد بن منظور، معجم لسان العرب المحيط، ت عبد الله العلايلي، دار لسان العرب ، بيروت، مج2.

- jean Dubois et autres, Dictionnaire linguistique , louis guespin.
- Louis Hébert, Dictionnaire de Sémiotique générale.
- Neveu Frank, Clin Armand, Dictionnaire des sciences du langage , Pris, 2011.
- Oswold ducrot,Tzveten Todorove, Dictionnaire encyclopédique du science du language ,édition seuil,1972.
- Patrick charaudeau , Dominique maingueneau, Dictionnaire de d’analyse du discours, édition du seuil, paris.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **المصادر العربية :**

- أحمد يوسف، السّيميائيات الواصفة؛المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة.
- بشير ايبرير، رحلة البحث عن النصّ في الدراسات اللّسانية الغربية ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009.
- بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة، 2006.
- حصة البادي، التّناص في الشّعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان ،ط 1، 2009.
- حميد لحمداني، البنيويّة في الأدب؛ بنية النصّ السّردي من منظور النّقد الأدبيّ، ، المركز الثّقافي العربي، ط3، 2000 .
- حنون مبارك، دروس في السّيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1987.
- حنيفي بناصر، مختار لزعر، اللّسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

سعيد بنكراد:

- السّيميائيات السّردية؛ مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001.
- استراتيجيات التّأويل،كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2011
- سيرورات التّأويل من الهرموسية إلى السّيميائيات، منشورات الاختلاف،الجزائر العاصمة،ط1، 2012.
- السّيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2015.
- مسالك المعنى؛ دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، الرباط،ط(د،ط)،2015.
- بين اللّفظ والصّورة، تعدديّة الحقائق وفرجة الممكن، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2017.
- السّيميائيات والتّأويل؛ مدخل لسيميائيات شارل سندرس بورس، الدار البيضاء، المغرب،ط 1، 2005.

قائمة المصادر والمراجع

- سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي؛ النصّ والسّياق، المراكز الثّقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2001.
- سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو في نقد التّأويل المضاعف، منشورات الاختلاف، الجزائر ، العاصمة، ط1، 2015.
- سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللّغة والأدب والثّقافة، مدخل إلى السّيميوطيقا، دار إلياس العصريّة، القاهرة، مصر، 1986.
- عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا؛ نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادمير، رؤية للنشر و التوزيع، ط1، 2007.
- عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ت درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2005.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدّبة من البنوية إلى التّفكيك، ، عالم المعرفة، 1978.
- عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، ط1، 2002.
- عبد اللّطيف محفوظ، آليات إنتاج النصّ الرّوائي؛ نحو تصوّر سيميائي، الدار العربية للعلوم، المغرب، ط1، 2008.
- عبد الله الثاني قدور، سيميائية الصّورة؛ مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصريّة في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005.
- عزيز حسين على الموسوي، النصّ المفتوح في النّقد العربي، الدار المنهجية، عمان، الأردن، ط1.
- علي آيت أوشان، السّياق والنصّ الشّعري من البنية إلى القراءة، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- عمار ناصر، اللّغة والتّأويل، مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربيّة والتّأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- فاضل ثامر، اللّغة الثّانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.
- لحسن بوتكلاي، تدريس النصّ الأدبي من البنية إلى التّفاعل، أفريقيا الشرق، المغرب ، 2011.
- لصحف حياة، أصول الخطاب النّقدي الغربي والعربي؛ دراسة تأويلية تفكيكيّة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018.

قائمة المصادر والمراجع

- محمد الخطّابي، لسانيات النصّ؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.
- محمد القاسمي وآخرون، الاتصال الأدبي وحركية اللّغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ،ط1، 2017.
- محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديات، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ط1 ، 2010 .
- محمد الماكري، الشّكل والخطاب، (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
- محمد بوعزة، استراتيجية التّأويل من النّصية إلى التفّكيكية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ، الجزائر، ط1، 2011.
- محمد مفتاح:
- تحليل الخطاب الشّعري؛ استراتيجية التّناص، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، ط3 ، 1992.
- التّلقي والتّأويل، مقاربة نسقيّة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1994،1 .
- المفاهيم معالم؛ نحو تأويل واقعي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب، ط2 ، 2010.
- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النصّ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 2004.
- نصر الدين بن غنيسة، في المثاقفة والنّسبية الثّقافية؛ قراءات سيميائية، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2016.
- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط7، 2005.
- هناء صبري، فلسفة اللّغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1 ، 2005.
- وحيد بن بوعزيز، حدود التّأويل؛ قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النّقدي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ،ط1، 2008.

- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ،الجزائر، ط1، 2009.

❖ المراجع المُترجمَة :

- ألجيرداس جوليان غريماس، جاك فونتاني، سيميائيات الأهواء؛ من حالات الأشياء إلى حالات النّفس، ت سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي.

أمبرتو إيكو:

- الأثر المفتوح، ت عبد الرحمن بوعلي،دار الحوار، سورية، ط2 ،2001.
- اعترافات روائي، ت سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2014.
- آليات الكتابة السّردية ، ت سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ، 2009.
- التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكية، ت سعيد بنكراد، المركز التّقافي، المغرب، ط2 ، 2004.
- التّأويل والتّأويل المفرط، ت ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2009.
- السّيميائية وفلسفة اللغة، ت أحمد الصّمعي، لبنان، بيروت، ط 1، 2005.
- العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه، ت سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010.
- القارئ في الحكاية؛ التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائيّة، ت انطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، 1996.
- بول ريكور، نظرية التّأويل؛ الخطاب وفائض المعنى، ت سعيد الغانمي، المركز التّقافي العربي ، المغرب.
- بول كويلي، ليتساجانز، علم العلامات، ت جمال حضري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط1، 2005.

- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّرديّة والخطابيّة، ت جمال حضري منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- جوليا كريستيفا، علم النصّ، ت فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 1997.
- رولان بارث، مبادئ في علم الأدلة، ت محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية ،ط2 ، 1987 .
- سوزان روبين، انجي كروسجان، القارئ في النصّ؛ مقالات في الجمهور والتّأويل، ت حسن ناظم، علي حاكم صالح .
- فرانسوا راستي، فنون النصّ وعلومه، ت ادريس الخطاب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ط 1، 2001.
- فولفالغ إيزر، فعل القراءة ؛ نظرية جمالية التّجارب، ت حميد لحمداني.
- فيرناند هالين، فرانك شوبر فيجن وآخرون، بحوث القراءة والتلقّي، ت محمد خير البقاعي ، مركز الإنماء، حلب، ط1، 1990.
- ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، النّظريات اللّسانية الكبرى، من النّحو المقارن إلى الذّرائعيّة، ت محمد الرّاضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ،ط1، 2012.
- ماري نوال غاري بريو، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ت.عبد القادر شيباني فهيم ، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2016.
- المصطفى شادلي، السّيمائيات؛ نحو علم دلالة جديد للنصّ، ت محمد المعتصم، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2015.

❖ المصادر باللّغة الأجنبية:

- Badir Samir, klinKenberg Jean Marie, Figures de la figure Sémantique et rhétorique général, , pulin ,2008.
- Barthes Roland , L’aventure sémioligique , édition du seuil,1985.
- Coquet .J.c et autre , Sémoitique , L’école de paris , ,classiques hachette,paris .

قائمة المصادر والمراجع

- Deledalle Gérard ,Théorie et pratique du signe ,introduction a la sémiotique de Ch, S.Peirce, payot,paris 1979.
- Dubois jean et autres , linguistique et sciences du langage, , édition larouse, paris, 2007 .

Eco Umberto :

- Interprétation et surinterprétation , T. jean Fierté, France, 2ème édition ,2001.
- L'œuvre ouverte,traduit Chantal Roux ,edition du seuil, 1965
- Les Limites de l'interprétation , traduire ; Myriem Bouyaher, édition grasset et fasquelle , 1992 .
-
- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale , ,Enag edition,1999.
- Fontanille .J, sémiotique et littérature, essais de méthode , presses universitaire de France, paris.
- Frank évrard et Tenet éric, Roland Barthes , ,bertrand lacoste ,paris,1994.
- GILLI .Y, A propos du texte littéraire et de F. Kafka, Théorie et pratique , paris, 1985.

Greimas .A .J. :

- Du sens ; essais sémiotiques , édition du seuil, paris, 1979.
- Greimas .A .J. , Courtés .J ,Sémiotique ,dictionnaire raisonné de la théorie du language , ,hachette ,paris 1993.
-
- Group D'entervernes , Analyse Sémiotique Des Texte (Introduction – Théorie – Pratique) , France.
- Group d'entervernes ,La Sémiotique des textes ; dépôt légale trimeste, France, 1984.
- Hébert Louis, Introduction à la sémantique des textes , , édition, champion, paris, 2001.
- Jeandillou jean françois , Analyse textuelle , paris ,armand collin .

قائمة المصادر والمراجع

- Neveu Franck, Lexique les notions linguistiques , paris, 2009.
- Peirce .Charles.S., Ecrits sur le signe , , seuil ,paris.
- Pottier Bernard, Sémantique générale ,presses universitaire de France, paris ,2011.
- Rastier François :
- Sémantique Interprétative , Presses universitaire de France, 1er édition, 1987.
- Sémantique Structurale , presses universitaires de France,2007.
- sémiotique et recherches cognitives , presses universitaire de France, paris,1991.
- Sens et textualité , hachette supérieur, paris, 1989. Ricour, Le conflit des interprétation, h.cit.

❖ **المجلات** :

- سعيد بنكراد:
- التّأويل بين الكشف والتعدّد ولا نهائية الدّلالات، مجلة علامات، مكناس، ع25.
- السّيميائيّات؛ النّشأة والموضوع، عالم الفكر، ع 3، 2007.
- فضلية قوتال، التّشاكل والفعل الاستعاري في النّصوص الأدبية، مجلة سيميائيات ، ع2، خريف 2006، وهران، منشورات دار الأديب.
- عبد المالك مرتاض، الكتابة ومفهوم النصّ، مجلة اللغة والأدب،جامعة الجزائر2، ع 08.
- السّيميوزيس والقراءة والتّأويل، سعيد بنكراد، مجلة علامات،مكناس، ع10، 1998.

❖ **المواقع الإلكترونية** :

- النصّ صناعة للمعنى سعيد بنكراد، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 11 أغسطس 2018 .Mominoun.com,article

- La microsémantique , François Rastier, texto ! juin 2005, VOLX, N°02URL :http://p://wwwrevue – texte . net / inedits / rastier - Microsémantique. htmL.113.
- Isotopie et interprétation de texte dans les processus de traduction , Nevena stoyanova. https : www.rechearchegate . net / publication.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل : الأسُس النّظرية للسّيميائيات وإشكاليّة النصّ 07

مفهوم السيميائيات 08

السيميائيات في النقد الغربي 10

موضوع السيميائيات 12

مدارس السيميائيات واتجاهاتها 14

إشكالية النص 22

الفصل الأول : السيميائيات النصية وجهود فرانسوا راستي

المبحث الأول : النصّ بين الدّلالة والمعنى عند فرانسوا راستي وإشكالية الدّلالة النّصيّة 31

موضوعية المعنى 47

المبحث الثاني: التشاكل بين اتساق النص وانسجامه 49

ماهية التّشاكل في الدّلالة التّأويلية 50

طبيعة مكونات التّشاكل عند فرانسوا راستي 57

السّيمات الملازمة والسيمات المجالية عند فرانسوا راستي 62

التّشاكل النحوي 66

التّشاكل بين اتّساق النصّ وانسجامه 69

المبحث الثالث: التّلقي التّأويلي النصّي وآلياته من منظور فرانسوا راستي 73

التأويل الدلالي وأنماطه 75

معايير الاتساق 81

التأويل بين التناص والمتن 85

السياق 88
الموسوعة 95
الفصل الثاني : النص بين الانفتاح والتأويل السيميائي عند أمبرتو إيكو
المبحث الأول : النّصُّ بين الانفتاح والقارئ 101
الأسس المعرفية و الابستمولوجية لسيميائية النص عند أمبرتو إيكو 102
الأثر المفتوح والنصّ 105
القارئ 108
المبحث الثاني: مُصطلحات السّيميائيات النّصّية عند أمبرتو إيكو 113
الموسوعة 113
المدار 116
العوالم الممكنة 119
المبحث الثالث: النَّصّ و التّأويل عند أمبرتوإيكو 123
التأويل اللامتناهي (المضاعف) 125
الغنوصية 127
التّأويل المتناهي عند أمبرتوإيكو 130
قواعد التّأويل المحدود 135
الاقتصاد التشاكلي 135
مقصديّة النصّ 137
المعنى الحرفي 138

الفصل الثالث: إسهامات فرنسوا راستي و أمبرتو إيكو في السّيميائيات النّصيّة

– دراسة مُقارنة –

المبحث الأول: انفتاح النّصّ بين التّأويل الدّلالي والتّأويل السّيميائيّ 154

التّأويل الدّلالي والتّأويل السّيميائيّ 157

النزهات السّردية والتّناص 165

المبحث الثاني: تعالق مفهوم القارئ ما بين أمبرتوإيكو وفرانسوا راستي 168

القارئ والموسوعة 170

العوالم الممكنة والتّشاكل 172

الموسوعة والمدار والسّياق 181

المقصدية والتّخمين 191

خاتمة 193

ملحق 200

قائمة المصادر والمراجع 207

الفهرس 217

الملخّص

السّيميائيات النصيّة وجهود فرانسوا راستي وأمبرتو إيكو

ملخّص البحث :

إنّ السّيميائيات النّصيَّة أكثر شُمولية في دراستها للنصِّ، فقد تجاوزَتْ المفاهيم والمصطلحات الإجرائيّة السَّائدة في المناهج السِّياقية السّابقة ، حيثُ قدَّم الباحثان أمبرتو إيكو وفرانسوا راستي إسهامات متباينة لبُلوغ المعنى النصِّي (التَّأويل السِّيميائي والتَّأويل الدِّلالي) من خِلال المُعطيات الدّلالية (التشاكُلات) والموسُوعة والقارئ، فرغم اختلاف المُنطلقات النظريّة وانعدام منهج تحليليّ مُوحَّد فقدْ ألفينَا ائتلافا فِي بعض المفاهيم واختلاف المُصطلحات لتَرتقي دراستُهما للنصِّ سيميائيّا إلى المُقاربة الّتداولية الّتي تصبُو إليها الدِّراسات النَّقدية المُعاصرة نظرا لتقاطُع النصِّ مع عُلوم وثقافات مُختلفة وهُو موضوع سيميائيات الثَّقافة.

الكلمات المفتاحية : السّيميائيات النصية ، التّأويل الدِّلالي ، التّأويل السّيميائي، القارئ ، السّياق ، الموسوعة ، التّشاكل.

Textual semiotics and the efforts of François Rastier and Umberto Eco.

Research Summary :

Textual semoitics are more comprehensive in their study of the text, as they exceeded the concepts and procedural terminology prvailing in previous contextual approaches, as researchers Umberto Eco and François Rastier made various contributions to reach the textual meaning (semiotic intrprétation and sémantic intrprétation) through sémantic data (homoseexuality) and the encyclopedia and the reader, despite the difference in theoretical perspectives and the absense of a unified analytical approach, we founda difference in some concepts and different terminology, in order for their study of the text to rise semially to the deliberative approach that contemporary critical studies aspire to due to the intersectionof the text with different sciences and cultures, which is the subject of cultural semiotics .

Key Words : Textual semiotic – Semantic interpretation – Semiotic interpretation – Reader – Context – Encyclopedia – Isotopie .